أحمد الملك



عمايل الكيزان في بلاد السودان!

قصص وحكايات

لوحة الغلاف: الفنّان عمر دفع الله

الطبعة الأولى: مايو 2018

للإتصال بالمؤلف:

ortoot@gmail.com


زورنا في
الفيس بوك
المرتضى
لكتب السودانية
www.facebook.com/sh143a

أحمد الملك



عمايل الكيزان في بلاد السودان!

قصص وحكايات

لوحة الغلاف: الفنّان عمر دفع الله

الطبعة الأولى: مايو 2018

للإتصال بالمؤلف:

ortoot@gmail.com

المغناطيس

كان حاج عبدالله يجلس وحيدا فوق تل الرمال أمام دكان حاج سليمان، يبدو بطاقيته الحمراء الممزقة الأطراف، ووجهه الجاف ببقايا الشلوخ التي إختلطت مع تجاعيد الوجه بسبب الفاقة والزمن، وجلبابه الطويل الذي لم يعد له لون محدد، والذي يخفي قدميه، مثل شجرة غريبة نبتت فجأة في الرمال، يستمع دون إهتمام الى لغط النسوة اللائي يشترين بعض احتياجاتهن من داخل الدكان، الذي تحجبه فراندة نصف متهدمة انتصبت شجرة سيسابان على جانبها، كأنها تخفي الجدار الذي تهدّم بسبب مياه فيضان نهر النيل، التي أغرقت المكان قبل سنوات. جاء بعد قليل حفيده الزين جاريا، كان هناك ضيف من إحدى القرى المجاورة يقف أمام البيت سائلا عن حاج عبدالله.

أحضر حاج عبدالله الشاي للضيف بعد أن أدخله الى المضيفة الصغيرة. يبدو أن الضيف كان متعجلا قليلا، فقد بدأ الكلام قبل أن يصب له حاج عبدالله كوب الشاي. عرّف نفسه: أنا ساتي ود شيخ الأمين، والدك كان زمان اشتغل مع والدنا في إدارة المشروع التعاوني، لكن الزمن دة مع المشاكل والشغلة الناس بقت ما بتتعارف.

عندنا في الحقيقة بت كانت قاعدة ما إتزوجت، زي المعمول ليها عمل، البنات الاصغر منها عرّسن، الا هي قعدت، وهسع كبرت شوية، وبقت تجيها مرات حالات نفسية كدة، تحرد الأكل والكلام. قلنا نحاول نزوجها يمكن أحوالها تتصلح. الزول الكان متزوج بتكم دة جة قبل أيام طلبها، قلنا ناخد شورتكم ونعرف ليه هو طلّق بنتكم؟

رحّب عبدالله مرة أخرى بشيخ ساتي ، صب له كوب الشاي وصب لنفسه كوبا آخر، وأمسك بالكوب في يده وقال وهو ينظر الى الكوب وكأنه سيستخدمه ليقيم الحجة على ما سيقول: حليل زمن المشروع التعاوني الدنيا كانت بخيرها، والناس بالقليل حالها مستور. صمت قليلا ثم قال وهو يجلس بجانب الضيف على العنقريب:

والله الطلاق حصل بس عدم اتفاق و قسمة، هو زول طيب لكن مرّات كان يقوم بدون سبب يضرب الناس، ولو لقى اي حاجة قدامه يكسرها!

حاجة زي شنو؟

كباية، صحن، زير موية، لكن هو زول طيب! بعد يكسر الزير يقعد مسكين يبكي، الظاهر يتذكر ان الزيار غالية بعد يكسرها، لكن هو زول طيب.

قال شيخ ساتي وكأنه كان يتوقع مصيبة أكبر: الزير هيّن، هسع الكهرباء جات، بتقطع مرات لكن أخير من عدمها، الله أعلم ما اظن يقدر يكسر التلاجة، وتاني مشكلته شنو؟

والله الزول دة زول طيب جدا، زي الطفل، لكن بس أحيانا عنده جن كدة، لو حضر أهل زوجته في زيارة، لازم يعمل مشكلة معاهم ويطردهم من البيت، زوجته مشت للفقرا قالوا عين، أدوه بخرات يستعملها ومحاية يشربها، دفق المحاية في الارض، ولم في البخرات ولّع فيها النار! لكن هو زول طيب الغضب الشديد دة من الطبع، لكن المهم الزول يرجع ويستغفر ربه!

أها ومعاملته مع الأطفال كيف؟

والله كويس، لكن مرات وكت الجن يقوم عليه، بيقطع ليه عصاية نيم لينة ويقع في شفع الجيران يدقهم، بعدين بيعمل زي المدرسة يخلي ولدين يشيلوا الولد العاوز يضربه، انا قابلت الدكتورولد ناس حسن الزين ، كان جة هنا في اجازة من السعودية، حكيت ليه الموضوع قال لي الزول دة عنده مرض نفسي والعياذ بالله، الظاهر في طفولته كان بيدقوه في المدرسة شديد عشان كدة داير يخلص الدق الدقوه ليه في الاولاد المساكين! لكن هو زول طيب صراحة، وفي حاله، بيمشي الحواشة ويرجع البيت آخر اليوم! انا قلت لي الدكتور لو حبوب ولا حاجة، جبنا ليه الحبوب، شال كباها في المرحاض، وضرب زوجته، قال ليها دايرة تجننيني رسمي بالحبوب! تقول بقت على الحبوب عشان يجن رسمي! لكن هو زول طيب يعني ما شفنا منه عوجة كتيرة!

أها ومعاملته مع الجيران كيف؟

كويس، في رمضان بيجيب فطوره ويجي في المسيد مع انه مرات ما بيصوم، في ناس قالوا الجن بتاعه نصراني، مرة كان في عزاء في المسيد واحد من الاولاد وزّع مصاحف، مسك ليه مصحف وقرأ شوية فيه، فجأة قفل المصحف وكان ظاهر عليه متأثر وفي دموع في عيونه وقال: مسكين يا عيسى ! ظلموك الأنبياء! (قالها كدة بحنية زي كأنه بيعرف سيدنا عيسى!) لكن بيصلي معانا العشاء. مرة الشفع كانوا بيتونسوا بخلف المسيد بصوت عالي في اثناء الصلاة، قام قطع صلاته وجة لم في الشفع بعكازه لامن شردوا كلهم، بعد الصلاة العشاء اتأخر لأن الشفع الطردهم مفروض قبل نهاية الصلاة يجيبوا العشاء من البيوت! مرة كان تعبان نام بعد صلاة التراويح قبل ما يتعشى، الجماعة نسوا يصحوه وخلوه نايم في المسيد الظاهر خافوا لو قام من النوم يضربهم ولا حاجة. صحوه عشان صلاة الصبح، الظاهر كان تعب في صلاة التراويح، قال ليهم الدفسيبة القبل شوية دي ما كان فيها صبح! لكن زول طيب وعلى نياته، الغنماية تاكل عشاه! مرة قبل كم سنة في غنماية دخلت زراعته، لمّ فيها ضبحها وفرّق لحمها في الحلة، الناس مساكين في جوع في البلد مافي زول سأل اللحم دة من وين، قالوا كرامة سلامة وأكلوها! زول طيب الغنماية تاكل عشاه، لكن ما تقدر تاكل من زراعته والا تبقى كرامة في الحلة! لكن زول طيب والله وابن ناس، أبوه كان راجل طيب لكن جنّ في آخر العمر ولمّ الكيزان! عنده يافطة كلما يجي السوق يرفعها في الدكان، مكتوب فيها: لا تبديل لشرع الله! الناس قالوا ليه انت زول مستور مافي سبب يخليك تلم الحرامية آخر عمرك. الظاهر تعب من الفقر وقال احسن يرتاح شوية، اهو الدنيا كدة لا راحة في الدنيا ولا فرارا من الموت، هو برضه كان زول طيب! مسّكوه إدارة الغابات قطع الشجر كله عملوا فحم وباعه! لكن كان زول مجامل، أي مناسبة في الحلة يجي أول واحد، ومرات يمسك الكشف في المناسبات، في عرس الطاهر ود عمنا الزين، مسك الكشف، وبقى يمشي يشجع الناس يقول ليهم الطاهر محتاج للمساعدة تعالوا ادفعوا، أها وكت الناس كلها تقريبا دفعت، جمع القريشات وإختفى، قالوا كان مديون مشى سدد الدين وفي ناس قالوا الزول دة كان طالب الطاهر قروش، ولقاها فرصة خلص القروش، إختفى فترة قالوا مشى الدفاع الشعبي ، رجع بعد فترة بدقن كبيرة وغرة صلاة، الدقن سمحة لكن غرة الصلاة ظاهر عملها بحجر ولا حاجة، قالوا في ناس بيعملوها بخمسة جنيه في سوق ليبيا! بتاعته يمكن تكون كلّفت أقل من كدة! لأن ظاهرة ما أصلية! رجع حكومة، مافي زول يقدر يسأله يقول ليه سرقت قروش الكشف ليه! ولو في الزول اتكلم عن بيع الفحم وشتول المسكيت بدون ايصال، طوالي يجيب ناس الأمن يقول ليهم الزول دة علماني والعياذ بالله!

وفي العلماني كمان أكعب نوع: شيوعي! ما داير حكم الله! لكن كان زول مجامل وفي حاله! وآخر ايامه عملوه إمام في الجامع، وكت يوعظ الناس يبكي! وينزل من المنبر يبيع الفحم، حيعمل ايه المعايش جبارة وأسعار الفحم كويسة! وكت الغاز ظهر والناس رسلوا لاهلهم في السعودية رسلوا ليهم بابور الغاز، مسكين، الفحم بقى ما بيتباع كويس، حاول ينوّع في الشتول لأن الحكومة منعت بيع شتول المسكيت قالوا بيخرب الارض، وناس الحكومة دايرين الأرض يبيعوها.

نظر شيخ ساتي حواليه محتارا، ثم تشبس بالأمل مرة أخرى، رغم أن الأمل كان (يناتل) محاولا الهروب! نظر الى ظل الجدار محاولا تقدير الوقت، ثم قال: وفي الشغل كيف، ناجح في زراعته؟

زراعته سمحة يرمي شوال قمح ويشيل أربعين! الناس قالوا بينجّح القمح بالسماد! مع انه هو بينكر انه بيستعمل السماد، ناس قالوا عنده جن نشيط بيزرع معاه! في السنين الأخيرة إنتاجه نقص ما زي الاول، ناس قالوا عصر الجن في الشغل، يخليه الليل كله سهران يقرع الموية، وكت تعب شرد خلى البلد، لكن الحقيقة المزارعين الكويسين في السنين الاخيرة ما بيحبوا يزرعوا معاه، مرة العيش اتسرق من القيساب قبل يوزعوه بين المزارعين، الناس قالوا لقوا اتر اقدامه! الظاهر جة آخر الليل سرق العيش! دة كلام الناس، لكن بعض الظن إثم مافي زول شافه! كان مشى اشتغل فترة في البلدية مع ناس الحكومة والظاهر اتعلم السرقة هناك، لكن هو راجل طيب ، والناس كلها بتغلط، المهم الزول ما يشيل في نفسه حاجة من الناس!

ومع ناس البيت كيف، كان بيجيب الطلبات وما منقص عليهم حاجة؟

ما بيقصر، وكت سكر التموين يجي بيكون أول زول واقف في الصف! يحب القهوة، ويحب شاي المغرب دائما يقول شاي المغرب اهم من العشاء! لكن مرات وكت الجن يقوم عليه، يقفل نفسه في البيت كم يوم، يخت الرادي جنب راسه، واليوم كله يسمع الاخبار، لو جة زول قال ليه في حاجة ناقصة يقول ليهم دقيقة بس في اخبار مهمة اسمعها واقوم، لو ما حجارة البطارية انتهت ما يقوم، بعدين وكت يتابع الاخبار يبطل اي خدمة تانية، أيام حرب الخليج حضن الرادي لغاية الحرب إنتهت! لو ما كان في شوية ويكة وقمح في المخزن كان ماتوا بالجوع لغاية ما بوش يمرق صدام من الكويت! بعدين يقول ليك انا ما بنوم الا بالراديو، قبل فترة قبضونا في شكلة في السوق، لقيته شغال ضرب في ناس البوليس جيت

أحجز قبضوني انا ذاتي معاهم، في الحراسة قلت ليه انت طبعا ما حتقدر تنوم بدون راديو! قال لي لأ حأكون صاحي للصباح! لسة ما يكمل كلامه شخر، نام للصباح الا العساكر صحوه! لكن رجل طيب وخدوم، وكت يكون في فراش في المسيد يتولى عمل الشاي والقهوة! ناس قالوا لأن بيحب شراب الشاي والقهوة بيلقاها فرصة عشان يشرب كتير مجان! لكن رجل طيب وفي حاله.

قال شيخ ساتي وكأنه عثر أخيرا على شئ إيجابي: القهوة والشاي هينين، نعلو ما بيشرب العرقي؟

بيشرب شوية قبل ينوم، مرات وكت الموسم يكون كويس بيمشي الاندايات يشرب، مرة دخل الانداية ما مرق منها الا بعد شهرين بعد ما قطع قروش الموسم كله! لكن زول طيب وفي حاله، لو السكارى اتشاكلوا في الانداية ولا في بيوت الاعراس بيقعد بعيد، ما بيتدخل، يقول راسنا دة صرفنا عليه قروش عشان يتوزن، ما بنضيع تعبنا ساكت نحجز الناس! أنشاءالله يكملوا بعضهم!

لكن زول طيب وفي حاله!

نعله بيشرب في الشارع؟

لأ، .. بيشرب في البيت أو في الانداية، زول ملتزم جدا، ولو ماصلى العشاء ما بيقعد للشراب، دايما يقول بعد العشاء مافي اختشاء، في ناس بيقولوا هو ما بيختشي من الصباح، لو الجن قام عليه، يطرد الناس ويقعد يسمع أخبار الحروب، يحب الحروب، دايما يقول الحمدلله الانجليز ما رسموا حدود الدول، خلوها مطلوقة ساكت، عشان كدة الدول كل ما تلقى قرشين تجيب سلاح، يقوموا على جيرانهم!

لكن كويس يعني بيعامل المرة كويس؟

والله هو زول طيب، بالذات وكت يشرب يبكي زي الجنا، المرة تسوقه توديه يبول وترقده، وكت يشرب يبقى طيب، لكن ناس الحكومة منعوا الشراب وبقوا ينطوا على الناس في البيوت ويشموهم لو لقوا ريحة عرقي يجيبوك تاني يوم يجلدوك في السوق، هو مسكين، مرة ناس الحكومة نطوا في بيته، لقوه واعي، مسكين كان مفلس ومشى حاول يستلف العرقي أبوا يدوه لأنه كان متدين عرقي كتير. دينه في الدكان ألف جنيه وفي الانداية عشرة آلاف! لكن زول طيب، الفلس مرقه من الجلد في السوق، لكن ناس الحكومة قالوا ليه ما

بنخليك ساكت، ما دام جبناك النقطة، تبيت وتمشي الصباح! نام في الحراسة مسكين بدون راديو، لكن زول طيب وفي حاله!

وليه ما جاب أولاد؟

والله مسكين ما فضى من العرقي والراديو، يمكن لو ما حرب الخليج كان جاب ليه حاجة! بعدين ما وعى كتير، جة ساق البت دي يوم العرس وهو سكران، جابوا الجماعة شايلنو شيل دخلو على عروسته! وكت طلقها بعد سبعة سنين كان سكران برضو! وبرضو جوا نفس الجماعة شالوه شيل ودوه بيتهم! مشينا للفقير أدانا مسحوق قال يشرب منه قبل النوم، رفض يشرب، المرة ختتت ليه شوية في شاي المغرب، اتضح بعد داك ان الفقير كذاب، كان بيجيب الحباية الزرقا يطحنها مع الحلبة ويديها للناس العندهم العجز الجنسي، يقول ليهم انتوا معمول ليكم عمل اشربوا من الاعشاب دي العمل بيتفك، اها سمعته ضربت لحدود مصر والخلق كسروا عليه، الاعمى شايل المكسح، ومعظم الناس كانت بتجيه بالليل عشان الناس ما يشيلوا حسهم! لكن زول طيب وفي حاله، لو سكر يبكي زي الجنا، ينوم بالراديو وفي الصباح عينه ما تفتح لو ما هبش قزازة العرقي تحت السرير بيده ولقى فيها حاجة! لكن زول طيب وفي حاله ويحب الناس.

كان شيخ ساتي يصارع في (الأمل) الذي كان يقاوم ليهرب، أمسك به من عنقه حتى لا يهرب، أملا في أن يجد شيئا ينعش الأمل قليلا: أها وعنده اخوان كويسين؟

عنده أخو واحد اصغر منه، زول كويس، بس شوية بتاع مشاكل، كان فتوة في الحلة يدق الناس ولو مشى حفلة يفرتقها. الاولاد كان سامنه في الحلة المغناطيس، يحب الحديد، سرق الحديد الفي الحلة كله باعه لشركات الخردة، حتى سراير الحديد شالها، لو انت نايم في الحوش في سرير حديد يجي براحة ينزلك من السرير ويشيله، الكويس ما يرميك في الواطة يجيب برش صلاة يختك فوقه ويغطيك كويس عشان البرد بتاع أول الصباح ما يمرضك، ويشيل السرير يمشي يبيعه، الناس كلها رجعت لعناقريب الخشب. أها ايام كدة وكت عدم الشغل لم ناس الحكومة ومشى الجهاد، قبل يمشي الكيزان ادوه شوية قروش وعربية واشتغل مع منظمة اسمها النشاط الطلابي، ديل قالوا يراقبوا الطلاب ويجندوهم لحزب الحكومة ويرسلوهم الجنوب. عرّس قبل يمشي الجنوب، اها بعد فترة من سفره، سمعنا قالوا استشهد، جوا الجماعة في بيتهم رقصوا وضبحوا تور وادوا امه ورقة قالوا عقدنا ليه على حورية، وواحد من الكيزان الكانوا معاه حلف بالله وقال جنازة الشهيد كانت

طالعة منها ريحة المسك! نحن ضحكنا براحة وكت سمعنا الكلام دة، لأن المرحوم كان وكت حي ريحته ترمي الصقر! وكت يجي ماشي جنبك تقول في فطيسة جات ماشة! ما بالك وكت مات. قالوا هسع بيكون مشى شهر العسل في الفندق في السما! واحد من المساخيط قال أنا خايف لو لقى سرير حديد في الفندق في السماء يشيلو معاه!

في ناس كانوا طالبنه قروش من حساب عرسه الاول قالوا كيف يعرس تاني بدون يحاسبنا على حاجات العرس الاول! واحدين قالوا يا اخوانا نحن لينا سنين مرة واحدة ما قادرين نعرسها كيف الزول دة يعرسوه ليه مرتين! قالوا لأ دة شهيد وكوز، ممكن يعرس مثنى وثلاث ورباع. وكت قالوا استشهد، ناس كتار عندهم شوية حديد في بيوتهم فرحوا وقالوا الحمدلله، بعد شهر من عرسه على الحورية رجع تاني فجأة لقيناه حايم في القرية!

بعاتي؟

لأ ، ما كان مات، الزي دة ما بيموت ، الظاهر في زول مات وهو كان اتجرح، وكت جات البرقية عكسوا الاسامي الناس المجروحين قالوا ماتوا والماتوا قالوا انجرحوا! !

وهسع وين؟

بقى مسئول كبير في الحكومة، مع الجماعة ناس صندوق الطلبة. بنى البيت وصلّح أحواله وعرّس تاني تلاتة نسوان، يعني بقى عنده أربعة فوق الحورية!

وكدة ما حرام لكن!

الناس قالوا يمكن وكت جة يعرس الرابعة طلّق الحورية! لكن ولد كويس، لو قصدته في حاجة بيقضاها ليك، عندك زول مقبوض في شيك، زول اختلس قروش، داير ليك جبخانة، داير ليك شهادة مضروبة لولدك، كله بيجيبو ليك وياخد حقه، لكن ما طمّاع! وفي ناس قالوا بيبع السجائر الأخضر كمان!

نعلو بنقو!

أيوة بنقو، أخضر حيكون نيم يعني! لكن زول طيب وفي حاله، حتى سرقة الحديد بطّلها بعد بقى مسعول كبير، بقى يرمي لقدام ، في مسعول كبير بيسرق سراير ؟ دة شغل حرامية مساكين ساكت!.

سرح شيخ ساتي بنظره بعيدا، حاول (الأمل) الهروب لكنه أمسك به وعصره تحت عجزه الضخم حتى صرخ (الأمل) وكادت تخمد أنفاسه ويفقد أية أمل!!

قال محاولا إعطاء مُحدثه خيارات سهلة لإحراز أية نصر بأية ثمن يبرر زواج إبنته : وعنده بهائم سمحة!

قال شيخ عبدالله: عنده تيس واحد مطلوق في الحلة ، يجوا الناس يسوقوه عشان يفحّل ليهم الغنم، ياكل مع بهائم الناس، وشغّال عريس جماعي! وكت أحواله تتيسر وموسمه يكون ناجح، بيشتري شوية بهايم، لكن في الصيف وكت يحتاج حق العرقي كل يوم جاري ليه بهيمة من اضانها على السوق ومن السوق على الانداية! لكن زول فاضل ما يتفضل عليك..

الكوز (المحترم) يواجه الإهانة في المحكمة!

في الباحة الواسعة المواجهة للسوق خلف مبنى البلدية، جلس القاضي ومساعده خلف منضدة حكومية ضخمة، مصنوعة من خشب يشبه الخشب المستخدم في صناعة فلنكات السكة الحديد. قال شيخ الطيب: التربيزة دي الظاهر صنعوها أيام الانجليز، متينة جدا وثقيلة لا يستطيع ثلاثين رجلا رفعها من الأرض!

قال شيخ النور مساعد القاضي: الحمدلله إنها متينة وثقيلة مافي زول يقدر يحرّكها. لو كان بتتحرك كان الجماعة بدري باعوها!

قال شيخ الطيب بفخر بصوت هامس: الليلة حنحاكم كوز كبير سرق سكر التموين!

ضحك شيخ النور وقال: اليسمع كلامك يقول دي المحكمة العليا. إنت ما حتحاكمه عشان سرق السكر، الحرامية في البلد هم البيحاكموا الناس. انت حتحاكم زول مشوا ليه مواطنين يسألوه عن حصة السكر رد عليهم بالعكاكيز والحجر!

قال شيخ الطيب مصرّا على الاحتفاظ بإنتصاره البائس: المهم المتهم كوز!

ضحك النور وقال: غايتو الله اعلم كان ما نخاف الكضب دي حتكون اخر محكمة ليك! أحسن بعد دة تمشي تشوف ليك شغلة تانية!أنا لو محلك نأجل القضية ! أو لو لقينا الموضوع ما ماشي كويس نرفع الجلسة للتداول ونكب الزوغة!

قال شيخ الطيب: والله لو بقى ترابي ما أخليه! بعدين ما تخاف، هو أصلا لو كوز قوي ما بيصلنا هنا، دة كوز درجة تالتة. ديل الجماعة الرموا ليهم العضم، لجان شعبية وسكر وضرائب النخيل، قبل أكتر من عشرة سنة قال منتظر أقرب تعديل وزاري حيعملوه وزير. أها الوزارة عدّلوها مية مرة وهو لسة في سرقة السكر، لامن خلقته إتغيرت، راسه كبر وبقى يشبه نمل السكر! .

قال شيخ النور: زمان كان مبتلي يمشي الاسواق يقيف في الزحمة (يدّقّر) للأولاد، كم مرة الناس مسكوه دقوه! ويحب العرس، كل سنة يطلق واحدة من نسوانه ويتزوج واحدة جديدة، هسع بقى مجاهد!

قال القاضي هامسا: يمكن مشى جهاد النكاح!

المواطن عبد السميع يتقدم، نادى حاجب المحكمة!

جاء المواطن عبد السميع. كانت يده المكسورة في جبيرة من جريد النخيل، ولا تزال بعض بقع الدم في جلبابه،كان قد ربط رأسه بالعمامة كأن أحدهم شج رأسه. سأله القاضي ان كان مصابا ايضا في رأسه، بدا المواطن عبد السميع سعيدا بالسؤال، أكثر من سعادته بجلب الكوز الى المحكمة، أوضح:

عندي وجع رأس شديد يا مولانا أسبوع ما شربت شاي ولا قهوة. حاولت اشرب بالبلح لكن ما قدرت. الزول دة حوّل سكر التموين الخاص بالقرية لمصلحته الخاصة. كل القرى في الخط دة استلمت حصة السكّر وتم توزيعها على المواطنين. الا بلدنا دي. السكّر مشى وين ما معروف. وكت مشينا نسأله السكر وين، استقبلونا هو وأولاده بالعكاكيز وضربونا ضرب غرائب الإبل!

وفي زول تاني انضرب معاك من ضرب الإبل دة؟

كان معاي نفرين شردوا وكت الضرب كتر علينا، قالوا لي نرجع أحسن ونمشي نعمل بلاغ، ديل ناس كيزان ومفترين، حننضرب وما حنلقى حقنا!

وين الاتنين الشردوا، دايرنهم شهود!

قال عبد السميع: واحد منهم جاري لليلة. مسكين قالوا مخه ضرب! بقى كلما يشوف عسكري أو زول بدقن يقوم جاري

والتاني وين؟

التاني في المستشفى الدكتور قال عنده إرتجاج في المخ!

تساءل شيخ النور: يعني شنو إرتجاع في المخ!

قال عبد السميع: إرتجاج، الضرب كان شديد على رأسه. مخه إتخلبط فوق تحت. كان في حاجات نساها مدفونة في قعر المخ ليها سنين. جات طالعة فوق. وحاجات جديدة نزلت تحت وإندفنت! قبل خمسة سنين كان حصل ليه حادث، وقع من جمل. نسى حاجات كتيرة، من ضمنها ديون . قبل الحادث كان تاجر شاطر، يحفظ معاملاته كلها في مخه، ما بيسجل اي شئ في الدفتر، يشوفك من بعيد يقول ليك أنا عاوز منك كدة انت اشتريت يوم كدة رطلين زيت، ووقية شاي ووقيتين بن! عشان كدة الناس سمّوه: أنا عاوز منك! الناس نست إسمه القديم! بقى أول ما يظهر في مناسبة ولا أي محل الناس تقوم جارية قبل ما يفضحهم بالديون! الصراحة كان طالبنا كلنا، بعد وقع من الجمل نسى كل الديون، حمدنا الله لأن الظروف كانت صعبة الفترة الفاتت، لو لقيت زول ينسى واحد من ديونك، بيكون خفّف عليك شوية لغاية ما يتذكر بعدين يحلها الله! في الزمن العلينا دة يا مولانا لو زول نسى حقه العليك، تساعده عشان ما يتذكر، تغيّر إسمك، تغير شكلك شوية! هسع الدق بتاع الكيزان طلّع الحاجات القديمة كلها. وكت مشيت ازوره في المستشفى قال لي أنا داير منك ألف جنيه. انت اشتريت مني تلات مرات سكر وشاي وصابون وزيت بدون تدفع. قبل فترة كنت أديته جوال بلح عشان يبيعه. قلت ليه اخصم الألف جنيه من تمن الشوال وأديني الباقي، لقيته نسى إنه استلم مني جوّال بلح! الكيزان حتى وكت يضربوك ضربهم ضرب مضرة. خلو الزول يتذكر القروش الدايرها من الناس وينسى حق الناس العليه!

وجد القاضي قصة الرجل الذي تذكر ديونه ونسي حقوق الناس عليه، مسلية. حتى أنه ضحك دون أن ينتبه لاحتمال ضياع هيبة المحكمة. تذكر بعد أن إنفجرت ضحكته في هواء الدميرة المشبع برائحة الجروف ورائحة المريق، أنه في المحكمة وليس في السوق. فقطّب وجهه وحاول جمع ما يستطيع من ضحكته التي تناثرت فوق الحضور حتى تطايرت أسراب الحمام التي تبحث عن بقايا الحبوب في باحة السوق أمام المحكمة فزعة. خبط المنضدة العتيقة أمامه ليستعيد هيبة المحكمة وأعلن بغضب: لا بأس، أين المتهم وأولاده!

تقدم المتهم، عبدالرسول صلاح الدين

يبدو أن عبدالرسول لم يكن يؤمن كثيرا بأنه يجب أن (يحدّث) بنعم ربه! كان يكتفي بإخفاء كل النعم التي يحصل عليها. لأن الدنيا ما (دوّامة) حتى أنه كان يختفي من القرية حين تكون هناك مظاهرات في العاصمة تطالب بسقوط الحكومة. وحين يتم إخماد المظاهرات، كان يعود الى القرية سرا ويواصل حياته، واذا سأله أحدهم عن غيابه كان يقول أنه استدعوه للمشاركة في ضرب الخارجين على القانون!

قال النور: وينه القانون اليخرجوا عليه! مافي خارج على القانون غيره هو وجماعته، بعدين مافي زول بيمشي يحارب الخارجين ويسوق معاه أولاده ويشيل معاه عفشه!

كان يرتدي جلبابا قديما متسخا تحول لونه الأبيض الى اللون الرمادي بفضل الغبار والعرق.

قال النور بصوت خفيض: زولك مسكين ما فاضي من السرقة وبيع السكر في السوق الأسود عشان يغسل هدومه!

تفضل يا سيد صلاح الدين. أولادك الاتنين مطلوبين ايضا في المحكمة.

قال صلاح الدين: الولد الكبير عنده ملاريا والتاني مشى مع والدته المستشفى.

كان يبدو متوترا فقد كان يتوقع ان يعين في منصب كبير وفجأة يجد نفسه في المحكمة، وأي محكمة؟ محكمة شعبية تختص بمنازعات صغيرة وسكارى مساكين، ولصوص صغار تتعذر رؤيتهم بالعين المجردة، يسرق أكثرهم خبرة حمارا أو ربطة قصب لا يساوي سعرها أكثر من جنيه واحد.

شعر شيخ النور أن الكوز المتوتر قد يسبب مشكلة في المحكمة، فحاول أن يخفّف من توتره، قال موجها الكلام له: طوّلنا ما شفناك يا شيخ عبدالرسول، يظهر المشاغل كثيرة، بعدين شكلك إتغير شوية، بقيت تشبه واحد من الكيزان الكبار، الزول بتاع الدفاع الشعبي!

تلفت عبدالرسول حوله محدقا في حضور المحكمة كأنه يبحث عن شخص ما كان يتوقع حضوره، قبل أن يعلن: الما لقى شبهه الله قبحه!.

نظر شيخ النور الى جلبلب عبدالرسول المتسخ ووجهه المتوتر وقال بسرعة: أهو انت لقيت شبهك وبرضو الله قبحك! ثم استدرك كلامه بضحكمة عالية حاول أن يوحي بها أنه كان يمزح!

قال عبدالرسول: يا مولانا أنا بأعتبر كلامك دة إهانة في المحكمة. أنا جاهدت في الجنوب وعندي شهادة الداير يشوفها يجيني البيت بوريها ليه!

ضحك شيخ النور وقال: احسن تجيبها هنا المرة الجاية، لأن البيجيك البيت كله قاعد ينضرب ضرب غرائب الابل!

قال شيخ الطيب: كيف يكون إهانة للمحكمة؟ أنت ما معانا في المحكمة!

لأ ما تفهم غلط يا مولانا أنا ما قلت اهانة للمحكمة أنا قلت اهانة في

المحكمة. يعني اهانة لمواطن محترم في داخل المحكمة

ضحك شيخ النور وقال بصوت خفيض وين في كوز محترم! ثم تنحنح ونظر حواليه خوفا أن يكون أحدهم سمعه!

حاول القاضي تجاوز نقطة إهانة الشاكي الى موضوع القضية:

؟ الناس ديل مقدمين بلاغ أنهم تعرضوا للضرب منكم؟.ممكن توضح للمحكمة الحصل لو سمحت

قال عبد الرسول: نحن كنا في حالة دفاع عن النفس! الجماعة ديل إعتدوا علينا، والدين بيقول: من إعتدى عليكم فإعتدوا عليه بمثل ما إعتدى عليكم..

ممكن توضح كيف اعتدوا عليكم؟

هاجمونا ونحن آمنين في بيتنا.

الناس ديل بيقولوا انهم جوا يسألوك من سكر التموين، بيقولو ان حصتهم من السكر اتباعت في السوق الاسود!

قال عبد الرسول وكأنه يتخذ قرارا نهائيا: اسود أحمر ابيض ما ليهم دخل. نحن شغالين لمصلحة الدولة العليا!

قال القاضي: نرجع للقضية. الحصل شنو؟

قال عبد االرسول: أنا زول مجاهد حاربت في الجنوب يجي واحد زي دة يتهمني بسرقة السكر!

قال القاضي: نحن ما عندنا دخل بالسكر، في جهات تانية مختصة بالموضوع دة. نحن هنا قضيتنا الناس ديل اعتديت عليهم ولا لأ؟

أعلن المتهم: ما إعتديت عليهم!

والدم الفي جلابية الزول دة شنو ويده المكسورة! وإعترافك إنكم رديتو العدوان!

الزول دة قاصدني، قال داير قطعة واطة لولده. جانا بعد عملنا الخطة الاسكانية. قلنا ليه الخطة خلصت، قدّم بعد سنة نكون بدينا الخطة التانية. دي بلد زراعية لو وزعناها كلها سكن، الناس حيزرعوا وين؟ ولا يبقى القمح زي الجرجير يزرعوه في حيشان البيوت؟!

تدخل المواطن عبد السميع بدون إذن القاضي: إنت كذّاب. انت الشغال توزع في الاراضي الزراعية الحكومية وتبيعها. المشروع التعاوني نزعتوا نصف أراضيه الحكومية وبعتوها للمغتربين سكن، كان ممكن توزعوا ليهم في الخلاء شرق القرية أراضي غير صالحة للزراعة لكن إنت داير تستفيد عارف الارض هنا سعرها غالي! ومشروع الشجرة الكانت البلد دي وكل القرى المجاورة عايشة منه، دخلتوا أصحابه السجن وغشيتوا الناس قلتوا حنعمله مشروع تعاوني وبعتوه لمستثمر عربي! والقروش في جيوبكم، أنتم قايلين نحن نايمين..

إنت بتتهمني بالسرقة إنت نسيت إنك طول عمرك متهرب من دفع الضرائب والزكاة ولولا تقديرنا لظروفك وظروف أولادك الصغار كان دخلناك السجن!

خبط القاضي المنضدة لوقف المشاجرة، لكن شيخ النور لكزه بيده: خليهم! دي فرصة نسمع فضائح الكوز دة، أنا أول مرة أعرف بقصة المستثمر العربي دي!

قال القاضي همسا: الجماعة جوا وزرعوا البرسيم انت ما عندك خبر الحاصل في البلد.قال النور: ما تجيبوا لي المستثمر العربي دةأبيع ليه حتة واطة، تعبت من الزراعة بدون فائدة!

إنتبه القاضي على صوت عبدالرسول وهو يتقدم محاولا الاعتداء على المواطن عبد السميع: تمسك خشمك ولا أكسر ليك يدك التانية كمان!

قال القاضي: دي محاولة للاعتداء على مواطن في المحكمة واعتراف انك اعتديت عليه بما إنك اعترفت بكسر يده الاولى!

قال عبدالرسول: أنا جاهدت في الجنوب وعندي شهادة مجاهد و.....

قال القاضي: جاهدت في الجنوب جاهدت في الشمال، دي ما شغلتنا هنا، الزول دة والجماعة المعاه ضربتهم ليه ؟

أنا جاهدت في الجنوب، يجي واحد يتهمني قدام أولادي بسرقة السكر! أعمل ليه شنو، أضرب ليه تعظيم ولا أجيب ليهم قهوة!

حكمت المحكمة حضوريا على المتهم عبدالرسول صلاح الدين بالسجن شهر والغرامة عشرة الاف جنيه تعويض للمجنى عليهم وتحمّل منصرفات علاجهم.

رفعت الجلسة.

يحيا العدل.

تأهب القاضي والحضور للانصراف من المكان بينما بقى الكوز في مكانه يردد:

أنا جاهدت في الجنوب يجي واحد زي دة يحكم علي بالسجن، أنا عندي شهادة ..

إنقلاب عسكري للكيزان في جمهورية منطادستان!

دراما من سبعة مشاهد

منطادستان 2021

بعد سقوط دولة الكيزان في بلاد السودان إكتشفت الحكومة المنتخبة أنّ (الحتات) كلها باعوها الكيزان!

المشهد الأول: مظاهرة تقطع شارع الصحراء(النيل سابقا)، يتعالى صوت الهتافات: حاكموا سدنة النظام الكيزاني الذي باع الوطن، أعيدوا لنا نهر النيل الذي باعه الخونة! القصاص بالرصاص!

توقفت عدة عربات هبط منها أجانب، يتقدمهم شخص يحمل مكبرا للصوت:

بالله فضوا لينا الشارع دة وامشوا شوفوا ليكم بلد تاني اتظاهروا فيه!

ليه؟

نحن مشترين الشارع دة لينا سنين ودة عقد موثّق من محكمة العدل الدولية!

مشهد ثاني: مباراة بين الهلال والمريخ

شجار وهتافات في الملعب بين مشجعي الفريقين!

فجأة توقفت أعداد كبيرة من السيارات حاصرت الملعب، هبط منها أجانب، تقدم أحدهم وكان يحمل مكبر صوت نادى من خلاله طالبا من الحكم إيقاف المباراة وتسليم الملعب الذي باعته حكومة الكيزان لشركة صينية!

شوفوا ليكم بلد تاني كمّلوا فيه مباراتكم دي! ثم قال الصيني بصينية مخلوطة مع عربي المنشية : أصلكم ما حتجيبوا مديدة تامزين! ساكت زحمة وتذاكر وجهاز فنّي على الفاضي! اليشوف جرايدكم الرياضية يفتكر نفسه في البرازيل!

مشهد ثالث

في بيت عزاء: الفاتحة، اللهم أغفر له وأرحمه، اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه وإن كان مسيئا ..

كان احد الحضور يحكي لشخص يجلس بجانبه ما حدث لهم بالأمس في صلاة الجمعة: الإمام نزل من المنبر وصلى بينا ، سلّم على اليمين وقبل ما يسلّم على شماله طلع واحد صيني المنبر، الناس إستغربت، انا قلت يمكن أجور الوعّاظ بقت غالية الحكومة جابت واعظ من الصين! الظاهر عندهم برضه هيئة علماء وكدة! الصيني طلّع ورقة قلنا ما شاءالله خطبة صينية! دي أكيد بتخلص بسرعة وبتكون عن السوق ومافيها سيرة نار ولا عذاب قبر! واحد من المصلين قال ليه نحن صلّينا، خطبتك دي خليها الجمعة الجاية! قال لأ دي ما خطبة، والجمعة الجاية انشاءالله تصلوا في بلدا طيرها عجمي! دة عقد شراء المنطقة دي كلها موثّق ومسجّل في المحكمة الدولية. لو سمحتوا أخلوا لينا المنطقة دي براحة!

قبل أن يكمل الرجل حكايته، ظهر نفس الأجانب وإنتشروا في المكان، تقدم نفس الرجل صاحب مكبّر الصوت الذي قام بإخلاء إستاد كرة القدم:

يلا يا اخوانا شوفو ليكم بلد تاني ابكوا فيه!

مشهد رابع: بيت عرس، كانت حلبة الرقص عامرة وفي اللحظة التي قام فيها زملاء العريس من السكارى الطيبين بحمل العريس الضخم حتى إنقطعت أنفاسهم بسبب العرقي الجيد وثقل وزن العريس، حتى أن احد حاملي العريس سأل جاره بنفس مقطوع: انت العريس دة كان كوز ولا شنو؟

لأ دة زول كويس، ليه قلت كدة؟

أمال جاب الكرش و(الجعبات) ديل من وين؟

حتى أنقذهم من عذاب (عتالة) العريس صوت الرجل صاحب الميكرفون: يلا يا جماعة شوفو ليكم بلد تاني ارقصوا فيه! الرقيص ذاته مش قالوا (هرام).

وكحل مؤقت لمشكلة الوطن، قبلت حكومة الثورة عرضا من شركة صينية لشراء كوكب منطادي صغير، يكون محلقا بالأجرة فوق المجال الجوي للوطن القديم الذي باعه الكيزان.

المشهد الخامس: مخفر الشرطة في جمهورية منطادستان:

في جدار المخفر في الخارج كتب بعض المتظاهرون بخط عشوائي جميل: الشرطة في خدمة الشغب! الضابط في الداخل جالس أسفل لوحة مكتوب عليها: الشرطة في خدمة الشعب. دخل أحد أفراد الشرطة يجرجر رجلا ملتحيا.

قال الضابط بدون أن يرفع وجهه:

تهمته شنو الزول دة؟

كوز !

حرامي يعني! وسرق شنو؟

لقيناه مزور عقد بيع ملكية جزء من المجال الجوي البيطير فيه المنطاد، كان من الجماعة المتعودين يسرقوا الارض ، كان مدمن على بيع الأراضي، هسع ما قادر ينوم، قال لو ما سرق واطة وباعها ما بيرتاح! وكت بقى مافي واطة داير يجرب يبيع الهواء!

أقوال الصحف من مواقع التواصل المنطادي: خطة متكاملة لنقل جمهورية منطادستان الى المريخ بعد أن أثبت العلماء إمكانية الحياة والموت هناك!

رئيس نادي الهلال يعلن رفض مشروع نقل الدولة الى المريخ! وفي حواره التلفزيوني أعلن رئيس نادي الهلال: (القمر دة عيبوا لي!) الناس دي كلها تغني للقمر عمركم سمعتوا ليكم زول غنّى للمريخ!

مقدم البرنامج: لكن الغنا حاجة والوطن حاجة!

رئيس نادي الهلال: كيف كلامك دة! الناس بتغني للوطن، الناس بتحب الوطن. نعم زمن الكيزان حكومتهم كانت بتحب الوطن حب تجاري، الكيزان كانوا يحبوا الواطة! من نشيد العلم ما بيعرفوا الا : هذه الأرض لنا! نحن نغني للأرض وهم يبيعوا في الارض ويجوا يغنوا معانا! لغاية قعدنا في السهلة! أقصد في الهوا! هسع الرئيس لو داير يعمل وثبة الا يطير!

نحن دايرين الناس يرجعوا يحبوا الوطن زي زمان.

قاطعه المحاور: مش وكت نلقاه في الاول بعدين نحبه!

مشهد سادس، في المخفر:

ودة كوز تاني سعادتك!

سرق شنو؟

ما سرق حاجة، الظاهر في إجازة اليومين ديل! لكن لقيناه واقف يبكي وكت المنطاد عبر فوق واحة في الصحراء.

البكاء ما ممنوع حسب الدستور! وبيبكي ليه! يمكن محتاج لشئ أو فقد واحد من أولاده!

قال الواحة دي كان مؤجرها من أصحابها، والظاهر كان مستفيد منها، وإتفق مع أصحابها يشتري جزء منها، دفع ليهم القروش وقبل يعمل التسجيل جات الثورة، واتضح ان حكومتهم قبل سنين حرقت النخيل وباعت الارض كلها لشركة أجنبية!

مشهد سابع:

نفس مخفر الشرطة:

ودة كوز تاني سعادتك!

سرق شنو؟

ما سرق، لكن لقيناه واقف يضحك بصوت عالي فوق السطح وكت المنطاد مرّ فوق نهر النيل!

الضحك ما ممنوع في جمهورية منطادستان حسب الدستور ، وبيضحك ليه (أب قلبا ميت)

سعادتك الزول دة حاسد!

الحسد ما ممنوع حسب دستور جمهورية منطادستان! وكيف عرفتوه حاسد وهو بيضحك بس؟

مبسوط، كان إستولى زمان على جزيرة في نهر النيل، وكت طردوهم من الحكم بعد الثورة، إتضح ان حكومتهم باعت الجزيرة وباعت البحر ذاته! وهو ما عنده خبر. هسع شاف الجزيرة غرقت بسبب ارتفاع منسوب النيل بسبب فتح بوابات سد النهضة ، قال ربنا إستجاب لدعائه

وكان (بيدعي) يقول شنو؟

كان بيدعو الله من سنوات، يقول انشاء الله سد النهضة يتهد وجزيرتي والبلد كلها تغرق!

نبهه الضابط: الدعاء حرية شخصية وليس ممنوعا حسب دستور جمهورية منطادستان.

عناوين الصحف في دولة منطادستان:

الهلال يرفع شكوى الى المحكمة الدستورية لإلغاء قرار إنتقال جمهورية منطادستان الى كوكب المريخ.

الوفد الحكومي يلتقي وفد حركة تحرير منطادستان في الدوحة!

إلقاء القبض على خلية كيزانية كانت تخطط لإنقلاب عسكري للإستيلاء على السلطة في جمهورية منطادستان! وإعلان المنطاد إمارة إسلامية.

الوزير الجديد سيؤدي القسم بعد ستة أشهر!

بجانب إحدى ستات الشاي في شارع النيل قريبا من القصر الجمهوري الصيني، دار هذا الحوار:

بالله إنت وزير؟

كيف ياخي!

إنت وزير وأنا وزير مين يسوق الحمير!

حمير شنو يا زول؟ إنت وزير دي سمعتها دعم سريع ولا شنو؟

انت وزير شنو؟

وزير الاوقاف وشئون الجن!

كويس الريس عمل وزير للحال الواقف دة.

لأ انا وزير اوقاف مش واقف! ولو ان برضو من اهدافنا رفع المعاناة عن كاهل الشعب.

انت دكتور ولا بروف ولا مهندس

لأ انا دكتور

دكتور شنو؟ ولا أديك خيارات: نساء وولادة، ولا جلدية ؟ أطفال، ولا مخ وأعصاب، أعصاب برضو كويس لأنّ (بشبش) دة (بوّظ) أعصابنا! ولا تكون بتاع اطفال لأنهم مساكين ما بيقولوا الزول دة إرتكب خطأ طبي!

لأ أنا عندي دكتوراة في نواقض الوضوء!

كويس، شهادتك من وين اصلي ولا تايوان؟

يا زول كيف تقول كدة انا شهادتي، حاشاها لا مضروب ولا منقول من النت بتصرف.

وشهادتك جبتها من وين؟

من كوريا الشمالية!

دكتوراة دي ولا صاروخ باليستي؟!

لأ دكتوراة!

وما لقيت في الدنيا كلها غير الولد المجنون دة تمشي تقرأ في بلده؟ هسع لو كان نمت وانت بتناقش الدكتوراة يملوك دخان بمدفع مضاد للطائرات!

عندهم علم تقيل، ديل اتحدّوا امريكا التي دنا عذابها!

يا زول اعمل حسابك انت ما دايرهم يرفعوا العقوبات ولا ايه؟

لأ ما خلاص الستة شهور خلصت الليلة!

علم شنو في كوريا الشمالية وعلاقته شنو بنواقض الوضوء؟

جات عليّ انا؟ عندنا زميلنا عامل دكتوراة في اللغة العربية في الصين!

دي تكون مضروبة!

أبدا اصلية لكن بس رخيصة شوية! هناك يدوك على حسب قروشك!

الاوقاف طيب فهمناها الجن دة شنو اوع يكون الجن الأحمر!

لأ، في الحقيقة نحن من الاستقلال ما فضينا من الشكل على الحكم عشان نعمل تنمية وكدة، مؤتمر الاستراتيجية الشاملة قرر ان نحن عشان نعوض السنين الضيعناها في الشكل دي، لا زم نستعين بالجن عشان نقدر نحقق التنمية المستدامة، ونرفع المعانة من على كاهل الشعب. شعارنا في الوزارة: جنا بتعرفو ولا جنا ما بتعرفو!

يعني شغلكم بس تعرفو الجن؟ وايه حكاية كاهل الشعب دي بتقولها كتير! انت من الكواهلة ولا شنو؟

لأ طبعا نحن بنقدم استشارات لأجهزة الدولة حول كيفية استخدام الجن. شعبنا كسلان شوية، بيحبوا يقيلو، واليطلع الفطور ما بيرجع الشغل. الكويس الجن ما بيقيل! وما بيطلع مظاهرات، عمرك سمت الجن عمل ليه عصيان ولا انتفاضة؟

يمكن برنامج اعادة صياغة الجن تكون نجحت! نحن ما قدرتو علينا!

والله نحن تعبنا معاكم جوعناكم وسرقناكم وعذبناكم، وبعد دة قاعدين زي الما حصل شئ، ناس (لوابيق) ناس غيركم كان انقرضوا بدري لكن هسع جاينكم بالجن! ما دام الجوع ما نفع!

وأديت القسم ولا لسة

لأ لسة!

ليه؟ جوا ساقوك قبل أداء القسم (للمزيد من التشاور)

تشاور في شنو ؟ لأ انا مشيت في الحقيقة لأداء القسم لكن ما لقيت محل اقيف فيه، لو عايز تأدي القسم الا تصحى بدري وتمشي تحجز الصف!

ليه دة أداء قسم ولا صف عيش؟ انت يمكن ماشي تعمل انقلاب؟! كيف زول يصحى بدري ويمشي القصر لو قاصد خير!

والله نعمل شنو ياخي، الوزراء كتار، وطبعا دة شعار المرحلة، وزير لكل مواطن، الشعب دة صعب ارضاءه، ناس جنهم سياسة، تمشي جنب ستات الشاي، النس كها تنضم في السياسة، تمشي شارع النيل بدل الحب، قاعدين سياسة! عشان كدة مؤتمر الحوار قرّر يكون في وزير قصاد كل مواطن وبي كدة نقدر نكبّر الكوم ونرضي وفد المنافي!

وفد المنافي دة منو؟

لأ دة ما زول، ديل جماعة كدة قلنا الحمدلله شردوا خلوا لينا البلد، أول ما سمعوا بالحوار والحكومة الجديدة عملوا وفد وجوا تاني! شردوا على حسابهم ورجعوا على حسابنا!

وهسع حتأدي القسم متين كان ربنا هوّن؟

أنا كنت عاوز أمشي القصر بالليل احجز محلي في صف القسم بي حجر، لكن قالوا لأ حنعمل جدول، لقيت في الجدول عملوا لي موعد بعد ستة شهور!

يمكن تكون محتاج واسطة ولا حاجة عشان تأدي القسم؟

واسطة أكتر من دة شنو تاني؟ (وأشار الى ذقنه الطويلة)!

لكن دي قالوا براها اليومين ديل ما بتأكل عيش! لو ساعدتها بدبّورة ولا شريط ! يمكن الأمور تمشي! أو تشمي الدعم السريع!

ويظل وزيرنا الهمام في إنتظار دوره ليؤدي القسم، حتى يساهم في رفع المعاناة عن كاهل الشعب ووضعها على كاهل (الجن الأزرق)!

أُغنية وطنية لحوار الوثبة الأبدية!

يتراجع اللحن من ذاكرة المغني السعيد، يستقرّ في عينيه، في خياله:

أشوفك بكرة في الموعد

تخيّل روعة المشهد!

قطع عليه سعادته بالموعد المضروب، ظهور قاض سكران أمامه :

الغنية دي شوف غيرها بتجيب ليك مشاكل!

ليه؟ دي طلبها العريس

دي فيها شروع في الزنا

تجرأ وقال للقاضي، من خلال أغنيته حتى يستطيع إنكار كلامه ان استخدم القاضي السكران بعض صلاحياته بحكم الدستور: خليك من الشروع انت ذاتك هسع سكران!

حذّره القاضي من مصير مجهول: أوع ياخينا بعمل ليك امر قبض!

بتهمة شنو؟

إزعاج السلطات العامة

السلطات هي القعد تزعجنا.

أعطاه القاضي الطيّب خيارات: خد دي طيب: إهانة المحكمة الموقرة!

وينها المحكمة؟ ولا عندك في جيبك محكمة (نقّالة)؟

ثم تراجع المغني حين لاحظ أن القاضي رجل طيب لا يرغب في اثارة المشاكل بل إحتوائها: ما مشكلة يا مولانا إنت تأمر، ولأنه كان يعلم ان معظم السكارى لا يحبون الاغاني المطاطية الطويلة(مثل مؤتمرات الحوار) التي تمجّد عذابات الحب، دون التوصل لأية حلول ترضي أية طرف، سوى إقتسام كعكة سُلطة الحب الصغيرة، فقد أعلن بفخر بسبب مقدرته الغنائية على القفز من أحضان الحبيبة، الى احضان الوطن، الى أحضان أية عابرة سبيل : بغني ليك حاجة خفيفة:

دق الباب وجانا..

انا جريت ليهو حفيانه..

ما قصدي الخيانة..

قصدي يقيّل معانا!

إنتهر فرصة لهاث الفرقة الموسيقية في فوضى ضجيج آلاتها المنتهية الصلاحية محاولين اللحاق به، وسأل القاضي الذي كان واقفا أمامه:

دي كيف اوع تقول لي شروع وبتاع!

شروع شنو دي ني .. عديل! (صُفارة هنا بدل الكاف!) ما تسيب الحجج الميتة دي وشوف لينا حاجة لي مصطفى!

إنت متأكد لي مصطفى؟ إنت شغال في الحكومة ولا شغّال في الطابور الخامس؟

لأ انا قاضي قطاع خاص! تبع محكمة الاتصالات!

ياشيخ تلب انزل كبكب

وارمي الحترب... في الميضنة

في الباردة تعب لي الحارة تسب ..

عجمان وعرب في الميضنة

عبر بجانبه رجل أمن: دي حفلة ولا إنتفاضة مدعومة بالسلاح! ،يا خينا الغنية دي غيّرها! دي ضد المشروع الحضاري ومشروع الاسر المنتجة ومشروع السليت!

مثّل المغني دور الغباء والببغاء: ضد المشروع الحضاري ومشروع الأسر المنتجة ومشروع السليت؟ ليه؟

انت ما عارف ليه! دي فيها دعوة عامة للعصيان المدني! أنا مستغرب كيف لغاية هسع ما في بمبان ظهر ولا رصاص مطاطي!

بحث المُغني عن أغنية محايدة في ذاكرته، ترضي جميع الأطراف، أغنية لا تُغضب الحكومة ولا المعارضة، أغنية تمجّد الحوار (المجتمعي)!

فاوضني بلا زعل!

ياخى طمنى أنا عندي ظن!

أنا كنت نازل فوق البحر و بي خيال حبيبي فكّر!

جاء أحد السكارى مُبشرا ومنذرا: دي غُنية ولا أبوجا تو؟

فاوضني بلا زعل

عارفني أنا في خطر!

أقترح أحد السكارى جاء يُبشّر لحظة الخطر: ما دام فيها مفاوضات بدل عارفني انا في خطر قول: عارفني أنا في قطر!

نجحت الاغنية الحوارية بعكس حوار الوثبة الذي اتضح انه استمر لعدة سنوات فقط ليقتسم المتفاوضون كيكة السلطة والثروة، التي مضت تتضاءل مع مرور السنوات، بينما انشغل

المتحاورون بالحوار حولها، بسبب الأزمة الاقتصادية. حين انتهى الحوار لم يكن قد تبق من الكيكة سوى قطعة صغيرة تكاد لا ترى بالعين المجردة، لا تكفي لفأر صغير (دعك من تماسيح حوار الداخل وتماسيح المنافي الذين تكبدوا مشاق الحوار والحضور من بلاد تموت من البرد تماسيحها!) تضاءل حجم كيكة السلطة والثروة بسبب التضخم وانهيار العملة الوطنية والعقوبات الامركية والطابور الخامس.. الخ الخ (مثلما يقول المذيع في نشرة الاخبار)

حملت الأغنية الحوارية بعض السكارى من أعداء الحوار المجتعي، لتدبير محاولة انقلابية، تقدم أربعة من المترنحين وحاولوا إنتزاع المايك، رافعين يافطة: سلّم تسلم! . لكن المغني الذي كان سعيدا بأول حفل يحييه كاملا، بعد سنوات من محاولة احتراف الغناء، لم يتنازل أمام التجمع الانقلابي، تمكن من الحفاظ على عرشه الفني، بدون أن يطلق ولا حتى طلقة واحدة. رغم أنه سيحاول في بعض اللحظات استخدام طاقة الحب في اغنياته الحزينة وحشوها بأوهام الفشل، لاطلاق طاقة تعذيب وطنية في صورة صواريخ باليستية محشوة بالدلاقين بدلا من الرؤوس النووية. حتى ان بعض السكارى انخرطوا في البكاء وظهرت على بعضهم اعراض التعرّض للغازات المسيلة للدموع، أو متلازمة الاحتجاز لفترات طويلة في بيوت الاشباح.

يتشبس بالمايكرفون مثل غريق يتعلّق بطوق نجاة.

عاقبه السكارى بإقتراح من جنس العمل: الغناء الى الأبد!

أعلن في البداية بهلع معتقدا ان أبد السكارى يبدأ عند شروق الشمس: الابد دة بيجي متين؟ بخلص انا في الاول ولا الحوار المجتمعي؟

عند الفجر كان المغني قد بلغ به الاجهاد مبلغه، حاول أن يوضّح للسكارى الطيبين الذين لم يصدقوا ان الانسان يمكن أن يناله التعب من مجرد ممارسة ترف فرح الغناء! أنه إستنزف كل طاقته وما بقي لديه من الطاقة لا يكفي ولا حتى لأغنية هابطة خفيفة، من النوع الذي يمجّد الحب الجماعي! (راجل المرة حلو ..الخ الخ)

أوضح له أحد السكارى وكان يعمل مدرسا للغة العربية قبل أن يسكر: أنت تُضاجع الفرح، كيف يتعب من يُضاجع الفرح!

وتساءل أحدهم ببراءة: وهل حين يضاجع الفرح يلد أيضا أطفالا؟

قال مدرس اللغة العربية: لا.. بل يتوالد الفرح نفسه، ويندلح (كما يقول مذيع الربط (الذي لا يحل ولا يربط) في التلفزيون) في دوائر من الشوق والنوى ويعم الدنيا!

قال المغني المرهق وقد أغراه الشوق والنوى ليعبث على الهواء، فأعلن أثناء اغنيته: وما دخل الفن بالتمر! يا أبتاه! هل تقصد انه يزدهر في ايام حصاد التمور، أم لأن بعض الخمور تصنع من التمور!

قال مدرس العربية: من ذكر التمر يا أخي؟

ألم تقل النوى يا أخا المعلمين والمعلمات، الأحياء منهم والأموات!

كيف أصبحت فنّانا وأنت لا تعرف الفرق بين النوى والنواة؟

هل هو نفس الفرق بين الدوا والدواة؟

سئم مدرس العربية حوار الطرشان وإنسحب الى الخلف!

حاول المغني أن يوضح للسكارى: يا اخوانا أنا موظف حكومة. الناس ديل بيرفدوني لو ما مشيت الشغل بكرة في المواعيد.

قال السكران الاول: ما مشكلة ، انت زول فنّان، عندك صنعة في يدّك!

قال السكران الثاني: قصدك صنعة في خشمه!

وقال سكران آخر لم يكن يبدو ثريا، فقد كان حافيا وملابسه ممزقة، لا من البهجة بل من العوز: ما مشكلة تعال اشتغل معاي!

سأله المغني من خلال الاغنية: إنت شغال شنو؟

ضحك السكران المفلس وأشار إشارة مبهمة نحو العالم النائم في الخارج في فوضى الفجر: شغّال هناك! أنا عندي حقوق عند الناس كلهم بلمها شوية شوية!

اشتكى المغني مرة اخرى داخل الاغنية انه مرهق جدا ولا يستطيع المواصلة لكن السكران الطيب اقنعه ونصحه نصيحة غالية:

من يجد فرحا في هذا الزمان الصعب ثم يتركه ويذهب لينام! حين تجد فرحا لا تفرط فيه والا ستندم، يمكنك النوم لعدة سنوات ان شئت ولن يأبه بك انسان. لن يهتم احدهم حتى بايقاظك، ما ان تستيقظ حتى تبدأ في الشكوى من كل شئ من حولك: الحكومة، الكهرباء المقطوعة، المياه الملوثة. القطارات التي لا تأتى، المواصلات العامة التي تحتاج لملاكم سابق كي يستقلها، الاخرين لا وقت لهم ليستمعوا لشكاوي فنّان مغمور، حين تجد جوا بهيجا، بل وتشارك في صنع هذا الجو، يجب أن تصمد فيه الى الأبد!

قاطعه المغني المنهك: أتعني ان هذا الحفل سيستمر سنوات؟

وما المانع؟ إن كان العريس نفسه لا يتعجل نهاية الحفل، لماذا العجلة اذن؟ ألم تسمع القول المأثور: في العجلة الندامة؟ هل تهوى المشاكل؟ تريد العودة الى الحياة اليومية؟ لا يوجد خبز، لا يوجد دواء للأطفال! الخبر السعيد الوحيد الذي تسمعه:الكهرباء مقطوعة! فنحن لا نملك مالا لشراء كهرباء مقطوعة على كل حال، فأفضل ان تظل مقطوعة! حتى لا يكون بيتنا هو الوحيد المظلم في الحي كله!

لكن السلطة لا تسمح بذالك! السلطة لا تحب أن يفرح الناس لفترات طويلة!

بالعكس لا يريدون أن يخرج أحدهم في مظاهرة تهدد عرشهم! اذا انشغل الناس بكل شئ فالسلطة تسعد بذلك. ألم تسمع بحاويات المخدرات التي عثر عليها في الجمارك؟ من سيجرؤ على استيراد مخدرات هكذا غير السلطة نفسها! السلطة تريد أن يغيب الناس عن الوعي! يجب تغيير اسمها من السلطة الى (السُطلة) الدين نفسه تستخدمه السُطلة كمخدر آخر، لا ذنب لنا ان لم تهطل الامطار هذا العام! من يريد ان يشتكي فليشتكي لله! نحن لا ذنب لنا، نحن انفسنا ضحايا عدم الاستجابة لدعائنا برفع البلاء! اصلحوا من افعالكم حتى تستجيب العناية الالهية لدعائكم! ترتكبون الذنوب وتلقون باللوم على الحكومة! هذا ليس عدلا! أنا امامك غائب عن الوعي منذ ثلاثين عاما، كل يوم أكون في حفل ما حتى الصباح، مرة واحدة ارتكبت خطأ فادحا، بدأت الشراب مبكرا وحين حل المساء خرجت ابحث عن حفل، سمعت صوت موسيقى فقصدت مكان الحفل، وجدت رجلا يتحدث، قلت لا بد ان الحفل سيبدأ مجرد أن يفرغ الرجل من كلامه! فجأة اندفع رجال الأمن وحاصروا المكان والقوا القبض على جميع الموجودين عندها اكتشفت ان الرجل كان يشتم الحكومة ويدعو للثورة!

قال لي رجل الأمن انت مخمور! مع انني كنت التقى نفس هذا الرجل يوميا وانا مخمور لكنه لم يشتم رائحة الخمر التي تنبعث مني كل يوم بنفس الكثافة الا حين تورطت في نشاط سياسي ضد النظام! شرحت له انني حضرت بالصدفة وكنت اظن في المكان حفلا، فحص سجل سوابقي وصدقني، قال لزملائه : هذا رجل شريف يحب النظام فلا مانع ان نتركه يستمتع أحيانا ببعض الخمر، انه لا يستمتع بها لنفسه، لكنه يحتفل بانجازات الثورة المجيدة التي اشاعات السعادة والفرح حتى سكر الناس بدون خمر وانطربوا بدون طرب!

منذ لك الوقت اصبحت حين اهجم على حفل ما أتأكد اولا ان هناك فرقة موسيقة ومغن على وشك الغناء وانه لا توجد لافتات تندد أو تشجب! مرة واحدة شاركت في موكب شجب، حين لم نجد عشاء في الحفل، كان صاحب الفرح فقيرا، إستدان لكي يكمل فرحه، كان يبتهج ويرقص بالدين!بفتح الدال! حين لم نجد عشاء هجمنا على المغني وحملناه فوق اعناقنا، لم يكن ذلك من فرط الطرب بل من فرط الجوع! يميل الانسان لعمل اشياء جنونية حين يكون جائعا، كان ذلك إحتجاجا فنيا موجعا، حتى ان صاحب الحفل وبسبب توقف الفنان، اضطر للاستدانة مرة اخرى ليجلب لنا طعاما!

النمل الصيني يحتلّ حواشة المواطن عبد النبي!

المواطن عبد النبي يجلس في برلمانه الخاص، سرقت الحكومة حواشته فإحتلّ صينية مرور، يجلس في منتصف النهار، يرتاح قليلا من عناء شتم الحكومة، ليشرب كوبا من الشاي ناولته له إحدى بائعات الشاي التي تعسكر قريبا منه للإسترزاق من بعض المواطنين الذين يحضرون لسماع شتائم المواطن عبد النبي في الحكومة، فيشعرون ببعض الراحة لأنّ أحدهم يستطيع التعبير بنفس ما يجيش في نفوسهم، تنهال عليه أسئلة ساخرة من بعض المارة الذين يعتقدون أن الرجل اشترى صينية المرور التي يقيم فيها ويمارس عمله كبرلماني متطوع، ولأنّ الوطن كله كان معروضا للبيع السريع، فلن يندهش أحد لبيع صينية مرور! كان يرد دائما بعبارته التي من فرط كثرة استخدامها في الحياة اليومية، باتت ردا قياسيا على كل الاسئلة التي لا يجد لها إجابة:

وقعت ليك بي كم الصينية دي؟

بالقديم ولا بالجديد؟

الساعة هسع كم؟

بالقديم ولا الجديد

الدولار عامل كم الليلة؟

بالقديم ولا الجديد

عندي موعد الليلة مع دكتور الاسنان الساعة سبعة مساء!

بالقديم ولا بالجديد؟

في مسرح في الساحة الخضراء، قريبا من صينية عبدالنبي الذي جذبته الضوضاء، تجمّع عدد من المواطنين بسبب شائعة وجود مناسبة حكومية مفتوحة بها طعام وشراب.

تقدّم كوز من العيار الثقيل (وزن الدبّابة) تفوح منه رائحة اللحم الأحمر الحرام، حين همّ بصعود السلم الخشبي القصير للصعود الى المنصة الخضراء، تحطّم السلّم الخشبي وسقط الكوز وتدحرج متمرغا في النجيلة حتى أصبح لون جلبابه أخضرا، بسبب التمرغ الحاد في النجيلة، نتيجة ثقل وزنه، لولا رهق الجوع وضعف (البطاريات) لسمع بعض الحضور صوت (كواريك) النجيلة حين (هرسها) الكوز (الجقة). بدا (طويل أخضر قيافة) كأنه من (حيران) أحد الطرق الصوفية، وحين رفع يده طالبا المساعدة إتضح أنّ يده أصبحت أيضا خضراء من غير سوء.

إحتاج الأمر لعشرين رجلا من العصبة أولي القوة لرفعه من الأرض الخضراء، ووضعه فوق أرض المنصة، رفع يده الخضراء ووضعها فوق أرض الطيبين (ربما تمهيدا لبيعها) طلب كرسيا يجلس عليه ويخطب.

تساءل أحد الجوعى: هل سيخطب أم سيصلي؟

حضر المواطن عبدالنبي بحثا عن حل لمعضلته، أصيب بصدمة حين وجد الكوز الضخم، لكنه طمأن نفسه قائلا: يجعل سرّه في (أتخن) خلقه! قبل أيام ذهب الى حواشته كالعادة فوجدها مليئة بالغرباء.

جيت لقيت ناس قُصار صُفر، شغّالين في الحواشة، أنا من بعيد قايلهم نمل، قلت ليهم الحاصل شنو، جابوا واحد منهم بيتكلم عربي، قال لي الحواشة الحكومة باعتها لينا، الحكومة عاوزة منك قروش عشان كدة صادروا المعروضات!

وقف في إحدى صواني الحركة يشتم الحكومة، شتم رجال اللجان الشعبية، فلم يرد عليه أحد، شتم الشرطة فلم يهتم به احد، شتم القاضي الذي أمر بشطب البلاغ، لم يهتم به أحد، فشتم المعتمد الذي رفض تسلّم عريضته وكاد يعتدي عليه بالضرب لولا تدخل بعض الناس، ثم شتم مجلس الوزراء الولائي، ومجلس الشعب الولائي، ومحافظ مشروع الجزيرة. لم يحرّك أحد ساكنا فشتم الوالي، ثم شتم مجلس الوزراء الاتحادي، وشتم مجلس الشعب الاتحادي، والهيئة العامة للإستثمار، ومؤتمر الحوار الأبدي، ثم بدأ يشتم مساعدي الرئيس فإستغرق عدة أيام من الشتم، قبل أن ينتقل الى نوّاب السيد الرئيس، شتم النائب العاشر

شتيمة الألفاظ: (العاشر في شنو؟ هي مدرسة؟ إنشاء الله يعشّروك بالكلب!) ثم شتم على التوالي: النائب التاسع والثامن والسابع والسادس والخامس والرابع مشترك والثالث والثاني، وإختتم بالنائب الأول. حين شعر أن الجميع كانوا مشغولين بالنهب العام ولم يهتم أحد لمصالح مواطن مظلوم، قرّر تصعيد القضية الى أعلى مستوى: شتم السيّد الرئيس! (عامل فيها مشير! والله وكيل عريف كتير عليك! الكضب عندك اسهل من شراب الموية، بقيت مزارع عشان مرتبك ما مكفيك؟ المراسلة بتاعك مشتري بيت في الخليج بخمسة مليون دولار) وختم خطبته القصيرة بالدعاء السرّي: اللهم سلّط عليه أوكامبو! ما أن فرغ من نطق حرف الواو في آخر كلمة أوكامبو، حتى توقفت عدة عربات حول الصينية، خرج منها أعداد هائلة من البلطجية إلتفوا من حوله مثل النمل الصيني الذي إحتلّ حواشته وحتل فيها، وإقتادوه الى إحدى عرباتهم، كانوا خليطا من الأمن الشعبي والأمن الوطني والأمن الاجنبي والأمن الوقائي والجهاد الالكتروني والجهاد اليدوي، والدعم السريع. أوقفوا العربات في منطقة نائية وسحبوه خارجا في الخلاء، ضربوه ضرب غرائب المتمردين، وتركوه هناك بين الحياة والموت.

عاد بعد عدة أيام ليمارس ديمقراطية صينية المرور بعد أن تأكد (بصورة عملية) من الخطوط الحمراء التي يجب عليه عدم تجاوزها، يمكن شتم الجميع، لكن يجب أن تتوقف دائما قبل (أبّو كبير) بعدة أمتار! شعر ببعض الهدوء وواصل الشتم من أسفل السلم بعد أن أطمأن لفعالية نظام الرقابة القبلية الذي إبتدره .

وجده طلاب الجامعة الذين خرجوا احتجاجا على قتل ميليشيات الحكومة أحد زملائهم، يشتم الحكومة ويصف مسئوليها بلصوص الأراضي والمال العام، فرفعوه على الاعناق ما ان استقرّ فوق أعناقهم حتى نسي القضية الوطنية وتذكّر قضيته:

يسقط لي كه تشيانغ! (رئيس جمهورية الصين)!

فأنزله الطلبة أرضا على الفور.

حكى لجاره في الساحة الخضراء مشكلته، اشار الرجل الى الكوز الماكن وقال:

الزول الضراعه خضراء دة يمكن يقدر يرجّع ليك حواشتك!

قال عبد النبي: وين في كوز ضراعه خضراء؟

قال الجار: يمكن أمه زمان كانت بتدعي تقول ليه ربنا يخضّر ضراعك! وأهو ربنا إستجاب لدعائها!

أنا خايف بعد يرجّع حواشتي من الصينيين، يخت يده الخضراء فوقها

أعلن الكوز الأخضر: بالله جيب لي المكرفون دة، بعيد مني شوية، قبل أن يصيح:

الله اكبر.. الله أكبر.

قاطعه المواطن عبد النبي: القديمة ولا الجديدة؟

لم يهتم الكوز بالرد عليه، كان معتادا على تجاهل منتقديه ممن فازوا بالتزوير في برلمان الحكومة، فطبيعي الا يكترث لبرلماني صينية المرور، علّمته التجارب أن من أحتاجوا لأصوات مزورة أكثر تضمن لهم الفوز هم الأعلى صوتا في البرلمان! وأن من فازوا بأصوات الموتى هم الأكثر هدوءا والأكثر نوما تحت قبة البرلمان، كأنّ الموتى يصيبونهم بعدوى الهدوء الشديد! او كأنّ الوفاء الشديد للموتى الذين دعموهم بأصواتهم يحتّم عليهم الدخول في موات برلماني!

أبشروا ايها المواطنون الثوّار الأحرّار: اليوم نعلن لكم إفتتاح: المصنع (النووي العالمي) لإنتاج طائرات الدرون!

إنتظر الكوز الأخضر حتى يلتقط أنفاسه ويعطي فرصة للجمهور ليهلل ويكبّر إحتفالا بثورة الدرون الطائر.

لكن الحضور كلهم بقوا في أماكنهم وكأنّ على رؤوسهم الدرون!

يا اخوانا الحاصل شنو ما تصفقوا، ما فيش ولا حتى تهليلة!

أعلن المواطن عبد النبي نيابة عن الحضور: والله بالجوع ما قادرين! أحسن تخلص من كلامك كله عشان نحاول نصفّق ونهلّل ونخلص مرة واحدة، لأنّ أكتر من مرة واحدة بيبقى صعب شوية معانا!

نحن قايلين في عشاء! الموضوع طلع درون!

والدرون بي كم اليومين ديل؟

قال الكوز الشبعان ببساطة وكأنه يتحدث عن (طرّادة): عشرة مليون دولار

بالقديم ولا الجديد؟

والدرون دة بيعمل شنو؟

بيطير!

وليه عشرة مليون؟ بيطير براه ولا شنو؟

هو فعلا بيطير براه!

يطير يمشي وين؟

بيستعملوه العلماء!

قصدك هيئة العلماء؟ عشان يشوفو بيه هلال رمضان يعني؟

لأ أنا قاصد علماء الأرصاد عشان يتنبأوا بالجو!

والجو داير ليه درون بعشرة مليون دولار بالقديم، أديني مية أنا بوريك الجو بكرة، كتاحة وحر، جاف حار صيفا ، حار ممطر خريفا! المجاري طافحة والكهربا قاطعة، دي الدرون ذاته ما يقدر يعرفها!

بعدين افرض بكرة قلت لي في مطرة مثلا حأعمل شنو؟ في واحد زمان سأل قدام واحدة عجوز قال ناس النشرة الجوية في التلفزيون ديل مالهم دايما شينين وعيانين!

العجوز قالت عشان بيدخلوا في كلام ربُنا! بعد اسبوع في كتاحة وبعد تلاتة يوم في مطر!

يعني الدرون بيكلف عشرة ملايين دولار بالقديم، ولا دي شاملة الضرائب والزكاة ودمغة الجريح ورسوم القناة الفضائية!

قال الكوز ساخرا بضيق من إلحاح المواطن عبد النبي، كثرة أسئلته وقِلة تهليله: لو داير واحد أنا بديك بخمسة!

طيب ما تدوني درون بدل الحواشة ونكون كدة (درون)!

برلمان الصين يعقد جلسة خاصة في الخرطوم!

سعادتك الطيارة الصينية الرسلتها حكومة الصين عشان رحلة سعادتك الرسمية للصين وصلت !

طيارة صينية؟ تقليد يعني؟ ما لقوا ليهم طيارة أحسن شوية؟ والمشوار طويل نعمل شنو لو المكنة (بطّلت) في السكة؟ حيبقو علىّ أوكامبو والطيارة؟ طيارة صينية دي يركبها نائب أول! لكن رئيس؟ دايرين يلحقونا أمات طه!

لأ سعادتك الطيارة ما صينية اقصد يعني صناعتها ما صينية هي بس طيارة تبع الحكومة الصينية!

اشتروها من وين؟

ضحك المساعد وقال والله ما عارف، يكون بدّلوها بالعِدّة الصينية مع الامريكان!

كان كدة ما مشكلة، طمنتنا شوية، أها نتحرك بالليل أحسن عشان اوكامبو والجماعة بيكونو نايمين، لغاية ما يصحو نكون نحن في بلدا طيرها صيني!

المشكلة الليل عندنا نهار في بلد أوكامبو، لكن ما تشيل هم سعادتك دي طيارة صينية رسمية مافي زول يقدر يقرّب منها،

يا زول خير. خلاص نفطر ونتحرك. والاكل كيف هناك؟ حلال؟ انا خايف الجماعة ديل يضبحوا لينا كلب!

ما مشكلة ممكن نشيل معانا خروف احتياطي وشوية دجاج ولو حلفوا علينا، ناكل عندهم رز وسمك!

لحسن الحظ وصل الطائر الصيني الميمون الى بكين سالما. هبط السيد الرئيس ومرافقيه، بينما بقي السيد الخروف داخل الطائرة..

أثناء استعراض حرس الشرف سمع الناس بوضوح صوت: باع .. باع .. باع، من داخل الطائرة التي أقلّت الزائر الكبير.

اللقاء الرسمي مع الرئيس الصيني: جلس المترجم الصيني بين الفخامتين:

اولا نشيد بقرار البرلمان بتاعكم بتعيينكم رئيسا مدى الحياة دي البرلمانات ولا بلاش

المترجم: ماذا تعني بلاش سيدي الرئيس؟

بلاش يعني ما ضروري.

دي البرلمانات ولا بلاش، مش زي البرلمان بتاعنا، شلة أوانطجية، كيزان حرامية وسماسرة، ، يجوا المجلس ينوموا ما يصحوا الا يقولوا ليهم في زيادة مرتبات

المترجم: ما معنى أوانتجية يا فخامة الرئيس؟

أوانتجية يعني ناس رمم ساكت

المترجم: ما معنى رمم ساكت يا فخامة الرئيس

يعني ناس لبط، دلاهات

ما معنى لبط دلاهات سيدي الرئيس؟ هل هذا اسم شخص ما؟ ربما تقصد رئيس البرلمان في بلادكم!

يا اخوانا دة مترجم شنو الجايبنو عربي ما بيعرفو

سيبك من لبط دلاهات وقول ليه نحن جايين طالبين الحماية. الروس حيحمونا من الامريكان، دايرنكم انتم تحمونا من الشعب. دايرنكم تجوا تعملو لينا جلسة للبرلمان حقكم في بلدنا عشان ناسنا يتعلمو الممارسة الديمقراطية الصحيحة وأهمها ان الرئيس يجب ان يظل في مقعده الى يوم الدين! وكمان جيبوا لينا من ناسكم القُصار ديل شوية بنديهم الجنسية، جنسيتنا غالية شوية بالدولار لكن ما تغلى عليكم. ممكن نعمل لي ناسكم ورق مضروب يكون زي بضاعتكم مهاود شوية!

المترجم: ماذاتعني بيوم الدين سيدي الرئيس؟ هل تعني حتى يموت الرئيس؟

أيوة حتى يموت الرئيس فال الله ولا فالك، أو يموت أوكامبو أو يموت الشعب الفضل!

الرئيس الصيني، لا مانع لدينا من ترتيب حضور البرلمان الصيني الى بلدكم سيدي الرئيس، لكنني اتحفظ على ذلك قليلا.

قال الرئيس للمترجم: اسأله لماذا يتحفظ قليلا؟ هذه الزيارة مهمة لكم ايضا يمكن لنوابكم الاطلاع على تجربتنا العظيمة، لقد أعدنا صياغة الشعب، عصرناهم عشان يعتمدوا على نفسهم وينسوا حكاية الديمقراطية والكلام الفارغ دة، خليناهم يعتمدوا على نفسهم في كل شئ، الحكومة عندنا لا تتدخل في اي شيء، بعنا كل المؤسسات الحكومية عشان المواطن عندنا اما يتعلم يعتمد على الحكومة ، المواطن عندنا يبني المدارس والمستشفيات ويقوم بكل شئ.

رطن المترجم على مع الرئيس ثم قال: يقول الرئيس انه يشفق على بلدكم الفقير من زيارة البرلمان الذي يتكون من عدة ملايين من النواب، وسيكلفكم استضافتهم مالا كثيرا انتم في اشد الحوجة له لبناء المستشفيات والمدارس ودعم الخبز والوقود وتوفير الدواء للمرضى. لقد سمعنا أن النوّاب عندكم يعشقون النوم في البرلمان، لذلك لا يستهلكون الكثير من الطعام والشراب أما نوابنا فلا ينومون ابدا بل يعملون ليلا ونهارا من اجل رفاهية شعبنا. اقترح عليكم ان يحضر مجلس الوزراء الصيني الى بلدكم، عندنا عشرة وزراء فقط في الصين سمعنا ان عندكم في بلادكم وزير لكل مواطن...

قال الرئيس: أفو، أنحن بحرنا طامح وللبعومو دميره .. نحن نكرم الضيف نعز الجيره، خلي البرلمان يجي انشاء الله مليار لو الواطة ما شالتهم بنشيلهم في كافوري!

وقال المترجم: هل تعني ان أعضاء برلماننا سينامون عندكم على الأرض؟ سمعنا انكم بعتم الأرض في بلادكم هل انت متأكد يا صاحب الفخامة ان هناك ارض تكفي لنوم نوّاب برلماننا؟ وما معنى أفو ومعنى دميرة ونعز الجيرة سيدي الرئيس؟

يا اخوانا المترجم الصيني دة حركة شعبية جناح الشمال ولا شنو؟ الأرض راقدة قدر ما نبيع أبت تكمل، الداير واطة كله يجي علينا بجايي، بعدين في زول ما عارف الدميرة؟ وكت البحر يقوم ؟

يقوم يمشي وين يا فخامة الرئيس والبحر عندكم قاعد يعني؟ ومرّات يقوم؟ وتاني يرجع يقعد؟

فتر الرئيس من العراك مع المترجم فقال لوزير الخارجية: عليك الله حاول اتفاهم مع الزول دة، ما عارف حاجة مسكين، انا ما عارف عينوه كيف؟ يكون كوز يا واسطته قوية!

زار البرلمان الصيني الوطن، الوفد يتكون من سبعة ملايين نائب أتوا على كل المحصول الاستراتيجي من الفتريتة وقضوا على الارز في الاسواق لكنهم اقنعوا الشعب الفضل بأن يبقى السيد الرئيس في السلطة الى الأبد.

بعد سفر البرلمان الصيني، أعلنت الحكومة أن الفجوة الغذائية (الاسم التأصيلي للمجاعة) التي ظهرت في الوطن مع بزوغ (شمس) الإنقاذ قد اتسعت وتحولت الى ثقب أسود بسبب غزوة البرلمان الصيني!

محاولة إغتيال الوالي!

كانت السيارة القديمة تكاد تتفكك الى قطع صغيرة وهي تسابق الريح في الأرض غير الممهدة بين كرمة النزل وأرقو. كانت هناك ثلاث سيارات تسبقها في الطريق لكن صديقنا السائق كرم الله أصر على ان يسبقها جميعا. تصاعدت سحب التراب الناعم مثل الدقيق الى السماء، بفضل عراك السيارة مع نفسها ومع الأرض. بعد قليل، حين سبق السيارة الاولى ،أعلن لى: قول واحد!

قلت واحد فيما ضغط هو (دوّاس) البنزين حتى كاد الموتور يمزّق غطاء الماكينة وينطلق الى الفضاء بدلا من البقاء داخل صندوق العذاب هذا المسمى تويوتا هايلوكس موديل 1981. رأيت السيارة الثانية داخل الغبار وتعرفت عليها. حين أعلن : قول اتنين. فرحت أنا ايضا هذه المرة. كانت السيارة الثانية تخص أحد جيراننا. قبل أيام كنت اقود سيارة قديمة إستلفتها من أحد الاصدقاء. توقفت السيارة في منتصف الطريق. ربما لأنها معتادة على ذلك، (ومن خلّى عادته قلّت سعادته) لم تكن العربة القديمة راغبة أن تقل سعادتها، خاصة أن السعادة في تسعينات الانقاذ باتت كائنا غريبا لا يمشى على ساقين، بل يطير بجناحين بعيدا عن الناس وحيواتهم. باتت السعادة سلعة نادرة، أصبحت مثل الغول والعنقاء والخل الوفي. المهم حرنت السيارة. إعتقدت أنها تحتاج لدفرة كعادتها. حيث يبدو أنها أصبحت مدمنة على حكاية الناس بالناس، أو العربات بالناس. حين خرجت من السيارة إكتشفت أن اثنين من عجلاتها كانت فارغة تماما من الهواء المباح، حتى لامس عجل الحديد الأرض وإختلط بالتراب. وقفت محتارا، وفجأة سمعت صوت سيارة قادمة، توقف جارنا جاد الله. كان جارنا مشهورا بطول عضوين مهمين في جسمه: اليد واللسان! توكلت على الله وأخبرته انني بحاجة الى (لستكين)! دهش من حكاية أن يفرغ (لستكان) من الهواء في نفس الوقت! تردد قليلا ثم أعطاني (لستكين) احتياطيين كان يحملهما لحسن الحظ، وهو يتذمر أنه في طريقه الى مشوار بعيد وربما يحتاج الى اللساتك الاسبير. ولمعرفتي بعدم

اهتمام صديقنا بمعدات سيارته. استوقفت جارنا جاد الله حتى أبحث عن الرافعة. ومفتاح العجل، وكما توقعت لم أجد لهما أثرا (بعد عين). أحضر جارنا الاشياء المطلوبة وهو يسب ويلعن! ولسوء الحظ كانت سيارته ملأى بالبشر فقد كانوا يتجهون لحضور مناسبة زفاف في مكان ما. أعلن لي بصوت جهوري سمعه كل من في السيارة وفي القرية وهو يغادر: متين تجهزوا عرباتكم قبل تطلعوا مشوار زي الرجال؟ ثم تساءل محتاجين حاجة تاني. نفك ليكم المكنة ولا عندكم؟!

لحسن الحظ كانت توجد ماكينة في السيارة. لا بد أن الماكينة تدخل ضمن تجهيزات (الرجال) لسياراتهم كما أعلن جاد الله. ذات مرة ذهبت مع صديقي لترخيص السيارة. طلب الشرطي أن يرى الماكينة. قبل أن نجازف بفتح الكابوت، بسبب خوفنا من إنكشاف عورة السيارة، أمام شرطي غريب، قد يقدم على التحرش بها (مثل الدبلوماسيين). تصرّف أحد الاصدقاء الذين رافقونا، بدافع الرغبة في (السترة)، (غمت) للشرطي الهميم مبلغا من المال. كان المبلغ قليلا جدا، لكن من قال أن رجال الشرطة طمّاعون؟ الشرطي مثله ومثل أية مواطن قنوع طيب، يرضى بالقليل، كان المبلغ القليل كافيا ليصبح الشرطي، شرطيا أليفا وطيبا مثل قط أليف. حين رفعنا غطاء الكابوت عن (عورة) السيارة. لم نر شيئا في البداية بسبب الدخان الكثيف، ثم تكشّف المنظر عن حبال ودلاقين تثبّت بقايا ما كان يعرف بالماكينة. إحتار الشرطي في البداية. لم يعرف ان كان ينظر الى ماكينة عربة أم مركب شراعي. وضع يده فوق جيبه حيث العملة الورقية التي تسلمها للتو، كأنه يتأكد انها موجودة ولم تتبخر بفضل التضخم. ثم تساءل وهو ينظر الى الحبال والدلاقين: فراملها شغالة؟

تنهد صديقنا مرتاحا وقال: شغالة زي الكلب! إكتفى الشرطي بالاجابة الكلبية.يبدو أنه يؤمن بتفوق الكلاب، وأن أي كلب مثلما لديه حاسة شم قوية لديه أيضا فرامل جيدة. قبل أن يشرع قلمه ويضع توقيعه على الورق معلنا بأن كل شئ تمام التمام!

كنت قد سرحت قليلا حين أعلن السائق: قول ثلاثة. نظرت الى الخلف فوجدت العالم يكاد ينهار من فرط فوضى الغبار. بقيت أمامه في المدى سيارة واحدة، كانت تسير مثل الصاروخ، صرخ السائق بصوت أشبه بصوت موتور سيارته. عربيتي قاعد أصرف عليها، لازم هي كمان تديني زي ما أنا بديها!. لم أكن أعرف حتى تلك اللحظة أن السيارات تحفظ الجميل مثل بعض البشر. وأن السيارة حين تهتم (بعمرتها) وزيتها وشرابها. تكافح بكل طاقتها كي تبقيك في المقدمة. بعد مناورة ترابية سريعة أعلن كرم الله: قول أربعة! كنت قد

تعبت من القول. فلم أقل شيئا، كأنني أعلم أن نصره سيتبدد سريعا على يد من هو أقوى وأقدر.

أحرز المركز الأول في سباق الغبار . لكن فرحته بنصره الترابي لم تدم طويلا، ففجأة مرقت سيارة مثل السهم بجوارنا. كانت تبدو إحدى عربات الحكومة. قلت وكأنني أحمّسه لمواصلة السباق:

لن تستطيع أن تسبق عربة الحكومة!

فكر قليلا، لابد أنه فكر في الضرائب وفي المشاكل التي يمكن أن تسببها له السلطة. في جرّاره الزراعي غير المرخص. وفي ضرائب الأرض والنخيل التي كان يتهرب من دفعها. سائق العربة الحكومية ايضا ساهم في دفع كرم الله الى التطرف حين أبطأ السرعة قليلا أمامنا حتى يعطينا فرصة أكبر لندفن في أطنان التراب الكثيف الذي كانت تلقيه عجلات سيارتهم فوق عربتنا، حتى إنعدمت الرؤية من أمامنا. كان سائق السيارة الحكومية يمرق كالسهم ثم يبطئ ليغرقنا في الغبار ثم يهرب قبل أن نلحق به. كرم الله كان مترددا، إبتلع في البداية خسارته غير المتوقعة للسباق، لكنه في النهاية حسم أمره وتوكل على الله وأعلن: الحي الله الكاتل الله! قبل أن يضع ثقل قدمه الفيلية فوق دوّاس البنزين، ولولت السيارة وكأنها تعرف مصيرها المحتوم في المعركة غير المتكافئة مع السلطة الإنقلابية!

بسبب ضيق الطريق كان كرم الله مضطرا أن يسير وراء السيارة الحكومية لبعض الوقت، لكن لأنه كان يحفظ الطريق جيدا فقد عرف أن هناك منطقة قادمة سيتسع فيها الطريق قليلا ويمكنه بجهد قليل أن يتجاوز السيارة الحكومية. خاصة وأن سائق السيارة الرسمية بدا مستمتعا بالسير ببطء وإلقاء أطنان الغبار فوقنا. قال كرم الله: هذا كل ما نجده من الحكومة. الغبار والتراب والحقارة!

فجأة وقبل أن يتنبه سائق السيارة الحكومية لاتساع الطريق المفاجئ، مرق كرم الله مثل السهم بجانبه واضعا السيارة في المقدمة. ثم بدأ إنتقامه من السلطة: يبطئ السرعة في الطريق الضيق حتى دفنت السيارة الحكومية في التراب. يتذكر بحقد حين جلد في السوق قبل أشهر بتهمة السكر، ومضايقات رجال الأمن له حتى لا يستخدم جراره الزراعي في حراثة الأرض لأهل القرية، حيث إعتاد على التعامل مع جيرانه الفقراء بالدفع الآجل حتى نهاية الموسم الزراعي، لكن الحكومة أنشأت شركة للخدمات الزراعية وتريد احتكار العمل، واجبار المزارعين على الدفع نقدا لقاء حراثة الأرض ودرس المحاصيل بأسعار باهظة.

ولمضايقته ومنعه عن العمل تعرّض للاعتقال والمساءلة حول ترخيص جرّاره الزراعي وأنه لا يدفع ضرائب الجرّار منذ سنوات. شرح لهم أن الجرّار يخص شقيقه الذي يعيش في السعودية وأن شقيقه إعتاد في كل مرة يحضر فيها على دفع الضرائب وتجديد رخصة الجرّار وأنه مجرد وكيل ينفذ طلبات شقيقه، لكن أحدا لم يستمع له وأجبروه على دفع غرامة كبيرة.

كان كرم الله يواصل إنتقامه بلذة وصبر، تسير السيارة بأقل سرعة ممكنة، تعطّل المسئول الحكومي الكبير صاحب الوقت الثمين، وقت كان يكفي لإبرام عدة صفقات، وبيع عدة مؤسسات خاسرة أو غير خاسرة. هذا الوقت الثمين كان كرم الله يبدده عن سابق قصد وتصميم.

فجأة بدأ الشارع يتسع مرة أخرى، زاد كرم الله من سرعة السيارة حتى لا يجد سائق السيارة الأخرى فرصة ليسبقه. لكنه أضطر للتوقف بعد قليل فقد كان الطريق مغلقا بحاجز من سيارات الشرطة! وكانت إشارات الطوارئ الضوئية في سيارات الشرطة تلهث بقوة ملوّنة، توضّح جسامة المشكلة التي تجمعت الشرطة بسببها.

يبدو أن الشرطة باتت تعمل بكفاءة ويقظة تامة. كلما وقع حادث ما يهدد راحة المواطن وأمنه، تنطلق الشرطة فورا وتقيم حواجزها لمنع أية مجرم من الفرار.

مرقت السيارة الاخرى من الحاجز وإنطلقت مثل السهم. أما نحن فقد ذهبنا مع الشرطة. لينتهي سباقنا مع الحكومة. بالتهمة الرهيبة التي لم يحسب لها كرم الله حسابا أثناء صراعه الترابي ضد السلطة: محاولة إغتيال الوالي!

إنتخابات لله يا محسنين!!

بعد صلاة الظهر جلست في الشمس أمام المسيد، كان الوقت شتاء، ومعظم الناس في الحواشات لذلك لم يحضر صلاة الظهر سوى عدد قليل ، بسبب الموسم لم ألتق معظم أهل القرية منذ أن وصلت في عطلتي السنوية قبل أيام، حين تسأل من تلتقيهم عن الموسم الزراعي تكتشف أن لا أحد تقريبا يذهب الى المزارع، سوى عدد قليل بجانب بعض كبار السن، بسبب مشاكل الزراعة الكثيرة هجرها الشباب وتوزعوا بدلا من ذلك في الفلوات أملا في العثور على قطعة ذهب، يبدو أن العثور على الذهب أيضا ليس سهلا لكنه أصبح على كل حال مهنة حتى وإن كانت تدر دخلا قليلا. سألت شابا صغيرا إلتقيته في طرقات القرية كيف يسير موسم الزراعة فأخبرني أنه ترك الزراعة منذ أعوام. وأنه يسافر الى مناطق البحث عن الذهب، سألته عن الكمية التي يعثر عليها هناك، فقال أنه يحصل شهريا على ما يعادل 300 جنيه تغطي منصرفاته الشخصية تقريبا.

أليس ذلك قليلا، قلت بخيبة أمل من كان يعتقد أن الباحثين عن الذهب يجنون ثروات طائلة.

قال لي (لكن وكت كنا في الزراعة لم نكن نجد شيئا ولا حتى ربع هذا المبلغ!)

تشعر في شتاء القرية بنوع من العزلة، كأنك صوفي أو راهب يعيش على حافة عالم على وشك أن تدمره أعاصير مجهولة. جاء بعد قليل فارس المجنون، كان يبدو سعيدا، سألته عن سر فرحه فأعلن: خلاص الانتخابات قربت!

قلت له وانت مالك ومال الانتخابات؟!

قال لي: مالي ونص. ونظر حوله وقال: ما شايف الحالة دي واقفة كيف، الانتخابات موسم زيها زي القمح، نجيب المال من وين لو مافي موسم؟ الواحد ما فضل ليه الا يطلع الشارع يكورك: إنتخابات لله يا محسنين!

إعتقدت في البداية أنه سيقوم بجمع التبرعات من المتعاطفين مع حملته الانتخابية، قلت له: أها وبرنامجك الانتخابي شنو؟

وضع جركان العرقي جانبا وقال: برنامجي من كلمة واحدة بس: التأصيل!

أها قلت له وحتأصل شنو يعني؟ وهو فضل حاجة ما إتأصلت لسة؟

قال أي حاجة، الجماعة ديل عملوا تأصيل حتى للسرقة سموها تمكين، أنا كمان داير أعمل التأصيل حقي، يمكن تأصيلي يكون مضروب شوية، أقرب للصيني، لكن أكيد ما حيصل مرحلة السرقة تبقى تمكين وكدة.

قلت له أنا داير أعرف بالضبط إنت حتقول شنو ، أفرض أهو قدامك مكرفون، ودي الاذاعة و التلفزيون، ورينا حتقول شنو للناس عشان ترمي ليك صوتها في الصندوق؟

قال مبتسما: الصناديق دي الله أعلم نصلها! لكن عموما أنا برنامجي أي شئ يرجع أصلي زي ما كان، قبل ما الجماعة ديل يجوا ينقذونا.

يعني إنت ما قاصد التأصيل بتاع الجماعة. اللي هو جايي فيه الجانب الفكري..

قاطعني: بلا فكري بلا بطيخ، البلد كلها إتملت عمارات بالتمكين، وريني الفكري شنو في شغل الهمبتة الماشي في البلد دي، 60 مليار قروش البترول لو سألتهم ودوها وين هم ذاتم ما عندهم ليك إجابة. ياها دخلت التمكين بتاع التأصيل الفكري بتاعك دة.

قلت ليه تقصد شنو يعني إنك يمكن ما تصل الصندوق؟

ضحك بصوت عال وقال: والله بصراحة أنا جادي أخش الانتخابات دي وبكرة دي ح أمش أسجل نفسي في لجنة الانتخابات، كلمت ناس الحلة حيمشوا معاي عدد من الاخوان، غايتو حنخسر شوية ندفع ليهم حق المواصلات وحق الفطور لكن كله يهون في سبيل التأصيل الأصلي، مش الصيني بتاع الكيزان!

قلت ليه أيوة أنا فاهم إنت جادي لكن هل في إحتمال مثلا ما تواصل الانتخابات؟

وضع سيجارة القمشة في زاوية فمه ونظر لها (بقعر) عينه ثم اعلن:

والله الجماعة ديل طبعا لو إنت بقى عندك شعبية وفي إحتمال تفوز على مرشح الحكومة قالو ممكن يتفاوضوا معاك!

ضحكت انا هذه المرة وقلت: حتقبض يعني وتتنازل.

ابتسم وقال: إنت ليه تسميها قبض ورشوة والعياذ بالله، ما هو نحن كدة كدة القريشات النهبوها الجماعة ديل لازم نرجعها. انا لو لقيت منهم قرشين وانسحبت، اها لو جيتني انت عيان ولا في الحلة في زول محتاج قريشات يودي ولده المدرسة ولا زوجته عاوزة تولد ولا واحد عنده ملاريا، بقصر معاهم في شئ؟ وانت عارف البلد دي لو مرضت وما عندك شئ وجيرانك تعبانين، بس ترقد ترجى الموت. واهو كدة بضاعتنا ردت الينا زي ما بيقولو في الاخبار مع ان عمرنا ما شفنا بضاعة لينا رجعت تاني، اي شئ يخش التمكين دة تقنع منه، تاني الا تلقى قدام الله.

لكن كدة بتكون خنت الناس الاستأمنوك ووثقوا فيك ومشوا ضمنوك والا شنو.

قال: يا زول الناس دي ذاتها تعبانة وما لاقية شئ في الهيصة الحاصلة، الكيزان دخّلوا الناس في امتحان، الواحد تلقاه اليوم كله يوعظ ويشتم الحكومة بعد شوية يمسكوا على جنبة ، يغمتوا ليه حاجة قبل ما يعدها يكورك: الله أكبر ، سير سير يا الكشير، الناس تعبانة، الكيزان جوعوهم واكلوا رزق اولادهم، امس مشيت لشيخ عثمان، الامام، الزول التقي، لقيتو زعلان، قال لي مشينا الاجتماع مع الوزير، بدل نسمع حاجة عن الجازولين المعدوم والاسعار الغالية ومجانية التعليم الوزير شبكنا: الطهارة والايمان! سن الجاك بي نجاستو منو؟ وشابكننا الله اكبر الله اكبر ما عرفناه اجتماع ولا صلاة عيد! الكيزان قربوا يمرقوا الناس من الملة.

اها وهسع ناوي تتنازل بكم؟

قال: والله حسب السوق!

سوق شنو اصلو طماطم؟

ضحك وقال: والله طبعا كلما كبّرت كومي من الاخوان كلما القصة عدّلت معانا، لو بقى مرشحين كتار بتكون غالبا ميزانية التنازل واحدة يعني حنبقى فقرا واتقسموا النبقة. وطبعا دة موسم، الناس تعبانة ومافي شغل والكيزان ماسكين القرش بيناتم، الخلق كلها دايرة

تترشح، أريت لو يعملوا الانتخابات دي كل سنة بدل أربع سنة! بقت حالتنا زي قصة الزول القالو كان برضو زي حالنا كدة مديون في البنوك وتعبان، لا زراعة نجحت معاه ولا قدر يمرق من البلد عمرة ولا حج، وطبعا لو ما عندك ضهر تروح في حديد، ولو عندك ضهر ووقعت يقولو ليك فنظرة الى ميسرة، اها خلاص أوامر القبض إتردمت عليه والبوليس بقى متوجه على بيته، ربك رب الخير طلع أمر القبض بتاع سيد الاسم، تلفت حوله حذرا وخفض صوته قليلا قبل أن يلقي بالاسم القنبلة : أوكامبو! اها صاحبنا طوالي مرق عدة الشغل، مكرفون صغير زي بتاع الجماعة أنصار السنة، وبقى يمشي يستلف ليه شوية كراسي ويدق ليه صيوان في أي فسحة ويدوّر المكرفون والبرنامج: تضامن مع رمز الدولة ضد المدعو اوكامبو! اها يتلمو الخلق ويجوه الجماعة يردموه قروش وكواريك ، لغاية ما المولد إنفض سدد ديونه وبنى ليه بيت كمان، وكت قابلتو قال لي والله اوكامبو دة، ولا بعرفو من وين ،خدمنى خدمة ابوي ما خدمنى زيها، اليوم كله ادعي الله يبارك فيه، ربنا يفتحها في وشو شقيش ما يقبل، ويوفقو كمان يمرق باقي لستة الواحد وخمسين. والله لو مرقهم نغنا لي جنى جنانا!

طيب ما يمكن الجماعة واثقين من مركز مرشحهم وما يشتغلوا بيك ولا يتفاوضوا معاك؟

لالا، الجماعة ديل ما بيحبوا زول يقيف قصادهم إنشاء الله معاه نفرين. ديل ناس الاجماع السكوتي يا اخوي، بيحاولوا دايما يظهروا وكأن اي زول معاهم، زول واحد يمرق من إجماعهم السكوتي دة طوالي علماني، عميل، طابور خامس ، مشى إسرائيل، الخ الخ!.

أمس قابلت شيخ ود الفكي، مرشح الكيزان في الانتخابات، الكان بتاع سكر التموين وقالو سف السكر، زول مانع، مال الحرام نفع معاه، قبل كم سنة كان يجي ماشي جنبك ما تشوفو من شدة ما هزلان، الغنماية تاكل عشاه، هسع بقى يأكل عشا ألف زول وبعد دة ينوم خفيف! قالو هو كوز من زمان، حكمة الله وكت كان فقران، كان في حاله، من الجامع للبيت للشغل، اها فجاة وكت الجماعة ديل مسكوا البلد، مرقت ليه فجاة كدة دقينة، وبقى متعهد بتاع جهاد ودفاع شعبى، بعد شوية ظهر فجأة بوكس قدام باب بيته، تقول نزل من السما، البوكس اتقلب بعد شوية لام عين، خايفين يوم نصحى نلقى طيارة قدام الباب. يوم السبت قابلته فى السوق، ما خلاص الانتخابات قربت لازم يظهر شوية، لامن يلقط الاصوات، تاني مافي زول يشوفو الا بعد أربع سنين، يقول ليك مشاغل، ونحن محاصرين، وما شاء الله البطن ماشة لي قدام، طيب لو ما كنت محاصر كان بقيت شنو؟ انت يا أستاذ التمكين معناه يعني الزول يبقى ماكن ولا شنو؟. اها لقيته لامي ليه شوية ناس يوم السوق وانا حأعمل

وحأسوي، شافني قال لي : مالك قالو عاوز تنافسنا؟ قلت ليه مش قلتو ديمقراطية. قال لي يا زول انت الشغل دة ما بتقدر عليه. الشغلة دي صعبة أنا خايف عليك في نص الانتخابات تقع تموت، ما تلقى اليسترك!

قلت ليه أنا خفيف، نفر واحد يشيل جنازتي، لكن إنت لو وقعت عشرين نفر ما يرفعوك!

طيب نفرض ما دايرين يدوك حاجة وبقيت مضطر تواصل الانتخابات، حتعمل شنو والجماعة ديل ممكن يقولو عليك إنت ضد شرع الله؟

قصة شرع الله دي بقت ما بتجيب حاجة لأن الناس كلهم عرفوهم حرامية ومستهبلين، زمان كان ممكن يغشونا بالقصة دي. أيام الاحزاب حاجة صفية عمتي ماشة لمركز التصويت، قابلها كوز قال ليها : اها يا الحاجة ماشة تصوتي لي الله ولا لي حزب الأمة؟!

عمتى شديدة تقول عارفة عمايلهم قالت ليه: الله كمان جة نزل الانتخابات؟

إرتفع صوت المؤذن لصلاة العصر، قلت لفارس الذي نفض حذائه وملابسه إستعدادا للذهاب. ما تحضر معانا صلاة العصر .

لكنه إعتذر بأن سليمان الاعرج في إنتظاره ليذهبا لترتيب مشوار الغد للجنة الانتخابات.

قلت ليه الموضوع جد يعني.

إبتسم وهو يغادر: اها بس ما تنسونا من صالح الاصوات والدعوات.

حكاية خواجة شغال (إبتلا) في القصر الجمهوري!

المكان القصر الجمهوري

الزمان: أحد أزمنة عهد الكيزان الأغبر!

شغال شنو يا خينا؟

وزير بدون حقيبة

احسن من قعاد ساكت! وانت شغال شنو

انا؟

ايوة...

انا مساعد للرئيس

احسن من قعاد ساكت...

والله قعاد ساكت احسن..

كيف؟

انا عينوني هنا لي خمسة سنين الاتفاقية الجابتني نسيت اسمها. الريس شفته مرة واحدة من بعيد في اداء القسم، القسم ذاته اديته جماعي!

قصدك عرس جماعي! أول ما جيت خشيت معاهم الزواج الجماعي ولا شنو؟

لا .. نحن وكت أدينا القسم مستشارين ومساعدين ووزراء بدون حقائب وبحقائب، كنا زي سبعة وستين ألف! أدينا القسم في الاستاد! المصاحف جابوها باللواري، لو عاوز تشوف الريس بيدوك نظارة مقرّبة بتشوفه صغيّر قاعد في كرسي جنب القون! مرة واحدة قابلته بالصدفة في بيت بكا، لكن ما عرفني! المشاغل كثيرة! الحقيقة انا ذاتي في الاول ما عرفته! مع أن مكتبي على بعد عشرين متر من مكتبه!، قعدت أسأل يا ربي الراجل دة شفته وين، شفته وين! واحد جنبي قال لي يكون في التلفزيون!

وانت شغال شنو؟

انا؟ ويتلفت حواليه

أيوة انت، ابطاقية خضرا دة.

انا مستشار اقتصادي للرئيس

كويس ما خاب من استشار

والله خاب ونص وخمسة كمان

كيف؟

مرة واحدة شاوروني كيف يوقفوا الدولار الطاير كل يوم دة

وقلت ليهم شنو؟

تدخل مساعد الرئيس (بتاع الاستاد): والله الداير يوقف الدولار الطاير دة الا يطير وراه، زي الزول الشرب الريد بول وطلع بال فوق الطيرة البالت فوقه!

قال المستشار الاقتصادي: قلت ليهم نزرع القطن!

كويس، على الاقل نلبس مما نزرع، وقالوا شنو؟

قالوا لي لسة حنزرع ونقعد ننتظر يا قام يا ما قام، وبعدين تجي الافات، ذبابة بيضا تخلص منها يجيك عنكبوت أحمر، نخلص منه تجي الدودة القارضة نخلص منها يكون ما فضل قطن يعمل سروال! شوف لينا حاجة نبيعها بسرعة ونخلص! قلت ليهم طيب بيعوا نحاس ولا دهب قالوا لي لسة حنقعد نحفر، ويجوا عمال المناجم دايرين نقابات، ويجوا وراهم الشيوعيين! وناس حقوق الانسان الحقيقة أنا إحترت اقول ليهم شنو، قمت قلت ليهم بالهزار: طيب بيعوا واطة قالوا لي ما تقول كدة من الاول!

واها حصل شنو؟

انت ما عارف؟ القصر دة مؤجر، باعوه مع شارع النيل! وكت باعوا القصر كان في فندق عائم تابع لشركة سياحية واقف قدام القصر، بالاستعجال باعوه مع القصر!

وانت شغال شنو؟

والله ما عارف!

كيف ما عارف؟

ما عارف ! خليك مني، الريس بتاع المحل دة ذاته ما عارف هو شغال شنو؟

لأ خليك من الريس انت وكت جيت هنا، جابوك لي شنو!

أنا جيت مرسال!

مرسال الشوق يا الكلك ذوق!

لأ .. شوق شنو.. أنا جايي من السعودية، في زول اداني أمانة قال لي وصّلها العنوان دة، وكت وصلت العنوان، لقيت في زحمة، حفلة ولا عزاء ولا عرس جماعي، المهم أول زول قابلته قلت ليه ياخي انا معاي أمانة! قال لي إنت جاهز! قلت ليه جاهز لي شنو انا قلت ليك معاي أمانة!

قال لي أدخل ، ساقني وقفت في صف طويل، أنا قلت يمكن صلاة شكر ولا استسقاء لأن الوقت ما كان وقت صلاة، بعد شوية واحد قرأ قرار جمهوري بتعيينا مستشارين ومساعدين ووزراء ولائيين! الجماعة رفعوا يدهم، انا وقفت ساكت، واحد نهرني قال لي ارفع يدك! رفعت يدي بالخلعة ومن الوكت داك انا قاعد هنا! أي زول جاب أمانة اليوم داك بقى وزير او مستشار! بعد أدينا القسم، قالوا لينا الجماعة الواقفين على اليمين ديل وزراء ولائيين، تبلغوا في الاستقبال عشان يسفروكم ولاياتكم، الجماعة العلى الشمال بتكونوا هنا مستشارين ومساعدين، الحمدلله أنا بقيت مع الجماعة العلى الشمال! في زول الظاهر ما داير يسافر الاقاليم شفتوا براحة اتسحب من اليمين دخل معانا!

أها من اليوم داك أجي الصباح وأمشي البيت آخر اليوم! أول ايام كنت خايف اقامتي تنتهي وما اقدر ارجع شغلي، لكن بعد شوية وكت لقيت الشغلة ساهلة والماهية ما بطالة قلت مالي ومال الكفيل وجهاز المغتربين والمساهمة الاجبارية!

الدقن نفعتني! أنا كنت مطول من البلد وعرفت في زول سجّل قطعة الارض

بتاعتي بإسمه، جيت ارفع قضية واحد نصحنى قبل أسافر من السعودية قال لي عشان تحلحل مشاكلك سوي ليك دقينة، الحقيقة ما عارفها بتحلحل المشاكل لدرجة ابقى مستتشار رئاسي وما عندي خدمة!

وانت شغال شنو يا خواجة؟ والجابك هنا شنو؟ والا سياستنا بقت زي كورتنا، خبراء أجانب وبرضو ما نافعين!

أنا...

أمال أنا؟ أيوة انت! إنت كمان بقيت تأنأن

نعمل شنو من جاور القوم اربعين سباحا صار متلهم!

انت شكلك بقيت متلهم وفتهم بغادي كمان!

غادي دة وين؟ مدينة جديد؟ وين من أبو آدم؟

خليك من غادي وأبو آدم، آدم ذاته ما عنده أبو الناس ديل سووا ليه أبو!

انت شغال شنو؟

انا شغال إبتلا!

إبتلا دة شنو، يعني بالنهار بتعمل شنو؟

إبتلا، لو مطرة شديد نزل مسح البيوت، مش يقولوا دة ابتلا؟

ايوة ابتلا! وانت دخلك شنو بالابتلا؟

انا منظمة دولية جابني نراقب وقف اطلاق بتاع نار، اطلاق نار شغال ليل ونهار ما يقيف الا انا نجي نقيف، انا كمان ما نقدر نقيف ليل ونهار! ناس كيزان ديل قالوا لي بدل تقعد في خلا ، حر وبعوض ومتمردين، ضرب نار ،

جنجويد وكلام فارغ، تعال اقعد هنا.

وجيت قعدت؟

أيوة نعمل شنو، ربنا كمان ما أمر بهلاك! لكن مرات مرات وكت نشوف عمايل ناس قصر ديل، نتذكر مثل بتاعكم: خلا ولا رفيق الفسل!

هرامية في قصر دة أكتر من هرامية في سجن!

وبتاخد مرتب كم؟

أنا عندي مرتبين واحد من منظمة دولية وواحد من رفيق فسل!

طيب انت ذاتك ما بقيت هرامية وفسل معاهم! وحكاية ابتلا دة شنو؟

ناس حكومة كلما واحد يسألهم خواجة دة الجابو هنا شنو؟ يقولو دة إبتلا، انا قلت دة يمكن اسم شغلي بقيت انا ذاتي قبل نفهم ابتلا يعني شنو، كلما زول يسألني شغال سنو نقول ليه شغال إبتلا! نعمل شنو أحسن من قعاد ساكت!

حين إستقال عوض الله من حزب المؤتمر الوطني!

ومشيت بخطى متثاقلة، عبرت فوق ألغام الذكرى، حاذيت خطو الزمان السعيد، لا أمامه لا خلفه :

رأيت الفوضى تعم أحد الأسواق النائية حين يهاجمها رجال الجيش بحثا عن الشباب: وقود حروب البقاء قيد السلطة.وسمعت ناجيا يقول: (والله مرقننا من الموت كرعينا).وإمرأة تبكي خوفا أن يكون إبنها خطفه رجال الجيش، تهيم أزقة القرية بحثا عنه، فتقع في يد فضولي بدلا من أن يحاول مساعدتها في البحث، يجيبها اجابته الشهيرة (أو في الحقيقة سؤاله الشهير):

تودي وين؟

رأيت جزءا من تفاصيل الحياة اليومية لمدينة تنام على سفح جبل، تحفها أشجار المسكيت، قطع المغني شكوكي حول المدينة: ينسرب صوته من زمان، خارج الزمان:

حبيت عشانك كسلا، حبيت دياري عشانك، عشقت ارض التاكا، الشاربة من ريحانها.

اتساءل بعد سنوات الاعاصير الانقاذية، التي لم توفر اخضرا او يابسا:

هل بقي من ريحان تشربه الأرض؟

وهل لا يزال النهر المجنون يعبث بقلب المدينة التي يعشق، أم أنه معروض أيضا (برسم الخصخصة؟

وهل لا يزال صدى غناء القمري يتردد في صمت الأصائل، وفوق أشجار السنط حول خور أرقو، يحقن شرايين الزمان لتعود تنبض بنفس إيقاع الأزمنة السعيدة لما قبل تاريخ الدمار المسمى إنقاذا.

ثم رأيت عوض الله، لم أره شخصيا في البداية، رأيت العالم كما كان يراه هو، من خلف عينين قلقتين، تقفزان في وجهه بهلع مثل بندول الساعة: عالم خامد غارق في حبات الضوء وقيظ الساعة الثالثة بعد الظهر، لا يوجد ولا حتى شبح إشارة لقرب إستئناف الفرح، لا شئ يغري بمواصلة الحياة.

كان صديقا، رغم أنه كشف هشاشة صداقته، فذات مرة كنا نلعب الحريق، وتوليت أنا كتابة عدد بقية الاوراق في كل لعبة، لا حبا في سلطة الكتابة، بل لسبب بسيط أن عوض الله لا يجيد القراءة أو الكتابة. حياته قلق دائم، لا يعرف منه ولا حتى هدنة قصيرة، حكى لي مرة بأسى أنه لا يستطيع حتى قراءة الارقام وانه كسائق لا يعرف ارقام العربة التي يقودها، قال:

مرة في البنطون سألني العسكري الذي حضر لتحصيل الاجرة عن رقم السيارة، وكنت انا جالسا الى المقود، قلت له (ما تشوف الرقم عندك، انا البرة والا انت؟!)عرضت عليه أن اساعده في التعلم، حضر كالعادة الحصة الاولى ثم اختفى، عرفت أنه سافر، ولم يعد الى القرية الا بعد سنوات.

نعود الى هشاشة صداقته، في تلك المرة كانت (قافلة معه)، لعب الورق بصورة رسمية، يلقي الورقة ارضا بقوة حتى تتكاد تتمزق، كنا نجلس في الفناء، من فرط القيظ يبدوالمكان مثل فرن اطفئ للتو، لا يزال يتنفس بقية حرارته، تعبر الوالدة احيانا وتعطيه السلام، فيرد عليها بالاكبار اللائق، يوقف اللعب ممسكا بورقة (البائظ) في الهواء، ويرحب بها بصوت جهوري، يعطيه منظر اليد المرفوعة في الهواء، والكرت في نهايتها بين الاصابع، منظر قائد منتصر في معركة ما يخاطب حشد جنوده، قائد حقيقي وليس مثل قادة هذا الزمان،

الفريق فلان، والجنرال علان، ثم تكتشف ان الجنرال علان، لم ير الكلية الحربية في حياته، وأنه أنعم على نفسه بالرتب والنياشين دون تدريب أو امتحان او وجع رأس!

لكن في ذلك اليوم كان معدل جنونه مرتفعا، حين حيته الوالدة اكتفى فقط برد التحية بصورة رسمية: تحية عسكرية! وضع يده التي تحمل البائظ فوق جبهته وخبط قدمه في الاسفل وهو جالس، لم تكترث الوالدة للتحية العسكرية (المكلفتة) رغم أنها (كملكية) كانت ستفضل رده اليومي الفخيم. كما أنها إعتادت جنون أصدقائي.

كان حظه ايضا سيئا تلك الليلة، فقد انقبض عدة مرات وهو يحمل (هبابة) الورق كاملة، لم يكترث حين ذكرته بمقولة صديق آخر كان يطلق على من يسلم أوراقة كاملة: الأرض الصادقة. عبارة تطلق على الارض ليست الصادقة بل غير الخصبة او المستهلكة، التي حين تبذر فيها جوالا واحدا تفاجأ في نهاية الموسم الطويل وبعد سهر السقي وحمي أسعار الجازولين والاسبير انها تعطيك في الحصاد ايضا جوالا واحدا فقط لا غير!تترك لك فقط عزاء انك على الاقل لم تخسر حق التقاوي.

إكتشفت انه لم يكن يثق في نزاهتي، او سوء حظه، فقد نظر لي فجأة شذرا او شدرا كما كان يقول، وقال لي:

قاعد تكتب حقك،ولا الماسك في ايدوالقلم ما بيكتب نفسه شقي!

كان هو من حاول قبل سنوات أن يمسك بالقلم حتى لا يكتب نفسه شقيا، كأنه كان يتنبأ بالكارثة الوشيكة حين انضم أيام الديمقراطية الأخيرة بحماس الى الحزب الوليد الطامح: الجبهة القومية، قلت له الوداك على الكيزان ديل شنو؟ قال لي: قروش زي الرز، نظر بعيدا وحدج العالم بنظرة إحتقار، أتبعها ببصقة طويلة قبل أن يعلن نبوءته الانقلابية، (لم يكن صادقا طوال حياته مثلما كان في تلك اللحظة): الجماعة ديل حيحكموا البلد!

كان مبهورا بالاعداد الكبيرة التي كانت تؤم لياليهم السياسية رغم أنه منع من الامساك بالمايكرفون، حين تولى يوما تقديم أحد المتحدثين، وقبل أن ينهي خطبته المرتجلة، شن فجأة هجوما لاذعا على الخمر ومن يتعاطونه من العطالى كما وصفهم، قاطعه أحد الخبثاء المحسوبين على حزب مناوئ بسؤال : (البسب الدين نعمل ليه شنو؟)

قال دون تردد وبحماسة جهادية: (نطّلع ليه دينه!)

فيما بعد، وحين لم يجد (فرقة) معاهم بعد ان استولوا على السلطة، أعلن إنسلاخه من حزب المؤتمر الوطني، وأنه لا يتشرف بموالاة مجموعة من الحرامية!.كان رد فعل قط غاضب لم يجد نصيبا من اللبن. لم يكن بحاجة لاعلان ذلك، فالحقيقة أن أحدا لم يتذكره في فوضى التمكين.

أثناء النهار، تحت أشجار النيم، كان يخلو أحيانا لشياطينه السعيدة، يتحدث معهم بود حول اشياء لا رابط بينها، يغني لهم أغنية لا ادري ان كانت موجودة أم (يقطعها) من رأسه: من زمان كايسك أنا أديني منك إحتنا ! ربما يقصد إعتنا لكنه ينطق العين حاء، في غمرة محبته الشيطانية.

من ثم فجأة ينقلب الود الى شجار وعراك، تتطاير فيه الاحذية وفروع الاشجار قبل ان يهمد فجأة الى الصمت، يضع سفة سعوط من الحجم العائلي، ثم يسرح في المدى، قال له احد اخوتي: انت البيجيبك هنا تعمل لينا زحمة في الفاضي شنو؟

نظر لي بإحتقار، وشكر، ثم عبر عن تقديره لي بإشارة من يده، وبصقة طويلة ثم قال:

لو ما –الوغد- دة البيجيبنا هنا شنو!

تدهورت أحواله، يغرق في الشراب، حين يأتي موسم الشتاء يؤجل زراعة الموسم بخطط بديلة لم ينفذها قط: سأسافر العمرة، اريد العودة لعملي كسائق. سأسافر للقضارف لاستئجار مشروع زراعة مطرية.

إستعدت أنا المبادرة، ذّكرته حين كان يحاول أن يعظنا أيام إنتمائه للجبهة قبل سنوات، قلت له حان الوقت لأعظك أنا، كنت نصف جاد، نظر لي شذرا بمرح، يبدو أنه إستعاد شائعة أنني علماني، فكر قليلا ثم قال بحسم::

بالله انا عدمت الدين لدرجة انت كمان توعظني!

دجاجي يلقط الحب ويجري وهو فرحانا

كانت المرة الأولى التي أراه فيها في مناسبة عقد زواج في مطلع تسعينات القرن المنصرم، وكان واقفا يتحدث مع شيخ من معارفه القدامى، كان الشيخ وهو امام المسجد الذي تم فيه عقد الزواج، يريد الحصول منه على عصا جميلة يحملها في يده. قال هو بهدوء للامام: (العصاية دة ما بينفع معاك!)

استفسر الشيخ الامام: ليه ما بتنفع معاي؟

لكنه وكأنه لم يسمع سؤال الشيخ واصل ترديد نفس كلامه:(العصاية دة ما بينفع معاك)!!.

كرر الشيخ سؤاله: ليه ما بينفع معاي؟

وكأنه يصر على ان قوله هو اجابة لسؤال الشيخ، تفسّر نفسها بغموضها، ظل مثل اسطوانة مشروخة يردد نفس الكلام: العصاية دة ما بينفع معاك!

وأخيرا أمام اصرار الشيخ على معرفة لماذا لن (ينفع) العصا معه.

رد قائلا: (العصاية دة .. مال حرام)!

ويبدو أن الشيخ نسي بسرعة موضوع خطبة الجمعة التي ألقاها قبل قليل فوق رؤوسنا ولم يترك فيها شيئا الا و(حرّمه) بحيث لم يبق من الاشياء المتاحة للشرب في دائرة الحلال سوى الماء (الأزرق)! ضحك الامام حتى اهتزت لحيته البيضاء التي بدت في تلك اللحظة وكأنها مثبّتة في ظهره، وأن لا علاقة لها بجشع وجهه الطيب، ثم قال يا زول اديني، حلال حرام انا لاقي!

كان مصطفى مشهورا بأنه (مثل الانقاذ) يأكل مما يقلع، وكان يردد المثل: الناس بالناس والكل برب العالمين، بإعتباره (مثله) الاعلى، رغم انه كان دائما يمثل الشق السلبي في

حكاية الناس بالناس، فقد كان يستخدم المقولة بإتجاه واحد فقط، فمن جهته لا يخرج شئ(للناس) لكنه يعيش على كل حال بالناس.

وحين عاش لفترة من حياته في إحدى دول الخليج حيث عمل سائقا على عربة تاكسي، اشتهر انه الوحيد الذي شوهد عدة مرات وعربته (قاطعة) بنزين ! وهو يحمل جالونه بحثا عن من يعيره بعض البترول! حيث إحتفظ هناك أيضا بمثله الأعلى: الناس بالناس، في بلاد تموت من كثرة البترول في باطن الأرض، أشجارها! !

كنت أنا الوحيد الذي نجح في (قلع) شئ ما منه، ذات مرة كان عائدا من بلاد الاغتراب، وكان يرتدي ملابس أنيقة وينتعل حذاء اسودا لامعا ويتوكأ على ذقن تقترب من الارض حققت له بعض المآرب الصغيرة مع بزوغ فجر الانقاذ الكاذب، وكان يحمل في جيوبه عدة مشاريع إستثمارية، تبدأ من ثلاجات لتصدير الفواكه ومشاريع زراعية كانت كافية إذا تم تنفيذها لتحويل الشعار الإنقاذي البائد: نأكل مما نزرع الى حقيقة واقعة، لكنه لم يجد ممولا واحدا والحقيقة ان مظهره الورع فتح له بعض الابواب ، لكن تلك الابواب لم تؤد قط الى خزانة البنك بل الى خارجه ! لم تكن ذقنه طويلة بما يكفي ليحصل على بعض القروض، وكان واضحا من عجلته الإستثمارية إنه لم يكن كوزا أصليا، لكنه كان يرغب في ركوب الموجة على أمل اصطياد شئ ما يغنيه عن سؤال اللئيم! وكانت البنوك الانقاذية ترفع شعارات دينية ولكن حين تطلب منهم المال كانوا ينحّون الدين جانبا، ويسألون عن ارضك وضماناتك، ويشرعون سكين المرابي الجشع التي لن تتورع عن قطع لحمك لسداد الدين!

كنت اقيم آنذاك مع أحد اقربائي في طريقي للسفر، حين جاءنا مساء ولاحظ اول ما لاحظ أن قريبنا ذاك يربي اعدادا من الدجاج، عرض عليه صفقة إنقاذية سال لها لعاب قريبنا، سيأخذ الدجاج مقابل النفط، اقصد مقابل خروف ضخم، اعتقد قريبنا ان بإمكانه خداع مصطفى، الحصول على خروفه والاحتفاظ بالدجاج في الوقت نفسه، نفس الاسلوب الانقاذي: حكم الوطن وبيعه في الوقت نفسه!. في الصباح ذهب قريبنا لمكان عمله وبقيت أجهز نفسي للسفر، وفجأة اقتحم مصطفى البيت ومعه عدد من الناس الذين استدعاهم لمساعدته في جمع الدجاج، وحين لاحظ دهشتي قال لي أنه يعرف انني احب التصوير وسيقوم بإهدائي كاميرا ممتازة احضرها معه من اغترابه ، سال لعابي لذكر الكاميرا فقطعت الحركة وساعدتهم في جمع الدجاج! وبدلا من الخروف الضخم ترك لقريبنا خروف ترانزيستور صغير اقرب في مظهره للعتود منه الى العمبلوق! والحقيقة ان حجمه كان يساوي تقريبا احد ديوك قريبنا المغدورة.

حين عاد قريبنا من العمل، لم يجد في بيته الذي كان عامرا حتى انه كان يفتخر دائما بأنه يأكل مما يربي! ثم يوضح بسرعة حكاية بيته العامر بالدجاج حتى لا يعتقد الناس خطأ انه يأكل من أبنائه حين يقول: نأكل مما نربي. وكان الناس يندهشون قليلا في البداية لعلمهم انه لا اولاد له لأنه لم يتزوج قط.

ثار قريبنا، وارغى وأزبد، الحقيقة انه أرغى فقط ، فقد جف ريقه من فرط المفأجأة الدجاجية فلم يجد ما يزبد به، وفي البداية هدد انه سيفتح بلاغا على مصطفى! وسيخرب بيته ثم تذكر ان مصطفى لم يكن يخشى من رجال الشرطة لأنه كان ضخم الجثة كما أنه لن يستطيع ان يخرب بيته لأن مصطفى لم يكن عنده بيت آنذاك. كان قريبنا يجلس كل مساء يشرب العرقي وحين يحين موعد العشاء الذي كان طبقه المفضل فيه أحد ديوكه السابقة، كان ينخرط في البكاء ويهدد بأنه سيفتح في الصباح بلاغا على مصطفى وسيخرب بيته.

لكنه في الصباح كان ينسى كل شئ، يبدو ان العرقي كان قويا لدرجة انه كان يسلو كل جراح قلبه الدجاجية أثناء الليل، ولم تمض سوى بضعة ايام حتى برهن على وفائه القليل حين نسي ديوكه ودجاجاته التي كان يغني لها أحيانا حين يطعمها وجبة العشاء في ساعة الاصيل: دجاجي يلقط الحب ويجري وهو فرحانا. والحقيقة ان دجاجه لم يكن يجد وقتا ليفرح وهو يلقط الحب، فبسبب قلة الحبوب كانت الديوك والدجاجات تتعارك وهي تلقط الحب وتجري وهي جائعة.

وقد إعترف مرة انه كان يحفظ نشيد دجاجي يلقط الحب ويجري وهو فرحانا، لأنّ مدرس اللغة العربية كان يقوم بضربه ضرب غرائب الحمير، بسبب إهماله لواجبات المدرسة.

بعد (غزوة) الدجاج اختفى مصطفى عدة سنوات حتى وجدته امامي ذات يوم وانا اقطع شارع الجمهورية، قلت له: يا زول وين انت من يوم همبّت الدجاج تاني ما شفناك!

بدا عليه التأثر من ذكر الدجاج، حتى أنّ دمعة صغيرة لمعت في عينه اليمنى، حكى لي أن حكاية الدجاج ظلت تطارده في حله وترحاله حتى أطلق عليه أحدهم لقب الثعلب، رغم أنه لا يحب كرة القدم، وإنه ذهب ذات يوم الى أحد البنوك وهو يرتدي (عدة الشغل) بذلته الانيقة اليتيمة التي كان حين يرتديها يعرف الناس انه مشرف على الافلاس وان (القريشات) التي حضر بها من اغترابه الأخير على وشك النفاذ، إستقبله مدير البنك بحرارة من لا يعرفه، واحضر له كوبا من القهوة وأخذ منه نسخة من المشروع الذي يريد تنفيذه، ولكنه حين قرأ إسمه على دراسة الجدوى، قال له بإرتباك: إنت السرقت دجاج شيخ الدين! ثم قال لي لم

أفهم إصرار قريبك على تربية الدجاج، ثم فكر قليلا قبل ان يجد تفسيرا مدهشا لذلك الاصرار، قال: ربما يكون من هواة مصارعة الديكة! والحقيقة ان قريبنا كان يهوى صرع الديكة وأكلها لكنني لم اره مطلقا وهو يراقب عراك الدجاج.

ذكّرته بوعده القديم لي بالكاميرا، اعتذر لأن صعوبة الحياة الانقاذية أجبرته على الهرب بعد أن ألقى بعض المجندين القبض عليه قبل سنوات وادخلوه بالقوة معسكرا للتدريب لارساله للحرب ، وكيف تعرض للتعذيب في المعسكر وحرم من النوم، وكان المدرب يوقظه كل يوم فجرا ويجبره على الزحف على ركبتيه عدة أميال حتى يزول اللحم الحرام الذي يملأ كرشه كما كان المدرب يعلن. وحين سنحت له فرصة للهرب من المعسكر لم يتوقف عن الجري حتى وجد نفسه خارج حدود الوطن ومعه كل اللحم (الحرام) الذي تبقى في جسده!.

أخرج كاميرا من حقيبته، دفع بها اليّ، كانت تبدو في حال جيدة رغم انني اكتشفت لاحقا بعد ان اختفى من امامي انها مثل خروفه الترانزستور الذي استبدل به الديوك،والذي كان صغيرا جدا حتى انه لم يكن يقوى على اصدار اية صوت من جوفه. رغم أن الكاميرا كانت تحمل اسم ماركة مشهورة لكن يبدو انها كانت مجرد تقليد كما انني وجدت فيها ثقبا لم اعرف وظيفته ويبدو ان الثقب كان سببا في ادخال كميات اضافية من الضوء أدت لاحتراق الفلم الوحيد الذي استخدمته معها .

لا بد ان مصطفى بات الان أكثر شراسة، بعد أن دخلت الانقاذ (العظم) وتجاوزته بفسادها وإحتقارها للإنسان السوداني الى الروح نفسها.

حين رأى الفكي خضر الريس يضحك مع الحبيب ترمب!

أزاح فكي خضر صحن الماء الضخم أمامه الذي يرى الدنيا من خلاله وقال:

شايفك قدامي تضحك مع طرمبة!

عليك النبي! لو كدة الضحك شرط ناس المعارضة وناس قروبات الواتساب والاسافير!

أشار الريس لطه فرمى شوالين (بياض)

اشار فكي خضر بطرف اصابعه بإحتقار نحو شوالين البياض، وقال متجاهلا خشخشة أوراق الجنيه الخشنة التي يعرفها (مثل جوع بطنه): دة شنو دة!

دة البياض

ياتو عُملة؟ نعلو الما يتسمى الما جايب حق الورق والحبر؟!

إنت فكي معارض ولا شنو؟ دي عُملتنا الوطنية، الجنيه!

وينه الوطن عشان يكون في عملة وطنية؟ يا ريس الوطن ما فضلت فيه غير الورقة الما جايبها تمنها دي! بعدين دي ما عُملة يا ريس، دي عمل، عمل داير يمرقوه، عمل أسود! أقول ليك شايفك مع طرمب تقول لي جنيه! والله الجنيه دة ما يقعّدك مع حُسني مبارك!

حسني مبارك دة ما خلاص زمان راح فيها!

لو كان عرف سكتي كان يكون قاعد لليلة ويوم يفتر ينزل كان ركّبنا الولد في محله! هسع انت ذاتك ، اول ما الجنيه نزل، طرمب طلع وسكة حسني مبارك ظهرت بيضا قدامك!

خازوق، يا حارس يا حفيظ من شرّ الانتفاضة والعصيان والحركة الشعبية قطاع الشمال! طه كُب ريال!

ريال شنو؟ ريال دة مسلم ما ياكل عيش مع كفّارّ! طه كُب يورو وإن بقى دولار أسكت كِب !

طه كُب دولار!

أفرغ طه حقيبة صغيرة من الدولار أمام فكي خضر!

إبتسم فكي خضر للمرة الاولى منذ ستة أسابيع حسوما وقال: انت ذاتك عارف جنيهك ما نافع! ، لو نافع ما كان تجيبه في شوال خيش! وتجيب الدولار في شنطة ماسونايت قدر المحفظة!

ما ان هبط الدولار حتى اشتعلت كل انواع البخور اوتوماتيكيا في موقد فكي خضر وتصاعدت بمختلف ألوانها مثل استعراض جوي في عيد الثورة الى عنان السماء:

سبحان الله، الدولار دة مبروك خلاص، طوالي درب حسني راح ورجعت تناضم سيدي طرمب اب شعرا اصفر وتضحك معاه.

هزّ فكي خضر الموقد وقرّب الصحن الفضائي الملئ بالماء منه وقال: عارف يا ريس أب شعرا اصفر دة زول مبروك خلاص، دة النوع البعدين بعد عمر طويل، يعملوا ليه قُبة في واشنطن دي سي، والناس تجي من بلد بلد تتمردغ قدامه و تاخد البركة ! دة .. حبيب الشعب!

قال الريس بسرعة دون تفكير: حبيب الشعب ..يا نميري؟

نميري شنو، انت من زمنه يا ريس، دة سيدي طرمبة ، طرمب دة قالوا لو أحدث (والعياذ بالله) الواطة حوالينه تتملي بالدولار! عنده برج أكبر من برج الاسد!

برج الاسد دة شنو كمان يا فكي خضر إنت اتطورت بقيت تتابع الابراج بتاعة حظك اليوم ؟مفروض تعمل تأصيل وترجع تفتح الكتاب!

أبراج شنو وحظك اليوم شنو يا ريس، برج الاسد دة برج الفاتح، عشان الحكومة قلعت جنينة الحيوانات وباعت الاسد وبنت برج في محله، الناس سموه برج الاسد!

والله ما شاءالله ، رئيس عنده برج في امريكا، أنا برج حمام ما عندي و عشان شوية حجج ميتة هنا في كافوري الجماعة بتاعين النت شايلين حسنا! قُدر ما قلنا ليهم الرزق من الله برضه حاسدننا!

صمت الريس قليلا ونظر الى صحن فكي خضر فلم ير شيئا سوى ما يشبه قاع بئر عميق، ثم قال: برج الاسد، برج القرد، برج التور برج الغنماية، دي هسع ما شغلتنا شوف لينا موضوع طرمب دة كيف الامور حتمشي؟ نفسي امشي الاراضي المقدسة وازور الحبيب دة اليومين ديل، كمان دي ايام مبروكة بالمرة الواحد يعمّر بعد نزور الحبيب طرمب !

انشاء الله يحصل خير، ما دام الدولار نزل الموضوع ميسّر انشاء الله، خليني كدة اعمل شغل للعوارض دي واشوف النتيجة!

انت لسة حتشوف؟ وكت الدولار نزل والبخور قام، ما قلت درب حسني راح في الموية، والكافر ظهر!

قال طه بعد فترة صمت: شد حيلك لو الموضوع دة نجض، حنديك ملف المحكمة الجنائية، حنعمل عطا جديد ونسحبه من جماعة النيل الابيض ونرسّي العطا الجديد ليك!

جماعة خزان مكوار ديل اناطين كورة ساكت! وفي الكورة ذاتها تمشي ليهم يدوك بخرة يقولوا ليك علّقها في القون ضبانة ما تخش، لو جة قندران يخش! اي كورة تتشاط حتى لو من برة الملعب تلقاها في قونك!

حاول الريس مرة اخرى ان ينظر في صحن فكي خضر: انت شايف حاجة انا ما شايف اي شئ في صحنك دة؟

ما اي زول يقدر يشوف يا ريس، لو انت شفت حاجة هنا طوالي تمسك الصحن وأنا امشي القصر رئيسا، هسع انا اشوفك قدامي تضحك مع طرمب لكن الغريبة الصورة ما ثابتة، يمكن من الشبكة! الشبكة اليومين ديل تعبانة تقول في انتفاضة! مرة مرة وشك وانت بتضحك يظهر لي زي وش طه دة! يكون القلوب عند بعضيها وكدة!

بعد عمل اللازم أعلن فكي خضر: الموضوع خير بس أوعك تعتذر في اليومين الجايين ديل! حتى لو اديت ليك زول طلقة في بيت عرس زي ما عملت زمان، اوعك تعتذر دة كلام الجماعة.

ارتفع من مبخر فكي خضر مع الدخان الملون صوت يغني سامحني غلطان بعتذر.. بعتذر .. بعتذر!

كان الريس قد وقف ليغادر، قال غاضبا: منو البغني سامحني غلطان بعتذر دة!

دة شيطان جديد، لسة صغيّر، يا دوب عمره خمسمية سنة، لسة مسكين غشيم ما بيعرف السياسة!

السيد الوزير يشرع في الزنا!

في ظلال شجرة الجميز العتيقة جوار المسيد إنعقدت المحكمة. جاء سعد الشهير بأبو الجاز وكان اكتسب الاسم منذ سنوات بسبب بيعه للجاز المسروق أيام عمله كسائق لجرّار في إحدي المؤسسات الحكومية الزراعية. جاء يرتدي جلبابا فخما وعمامة ضخمة، وبدا بذقنه الطويلة الورعة التي تكاد تلامس الأرض، وغرة الصلاة التي تغطي جبهته، كأنه القاضي وليس المتهم.

افتتح شيخ الطيب المحكمة: نبدأ الجلسة يا اخوان، وين حاجة ست البنات جاءت ست البنات تسحب معها ابنتها . ابنتها كانت لا تزال قاصرا، وكانت جافة الجسم مثل عود من العشر وقد لفت حول رأسها قطعة قماش أزرق وارتدت فستانا طويلا من قماش الشيت الرخيص. فبدت أشبه ب (الحقن برو) او عروس القصب باللغة النوبية..

افتتح شيخ الطيب المحكمة بعبارته الشهيرة التي يستخدمها حين يكون مزاجه معتدلا: لا بأس. شيخ النور مساعد القاضي كان يقول ضاحكا أن شيخ الطيب يصر على استخدام بعض عبارات العربية الفصحى غير المفهومة، ليفند بها مزاعم من اعترضوا علي تعيينه كقاض شعبي.

كانت قد حضرت آنذاك لجنة يرؤسها قاض للفصل في الطعون المقدمة ضده، كان صاحب الطعن الاول رجل درس في الازهر الشريف ثم عاد ليستقر في القرية وبسبب مطاردته لسبل العيش بدأ ينسى تدريجيا كل ما درسه في الازهر، ضاعت ألفية ابن مالك في متاهة السنوات والتفاسير وفقه السنة أثناء مطاردة الأرزاق، وكان كل ما جاء شخص يستفتيه في امر ما ويكتشف انه نسي الجزء الشرعي الخاص بتلك القضية يعلّق قائلا: المعايش جبارة.

وحين قرر فجأة العودة عن مساره العلماني بعد ان مضت السنوات، لم يكن قد تبقى شيئ من علمه السالف سوي بعض الاحاديث الضعيفة والروايات غير المؤكدة.

ضحك شيخ النور حين وقف حاج الأمين ليعظ الناس بعد أداء صلاة التراويح في المسيد وقال :

زولك دة خلي بالك لو كان شغال في الازهر دة بوّاب في العشرة سنين العداهم فيه كان بقي نبي!

وضحك شيخ الطيب وقال هو اصلا قالو مشي يشتغل بوّاب في الازهر ، لقي مرتب البواب تلاتة جنيه ومرتب الطالب أربعة جنيه، قام اشتغل طالب!

قال حاج الأمين أمام لجنة الطعون :

الزول دة بتذكر المؤنت وبتأنث المذكرة!

علّق رئيس لجنة الطعون : ما مشكلة، الدناقلة كلهم كدة!.

قال ود التاجر: الزول دة ما بتعرف تكتب!

أمر القاضي باحضار ورقة وقلم، أمسك شيخ الطيب بتلابيب القلم كأنه يمسك منجلا وأعلن مفتتحا الاملاء :

بسم الله نبدأ...

تعاطف القاضي مع شيخ الطيب، فلم يلجأ لعبارات معقدة تجعل التلميذ العتيق يرسب في مادة اللغة العربية.أعلن القاضي متذكرا مقطعا قديما من ايام المدرسة: الولد ولد البلد.

كتب شيخ الطيب: الود ولد البيت.

البنت بنت البلد.

كتب شيخ الطيب: البت بت البيت!

قال القاضي: كانت حليمة تعمل بائعة للبن.

وكتب شيخ الطيب:

كانت حليمة تعمل وتبيع البن!

طلب شيخ الطيب ورقة اخري لأن الورقة امتلأت وتدفقت الحروف حتي سالت علي المنضدة العتيقة في مبني البلدية الذي بناه الانجليز.

قال القاضي: ودخلت نملة واخذت حبة!

فكتب شيخ الطيب: ودخلت نملة واخدت واحدة

قال القاضي: المتهم برئ حتى تثبت إدانته!

فكتب شيخ الطيب: المتهم غير برئ حتى تثبت إدانته!

ضحك القاضي بحزم رسمي حين رأي الخط الكبير والكلمات الضخمة الشبيهة بعربات قطار، وقال لشيخ الطيب: انت كنت شغال شنو زمان؟

حك شيخ الطيب شعره الاشيب وقال : سواق قطر.

قال القاضي: عشان كدة.

قال القاضي هامسا: ستصبح قاضيا، كيف لا تعرف أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته؟

قال شيخ الطيب: كان ذلك حين كان هناك قانون! الآن اللص في الحكومة وأصحاب الحقوق يموتون بالجوع!

تغاضى القاضي عن الميول الثورية للمرشح العتيق وأصدر قراره : يعيّن شيخ الطيب قاضيا شعبيا.

افتتح شيخ الطيب المحكمة بخبطة علي المنضدة و بعبارته الشهيرة : لابأس. .. ثم أردف متسائلا : ريحة العرقي دي شنو؟

تلفت الجميع بحثا عن مصدر الرائحة التي كانت مختلطة بكثافة مع رائحة القيظ ورائحة نوار شجر السنط، وكأن الناس كانوا في انتظار قرار من القاضي لينتبهوا للرائحة.

نادي عبد العاطي علي الشاكية. تقدمت مع ابنتها، وحين أشار لها القاضي لتحكي شكواها قالت مشيرة الي سعد أبو الجاز: الراجل دة قابل بتي في السوق وقال ليها أنا بقيت مسئول كبير، دخلت المؤتمر الوطني، ويمكن يعملوني وزير إقليمي، والوزير لا زم يكون عنده أقل شئ مرتين، واحدة للبيت والأولاد وواحدة للسفر والمؤامرات الدولية ! .

قاطعها شيخ النور مساعد القاضي: قصدك المؤتمرات الدولية يمكن!

قالت المرأة دون إهتمام بوجوب إحترام هيبة مساعد القاضي: مؤتمرات، مؤامرات، كله كلام فارغ ومصاريف ندفعها نحن المساكين!!

قاطعهم القاضي مدعيا عدم الفهم : المشكلة شنو طيب لو بقى وزير إقليمي ولا إتحادي وعرّس مرة تانية؟ ما الحكومة كلها قاعدة تعرّس مثنى وثلاث بالدس وبالعلن!

قالت ست البنات: الصبر يا مولانا، أنا بقول الزول دة قال كدة لبتي ولسة ما خلصت كلامي، بعدين مين جاب سيرة الحكومة؟ إنت ما داير وظيفتك دي ولا شنو؟!.

ارتفع صوت (المتهم المرشح للوزارة): يا مرة ما تخافي الله البت دي انتي براكي ما جيتي قلتي لي تعال عرّسها!

خبط شيخ الطيب المنضدة بالعصا وكرّر السؤال : الحصل شنو بالضبط.

قالت ست البنات: يوم السبت رسلت البت السوق تشتري خضار ولحمة، خالها رسل لينا قال جايي يقعد معانا يومين، طبعا هو مغترب زي ما انت عارف،

وقال شيخ الطيب حتي لا يعطي سعد ابو الجاز الفرصة ليقاطع المرأة: واها بعدين..

البت مارقة من السوق وقّفها الراجل العايب دة وقال ليها دايرك في كلمتين، أنا خلاص قرّبت أبقى وزير ودايرك في موضوع. وكت وقفت ، قال ليها نتقابل في المريق بالليل الساعة تمانية!

وقال القاضي : واها ما قال ليها دايرها في شنوبالضبط لأن قصة حيبقى وزير ممكن يشرحها في الشارع، ولا الوزارة بقت فعل فاضح الزمن دة الا يمشوا ليها الحواشات بالليل؟

قالت ست البنات بصبر نافذ: وزارة ايه يا مولانا، بالليل وجوة المريق حيكون داير يمشط ليها شعرها؟

قال شيخ النور مساعد القاضي: كان ما أخاف الكضب، دة شكلو كدة شروع في الزنا والعياذ بالله!

قال سعد ابو الجاز مهتاجا: يا رجل اتقي الله البخليك تقول كدة شنو؟

وقال شيخ النور: امال داير تقابلها في المريق بالليل تلعبوا صفرجت يعني؟!

خبط شيخ الطيب التربيزة بعصاه حتي كادت تتحطم وقال هدوء من فضلكم.

واصل سعد ابو الجاز صراخه: الولية دي دايراني أعرس بتها كان بالحق ولا بالباطل.

أصدر شيخ الطيب أمرا: اي واحد يتكلم بدون اذن المحكمة حأديه اربعة وعشرين ساعة في الحراسة.

صمت الناس وتعالي فقط صوت ضحكات طفل يبدو انه لم يحمل تهديد القاضي محمل الجد، أو انه لم يكن يلاحظ وجود فرق بين البقاء في السجن او في خارجه.

همس شيخ الطيب في اذن عبد العاطي فارتفع صوته، المتهم سعد ابو الجاز يتقدم الي الامام. تقدم سعد أبو الجاز، قال له القاضي: رايك شنو في اتهام المرة دي.

كان يضع عدة اقلام فوق جيب الجلابية الفخمة، وكان واضحا أنه بذقنه التي تلامس الأرض، وخبرته كسارق حكومي، وزان وطني، مؤهل تماما لشائعة تقلده الوشيك لمنصب الوزير.

في تلك اللحظة حين واجه المحكمة بدا جليا انه كان مصدر رائحة العرقي.

كانت رائحة العرقي تكاد تقتلع الأنوف، سأله شيخ الطيب : انت شارب حاجة؟

علّق شيخ النور : شكلو كدة المرة دي استحم بيه، مسكين الوزارة كمان ما ساهلة ومسئوليتها كتيرة لازم يستعد ليها.!

شرح المتهم الصبغة الخيرية العلاجية لمجونه الليلي: والله يا مولانا بالليل بطني كركبت شوية، مشينا كرامة رجوع ولد ناس حاج الأمين من العراق، قلنا ضروري نمشي نحمد السلامة، الظروف بقت صعبة لكن السلام على الزول العائد من الحرب، عمل خير. كانوا ضابحين، انت عارف مع التضخم أسعار اللحم بقت ضخمة، اللحم بقى زي الدهب الناس تشتريه بالوقية، وبعد دة غالي. تقلت شوية في اللحمة، بالليل تعبت مشيت جبت لي نص.

وقال شيخ الطيب: اها وانشاء الله العلاج نفع وبقيت كويس!

قال المتهم رافعا يديه للسماء : الحمدلله تمام التمام. نعمة من الله، الدوا ذاته زي ما عارف يا مولانا بقى غالي شديد ومقابلة عزرائيل أسهل من مقابلة الدكتور. ومستشفيات بقت زي الفنادق، تدفع ترقد. ما تدفع، برضو ترقد لكن في الواطة، في القبر! لكن ربك كريم، إن الواحد يتوفق يلقى علاج بسهولة لمرضه بدون يقابل دكتور ولا يمشي أجزخانة!

قال القاضي : طيب موضوع السكر دة نجيه بعدين هسع رايك شنو في كلام الناس ديل.

وضع سعد ابو الجاز يده فوق صدره وقال : الحقيقة يا مولانا الناس ديل كلامهم نصو صاح؟

استفسر القاضي : كيف؟

انا فعلا قلت للبت داير اقابلك علي انفراد. علّي غرضي كان شريف !.

ضحك شيخ النور وقال : شرف شنو جوة المريق!

تنحنح القاضي ونقل جسمه الي الامام قليلا ليستمع جيدا للاعتراف الفضيحة: وقال لسعد ابو الجاز وليه عملت كدة.

قال سعد ابو الجاز : الحقيقة انا كنت عاير اتفاهم معاها في امور داخلية جوهرية !.

ضحك شيخ النور وقال : تضخم وجوهرية، يا زول ما تصبر بعد تصل الوزارة بعدين تصرّح!.

ضرب شيخ الطيب المنضدة. وسأل : تتفاهم معاها في شنو؟ وايه حكاية جوهرية دي؟

قال سعد ابو الجاز: انت ما قاعد تسمع رادي يا مولانا جوهرية معناها مهمة جدا..

وقال القاضي : وايه القضايا المهمة الداير تناقشها بالليل جوة المريق؟

وقال سعد ابو الجاز: والله زي ما تقول يا مولانا كدة الموضوع خاص،كان محتاج لمكان خاص!

وقال شيخ النور: أها..

وقال شيخ الطيب: لا بأس.. ممكن نعرف الامر الخاص دة لأن في اتهام لازم نفصل فيه..

نظر سعد ابو الجاز الي الناس التي تجمعت لسماع الاخبار وقال بعد تردد : يا مولانا البيوت اسرار، وأنا زول بقيت عضو في حزب الحكومة وبدفع اشتراك شهري، ومرشح لمنصب كبير. .

أصر القاضي: يا توضح الموضوع يا أحكم عليك بالشروع في الزنا!

وقال سعد ابو الجاز: ودي تهمة جديدة ولا شنو، انا يا مولانا ما عملت شئ وين شهودك الاربعة العدول؟ البت اهدي قدامكم ودوها الدكتور يكشف عليها.

قال القاضي: الشروع في الزنا معناه انك ما زنيت لكن كنت ناوي تزني .. فهمت!

ضحك سعد ابو الجاز وقال : طيب ما اي زول اذا كدة مجرم يا مولانا، هسع انت ذاتك قبل فترة الناس قالوا انت بت ناس شيخ علي كانت عاجباك وطلبتها للعرس الا ابوا يدوها ليك عشان عندك تلاتة نسوان، يبقي تصرفك دة برضو شروع في الزنا يا مولانا!

قال مولانا وقد بدأ الغضب يغطي علي هدوء صوته: كيف؟

انت كنت داير تعرسها يا مولانا وقالوا مخصوص اتوسطت وعينتها كاتبة في المجلس لغرض في نفس يعقوب، ثم صمت سعد أبو الجاز قليلا كأنه يتذكر شيئا ما..

خبط شيخ الطيب المنضدة: واصل كلامك.

بما انك يا مولانا كنت معجب بيها وداير تعرسها لازم حتكون فكرت فيها ونويت تزني معاها.

قاطعه القاضي: ازني معاها شنو يا رجل انا كنت عايز أعرسها علي سنة الله.

وقال أبو الجاز: ما خلاص.. النتيجة واحدة..

خبط القاضي المنضدة خبطة اخيرة: حكمت المحكمة شهر سجن علي المتهم سعد أبو الجاز لاهانته المحكمة الموقرة وأربعون سوطا حد الخمر!

رفعت الجلسة!

رئيس الوزراء يلتهم خروفا كاملا في وجبة الافطار!

أربع حكايات من الحِلة!

كان سيد البيت (عذّابي) مثلنا، العذابي المرتاح كما كان يطلق عليه بقية العذابة. لم يكن مرتاحا ولم يكن هناك فرق بينه وبين بقية العذابة، بالعكس كان يبدو (معذّبا) أكثر ببقائه وحيدا طوال النهار في حين ان بقية العذابة لديهم على الاقل عمل، يبيعون الماء، أحدهم كان يفتخر بأنه يبيع الماء بجانب نهر النيل! كان يقول: أنا ببيع الموية في حارة السقايين، كان العذابي المرتاح في كل مرة يصححه: دي مش حارة السقايين، دي السقايين ذاتها!

العذابي المرتاح لم يكن يبيع لا الماء ولا الكهرباء. كان قد ورث البيت والدكان الصغير الملحق به من والده، كانت وراثته للبيت والدكان هو الإنجاز الوحيد الذي أحرزه منذ مولده، كان العمل الوحيد المرهق الذي يقوم

به هو قبض ايجار الدكان والاجرة القليلة التي يحصّلها من كل عذابي يسكن معه، مرة في الشهر، قبل أن يعود ليواصل الاستلقاء في فراشه وتدخين سجائر القمشة. لم يكن يميزه شئ من العذّابة الاخرين سوى الفراش الذي لا يجب ان يلمسه أحد غيره. كان يبدو في اسعد لحظاته حين يقوم بتسليم ساكن عذابي جديد سرير الحديد الذي سيكون غرفة نومه، ويتسلم منه الايجار، كان يبدو سعيدا، من الساكن الجديد (أو من نقوده لا فرق) حتى أنه يشيد بذوقه الموسيقي الرائع، معلنا: اضانه نضيفة! رغم أن الساكن الجديد يقوم بتشغيل أغنية المشروع الحضاري: راجل المرة حلو حلا! اذا تأخر الساكن عن دفع الايجار، يتحول بسرعه الى: مستهبل وذوقه هابط! دي اغنية يسمعها زول محترم! كيفن راجل المرة يكون حلو؟ طيب الريس دة ما راجل مرتين؟ البيوزع الحلاوة ليه فطّاه مرتين!؟

ممنوع الكلام في السياسة!

ممنوع الضُراط أثناء النوم!

مين غيرك قاعد يضطرّط؟ من ما عينك تغمت القيامة تقوم، شخير وضراط

انا سيد البيت!

سيد البيت قالوا ليك ضرّط!

(2)

قالت سميرة المجنونة صاحبة الرقم القياسي في فتح البلاغات ضد الناس في المحكمة الشعبية، وهي تخاطب بنات زوجها اللائي لامنها لأن زوجها مريض جدا، وهي حايمة تبيع الحمام وبيض الدجاج في الاسواق: الحي أبقى من الميت!

قلت لها: مالك كاتلاه قبل يومه، الراجل حي يرزق!

قالت : وينه الرزق ؟ لو كان عنده رزق كان دة حالنا من سوق السبت لي سوق الاربعاء لي سوق الخميس !

قالت احدى بنات زوجها: يا مرة ما تختشي شوية

: أنا بيني وبينكم شنو غير حتة الراجل العجوز دة.

قلت ليها وأنا اشير لإبنها الأصغر عبدالله!

هسع لو ما عرستي عمي الطاهر كان بتجيبي ولد شاطر وفالح زي دة!

قالت بإصرار: والله لو عرّست عوض كان بجيب أحسن من دة وأحسن من أبوه ذاته

قال عوض لولده وهو ينفخ حبات الفحم فوق الشيشة ليشعل النار: كنت وين يا ولد

قال الولد: كنت في السما وأشار بأصبعه الى اعلى! وكأنّ السماء تحتاج لمعرفتها للاشارة الى أعلى مثل تكبير الكيزان(خاصة حين يكون سارقين حاجة)!

بصق والده السعوط وأتبع ذلك بخيط بصاق طويل وقال: وجاي ليه ما كان تقعد هناك!

جلس الولد نصف العاق، ومد يده ليمسك بعصا الشيشة من والده (عملا بالمثل

العصا لمن عصا) وقال وهو يغرق المكان في الدخان الأبيض: مافيش شبكة هناك، الواتساب وقف!

(3)

قال فارس محاولا إستفزاز شيخ النور: دة شنو المركوب القبيح اللابسه دة!

قال شيخ النور: عندي تلاتة مراكيب واحد اقابل بيه الوالي او اي مسعول كبير، وواحد لو داير اقابل مدير المدرسة او مسعول صغير، وواحد عشان اقابل بيه فارس والناس الما مسعولين!

ضحك حاج سعيد وقال: ما تحقر بفارس هو كمان كان مسعول!

مسعول من الخير؟!

لأ.. من الشرطة الشعبية!

وين فضل خير تاني، الكيزان قشوه كله!

قال سليمان الاعرج: خير شنو؟ وكت الكيزان رموا ليه عضمة، وعملوه منسق شرطة شعبية، قضّاها كلها يطارد النسوان في الاسواق! قال ايه ماشات بدون حجاب! صعلوك داير يعلم الناس الأدب! ويصادر العرقي يجي يشربه! والغرامات البيقلعها يختها في جيبه!

ضحك حاج سعيد: دة ما سرقة، دة عشم، جيبه وجيب الحكومة واحد! نفس نظرية الكيزان!

ضحك شيخ النور وقال: الحرامية الكبار يجنّبوا في المليارات، فارس مسكين يجنّب في العرقي!

ما بقدر أكب العرقي في الواطة، زي ما قال جمال النزير: أكُب النِعمة!

بعد ما شبع شوية، افتكر الكيزان خلاص نسوه، مشى قبض واحد فيهم سرق الاثار! في نفس اليوم طردوه زي الكلب!

السرق الاثار دة الزول العيني ذاته! وظيفتي كانت مقاولة، مفروض ارتشي وأديه نسبة! أنا بقيت أديه مرة وأنساه عشرة مرات، الظاهر عرف! كتب عني تقرير قال انا بسكر! طيب وهو حرامي، اليشوف دقنه يقول نبي! أنا لو كنت محله برضه كنت بسرق، معرس أربعة نسوان وعنده أورطة من الشفع!

أها انت ما عندك ولا بت ابليس وبعد دة حرامي، يعني لو عرست اربعة كان بتنط الحيط؟

هو كان بيفتش لي في غلطة عشان يرفدني وأنا بفتش ليه في غلطة عشان اكتب تقرير أنا كمان، الظاهر ضهره أقوى من ضهري، كتبت التقرير مافي ول اشتغل بيه، عملت ليه أمر قبض لقيت نفسي في الحراسة!

ضهره مش أقوى انت اصلا ما عندك ضهر!

انت عارف ما عندك ضهر وكت ادوك شغلة يا تقعد بأدبك معاهم يا تتعامل كويس مع الناس على الاقل الناس تتذكرك بالخير وكت يطردوك! مش تقضيها كلها مطارد النسوان، دي ما لابسة حجاب، وحتى وكت النسوان اتنقبن عشان تبعدوا منهن، برضه مشيت قبضت على مرة إتهمتها انها راجل!

انا ما غلطت معاها ، شكل جسمها يشبه الرجال! ووشها شين زي الرجال! زي ما قال العسكري الشاف وجهها : تبدو عليها وعثاء السفر وكآبة المنظر! زولة تشبه الرجال البيخليها تتنقب شنو؟ مفروض النقاب يكون عنده شروط! في نسوان كبار مثلا وشهن ما عورة!

والله ما في عورة غيرك انت وحكومة الحرامية المُشغلاك!

مسعول من الخير، أخبار الريس شنو؟ ما عندك نية تمشي تقابله، قالوا حيعين رئيس وزراء، ما كان تظهر قدامه اليومين ديل يمكن يسويك مساعد ولا حاجة؟

الريس إنحمل!

نعل عرّس تاني!

المسئوليات كترت عليه!

اذا كل ما المسئوليات تكتر عليه، حيعرس مرة، معناه نسوان البلد دي كلها ما حيكفنه!

عشان كدة جاب رئيس وزراء يشيل معاه!

يعني جايب زول مانع شيّال تقيلةّ!

زول فحل! قالوا يقوم بالخروف في الفطور براه!

معناه الكلام السمعناه صاح، دة جايي يحارب الجوع !

(4)

النور الأول والنور الثاني!

ذهب النور الاول الى السوق لشراء العرقي! ترك النور الثاني في الحلة ، الناس اسموه النور الثاني ليفرزوه من النور الاول، وطلقوا اسم النور الاول على النور الاول، ليفرزوه من النور الثاني! ترك النور الاول النور الثاني ابن خالته في الحلة يقلّم فروع اشجار الموالح، ويشرب الشاي الأحمر، سيقول أحدهم: شاي شنو يكون عرقي!.

في السوق قابل النور الاول شخصا قادما من نواحي قريتهم، ما أن رأى الرجل النور الأول حتى اقترب منه بسرعة إعصارية، رفع يديه وقال: الفاتحة!

حرّك النور الاول شفتيه كأنه يقرأ الفاتحة التي لم يكن يحفظها جيدا.،

لحسن الحظ أنه بسبب مظهره: مظهر شخص غير متدين، لم يطلب منه أحد يوما أن يتقدم ليؤم الناس في الصلاة. حين كان يصلي أحيانا حين يكون هناك فراش في المسيد، أو يحضر للعشاء في المسيد حين تكون هناك كرامة، كان يقف دائما في المؤخرة، ويكتفي بالاستماع حتى تفرغ الصلاة.

بعد أن فرغ الرجل من الفاتحة، التي قرأها ببطء ربما ليهيئ النور الأول للخبر، سأله النور الاول : في شنو؟

قال الرجل : البركة فيكم والدك مات!

نسي النور الأول النور الثاني، وإتجه ر فورا الى المشرع وعبر الى الضفة الاخرى واستقل عربة اخذته الى قريتهم، حين وصل الى المسيد اكتشف ان

المتوفي هو والد النور الثاني، قام بالعزاء مع اهل المتوفي، ثم عاد بنفس الطريق، حين وصل الى المسيد وجد النور الثاني الذي لم يسمع بعد بوفاة والده نائما نوم العافية، تحت ظلال شجرة نيم عتيقة في المسيد، غارقا في عرقه وغطيطه، وبدا إنّ زلزالا قوة عشرة درجات على مقياس ريختر، لن يكون كافيا لينتزعه من سعادة قيلولة بدون هموم، ضربه النور الاول شلوتا،

استيقظ النور الثاني مذعورا وقبل أن يستيقظ جيدا (شخط) النور الاول فيه بغضب: ابوك ميت ونايم!

ذهب النور الثاني وهو لا يزال حافيا و لايزال باقي الحلم الذي كان يحلم به معلقا في ذاكرته، مباشرة بإتجاه المشرع،

قلت للنور الاول: ما تكلم الزول براحة، اهو بالخلعة مشى حفيان! ناديه عشان يلبس المركوب!

قال النور الاول: خلي يمشي أنا بنوديه ليه في المسيد!

أعلن المشير.. صرّح الجنرال ، ندّد الرقيب أول! أكّد الدكتور!

أو

يوم واحد من حياة رجل عادي!

يعشق شراب العرقي، يراه أقصر طريق الى السعادة حين يُفرغ الرأس من شحنات المصائب اليومية والذكريات التالفة. يهتم قليلا بالحاضر فقط ليدير ظهره بسرعة للماضي ، خاصة حين تقتحم واجهة ذاكرته بعض تفاصيل ماضيه الفاشل ، يحاول أن تمضي تفاصيل حياته اليومية كشخص عادي، لا تؤرقه أية ذكريات، أو يشعر بالحرج تجاه ماضيه. قضي عدة سنوات من عمره في عاصمة اوروبية يدرس طب الاسنان، حين يتحدث عن تلك الفترة في أحيان نادرة كان يعترف دون مجد:

عشرون عاما من غسيل الأواني!.

سيذّكره ببعض التفاصيل التي يحاول دفنها في النسيان، زميل شاطره الدراسة الفاشلة والاحلام المؤجلة وغسيل الأواني وشراب الخمر الردئ في حانات البحّارة، لكنه يبقي نقطة ضعف ، كونه يعرف كل الاسرار التي لا يجب ان يعرفها البعض ممن يشاطرونه العرقي

ويشاطرهم فضائحهم، ما ان يشرب الكأس الاول حتي يفارقه كل هدوءه ويتفرغ فقط للشتائم.

يواجه الثرثار الذي يصر على إفساد بهجة المساء بقراءة نشرة الأخبار التي يحفظها مثل ببغاء فضائي من التلفزيون الحكومي: أعلن المشير، صرّح الجنرال ، ندّد الرقيب أول! أكّد الدكتور!

تسمي هذه أخبارا أيها الوضيع! وتسمي هذا تلفزيونا! هذه ثكنة عسكرية! حين يكون مزاجه هادئا سيشرح كل تحفظاته: لحسن الحظ ان الكهرباء انقطعت منذ سنوات، فتحته مرة واحدة قبل سنوات فأطل وجه المشير المتجهم وإنفجرت قنابل الأكاذيب في وجهي فحطمت شاشته بالمطرقة التي تستخدم لسحن الحبوب. وبدلا ان يغرب وجه المشير إنتهز فرصة تحطم الشاشة وخرج منها وبقى طوال الليل يهذي بالأكاذيب وهو جالس على مقعد بجانب فراشي، تحدث عن امجاد منسية ومشروعات ضخمة لم يتكبد من جهد لانجازها سوى قص الشريط التقليدي! وعن حروبه التي خاضها من أجل الوطن، دون أن أجرؤ على سؤاله، لماذا تنكمش خريطة الوطن كلما تطاولت سنوات حكمه رغم حروبه المجيدة! وفي النهاية حين اصم اذني بالاكاذيب حتى تسرّب كل الخمر الذي شربته من رأسي، نبهته برفق حتى لا يغضب، أن حديثه علاوة على انه كذب فهو غير حقيقي أيضا، فقد تحطم جهاز التلفزيون، وإنقطع الحبل السري الذي يصل بين أذني وتفاصيل بطولاته الزائفة، ويجدر به ان يخرج من بيتي وحياتي!

حتي ذلك الرجل الطيب لم يسلم من لسانه، الرجل الطيب الذي يؤمن بأن كل رزق يستحق الشكر، فيقول له حين يقدم له كأس العرق: جزاك الله خير! ويقول حين يري زجاجات العرق المرصوصة علي المائدة في انتظار مصيرها المحتوم،

ما شاء الله تبارك الله : يخشي علي كل هذا الرزق(وقود البهجة السائل) من العين.

يقول عبد السميع: شربنا مع كل اصناف البشر ولم يسبق ان شربنا مع مثل هذا الشخص العبيط!

فيقول العبيط: جزاك الله كل خير.

يجتر زميل الفشل ذكريات الماضي المشترك . يستخدم هو تكنيكا مماثلا ليجبر زميله علي تجاوز الماضي بمراراته، يبحث عن أسوأ ذكرياته، يستخدمها بفعالية مثل قوات الدعم السريع، لقمع ثورة ذكريات زميل الفشل:

أسكت يا لاحس فروج النساء!

تستفز العبارة زميل الفشل، الجاد أيضا في نسيان غرقه القديم بلسانه في قاع البهجة! فيقسم: (عبد السميع لو تاني قلت الكلام دة العرقي دة حيكون في رأسك) !.

زملاء الليل بعضهم تستفزهم شتائمه فيبدأ العراك ولا ينتهي قبل ان تتحطم عدة مقاعد فوق رأسه، صديقه الزين لا يرد عليه الا بعد ان يفرغ كل مرارة أحقاده.

يسأله : هل أفرغت كل مافي جوفك ؟. وحين يسمع كلمة نعم، تكون تلك الكلمة ايذانا بانطلاق جهاز الراديو الصيني واستقراره مهشما في رأس عبد السميع ليكون ذلك خاتمة تلك السهرة الشتائمية المباركة. وفي البيت الذي اقاما فيه فترة من الزمان تمددت مساحة اجهزة الراديو المهشمة حتي ابتلعت الفناء كله، ليستغرقا في الصيف في النوم وسط فوضى هذا الحقل الالكتروني! .

يقول الزين: لحسن الحظ انها رخيصة، نسمع نشرة أخبار الكذب، وحين نحطّم جهاز الراديو نشعر بنشوة النصر الزائف على جمهورية الكذب! ويقول مقلّدا مذيع نشرة الاخبار:

صرّح المشير وأعلن الرقيب مهندس دكتور أركانحرب: ارتفع معدل النمو الي 11 في المائة!، لا حاجة لهم ليعلنوا لنا كيف تنمو أرصدتهم، وتنخفض قيمتنا (يحرزون أغرب نمو: لا يحتاج حتى لضوء) يوضح:يجب تحطيم كل شئ ينقل هذا الكذب الى آذاننا. يعترف بفائدة واحدة للإعلام في مواجهة العرقي: الراديو مفيد لتحطيم وجه كل من يتجاوز عن حدوده. .

اثناء النهار يجلس في متجر والده الراحل، الدكان فارغ تقريبا الا من بقايا أشياء قليلة لم يعد تمييزها سهلا بسبب أطنان الغبار من مخلّفات أعاصير القرن الماضي، لا يجرؤ ولا حتى على إزاحة الغبار، خوفا من أن تنزاح معه ذكريات وقائع لم يحفظها بعد في ذاكرته.

يجلس عبد السميع صباحا أمام المتجر، يشرب القهوة ويراقب الناس، ينسي تفاصيل الليلة السابقة، تصطدم صور الذكريات التي تترقرق احيانا الي ذاكرته مصحوبة بعطر غامض يجعله يشعر بخدر طفيف ولذة لا تمت بصلة للزمن الحاضر، يري نفسه صبيا يجلس الي منضدة في منتصف الفناء الواسع في بيتهم وعلي ضوء مصباح الزيت كان يحاول ان يكتب الشعر، مضيعا الوقت كله في الزعيق فوق اخوته الصغار ليصمتوا حتي يجد شيطان الشعر فرصة ليهبط فوق رأسه، وفي محاولة طرد الباعوض الذي يجذبه ضوء المصباح بكثافة اكبر كثيرا من انهمار الشعر الي رأسه. انه الوحيد الذي يسب الدين لشيطان الشعر ليزوره دون جدوي.

ضاعت القصيدة الوحيدة التي نجح في كتابتها في متاهة السنوات ولم يتبق منها سوي وهج باعوض المصباح وبعض بقايا تفاصيل شجاره مع اخوته الذين توزعهم العالم.

ذات مرة صمم ندماء الليل علي عدم اعطاءه الفرصة لاستفزازهم بشتائمه، قال للنور: ايها الكلب تسير طوال النهار وراء زوجتك التي لا تشبه النساء، أحرف جزار لا يستطيع ان يستخرج منها كيلو لحم واحد!

فقال النور: جزاك الله خير !

وقال للطيب: عامل فيها شيخ يا دجال وانت كل قطعة لحم في جسمك بالحرام، ابوك مشي السعودية قال للناس داير ابني جامع، لم القروش وجة أكلها وما بني ولا حتي زاوية!

قال الطيب: بارك الله فيك يأخي!

قال لعثمان: عامل فيها دكتور وانت كل همك تتفرج علي أعجاز النساء، اي واحدة تجيك حتي لو عندها وجع ضرس تديها حقنة في الأرداف!

فقال عثمان: فضلة خيرك، إنت كمان لو ما الظروف كان بقيت دكتور كبير تجيب الضرس من جذوره، من آخر القدمين!!

وقال للزين: اليشوفك بالنهار لابس هدومك المكوية يقول دة المحافظ مش مخزنجي في المجلس، يا لص المخازن والمهمات!!.

عرف الزين أنه سيوفّر جهاز راديو لسهرة الغد: نعمل شنو دي قسمة ربنا!

قال لزميل فشله: يا لاحس فروج النساء!

ابتلع الزميل اعصارا من الغضب حتي سمعت أصوات قرقعة العاصفة داخل بطنه وقال: أحسن من بعض من الناس!.

نظر عبد السميع حواليه، وضع كأس العرقي جانبا ولبس مركوبه خارجا: أحسن النوم بدل السكر مع اللواي.. (تم حذف الطاء والياء المربوطة لدواعي الحياء العام ..الخ)

يشرب القهوة في الصباح أمام المتجر، لا يزعجه سوي الأصوات العالية، أحدهم ينادي علي المركب الواقفة في الشط الآخر، المركب التي لا تأتي أبدا، بسبب عدم وجود هواء! ففي جمهورية الكيزان السعيدة إنعدم حتى الهواء! حتى أنه إنتهي الى القول:

لو عاوز تقطع البحر الى الضفة الأخرى...إلا تبقى كيجاب!

أحدهم يصيح وهو قادم من المشرع: ايوة أنا شاهد في القضية، يكررها عدة مرات، يصيح فيه عبد السميع: اصلك شاهد في لوكربي! ما حمار مسروق يا قزازة عرقي!

أقنعه الندماء ان يذهبوا الي حفل عرس، اقتنع بعد لأي، كان يخشي من المضايقات بمجرد ان نزل من المركب وهو يترنح حتي فال احدهم:

ألحق عبد السميع كرجبون! (أي سكران بشدة بلغة الدناقلة!)

فقال له : ايوة كرجبون، كرجبون من جيبك يا سخيف!

يقول زميل فشله : عشرين سنة تقرأ طب أسنان يا عبد السميع، وضم طرف صباعيه الابهام والسبّابة ليبيّن تفاهة الشئ الذي سيشير إليه: ضرس.. ضرس ما تقدر تقلعو!

نسي عبد السميع التهديد، ولجأ للدعم السريع: أسكت يالاحس فروج النساء!.

أمسك زميل الفشل بجركان العرقي وسكبها فوق رأس عبد السميع الذي أخرج لسانه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من العرقي السائل فوق وجهه بكثافة، ولتقليل تكلفة الغسيل الباهظ لرأسه الفارغ!!

حين خرج المُغني ليلعب شليل في الفاصل!

أمسية، تبدو عبر الأزمنة كأنها لم تحدث في هذا العالم. كان الزمان غير الزمان، والمكان غير المكان، أحدهم يغني، بين الريد والهوى، عشنا أيامنا سوا، ما قاسينا النوى، ما احلاك يا هوى، الهم راح وانطوى،

الهم راح وانطوى فقط في الأغنية، لكنه كان بين الناس كائن يمشي على ساقيه.

كان غبار ضوء القمر الذائب في رطوبة الحواشات يغرق ذلك الليل البعيد من يوليو العام 1997.

رائحة الجروف ، رائحة اللوبياء، رائحة نوار السنط، ورائحة غبار الأزمنة يتصاعد في قيظ الساعة الثانية بعد الظهر، يحيل كل شئ حتى التذكارات الى هشيم ..

أكاد لا أصدق أنه غاب عنا، محمود، وهل يغيب قمر مثله، ضوءه سيبقى ملايين السنوات الضوئية يضئ الدرب الذي ضاع منا في (موية) الانقاذ.

قبل سنوات كنا نعمل في مدرسة ثانوية شعبية، وكان المدير هو الاستاذ طه محجوب الحاج. كان اسمه وحده كفيلا بإعطاء المدرسة شهرة مدرسة مُعارِضة ، كانت هناك نقابات معارِضة وأحزاب معارِضة، لكن ربما كانت تلك أول مدرسة معارِضة..

قلت للنور ونحن نجلس في المسيد: حسين دة ليه مشى عرّس فلانة بعد ما خطب الزولة دي كم سنة؟!

تمطّى فوق حصير السعف وقال: شعر بيها شخصيتها قوية، وهو عاوز ليه جنازة، يرفعوها هو وأهله يوم العرس في عنقريب ويمرقوا على بيتهم!

قال أحد زملائنا للأستاذ طه حين وفدت الى المدرسة، مدرّسة جديدة لم يعرف أحد شيئا عن الجهة التي أرسلتها.

قال أحد زملائنا: الزولة دي يكون دايرين يزرعوها وسطنا عشان يلقطوا الاخبار!.

لم يكن هناك أخبار ولا يحزنون، الحال من حال البلد في التسعينات، والالفية الجديدة وكل قرون الاخوان المسلمين والعسكر في كل مكان. الجدب والموت والدمار ..

قال استاذ طه: والله زرعوها في عطرون!

سيفهم هذه العبارة، المدرسون والمزارعون والمهندسون المدنيون وحتى العطالى، بشرط أن يكونوا عاشوا لفترة من الزمان في شمال السودان ويعرفون الفرق بين الأرض العطرون والارض (الما عطرون) !!

أها قلت ليه: هسع بقت مدرّسة، وماشاءالله بيقولو عليها شاطرة، لكن أهو لسة ما لقت ولد الحلال!

ضحك النور وسكت. شعرت أن ضحكته كانت رد الفعل الطبيعي الوحيد على ما قلت، رغم أنني لم افهم العلاقة جيدا بين ما قلت وبين ضحكته.

قلت له لماذا ضحكت! قال لي ضحكت على حكاية ود الحلال دي! اتذكرت راجل كبير كان بيشتكي ان اولاده ما شغالين بيه اليوم كله ينادي زول يملأ ليه الابريق ولا يسقيه موية ما في زول شغال بيه. الناس كلها انشغلت في زمن الانقاذ، الخلق جارية جري الوحوش والكيزان حاشوا الرزق كله من برة برة ودوه ماليزيا وعملوا الباقي عمارات وعرسوا النسوان مثني ورباع! الدين دة

ما يعرفوا الكيزان الا في النكاح وأما بنعمة ربك فحدّث! أموال المساكين والفقراء بقت بقدرة قادر (نعمة ربك)

صدعوا راسنا: نأكل مما نزرعن ونلبس مما نصنع، قطّعنا فاتورة القمح، تاني ما حستورد حنصدّر! ووكت صدّروا، صدذروا الجنجويد!

أها الراجل وكت زهج، قال يا اخوانا البلد دي ما فيها ولد حلال يساعد الواحد، واحد ماري قال ليه : البلد دي كان فيها ولد حلال واحد، إغترب، مرقها في السعودية!!

بيني وبينه حكاية .. أصلو ما ليها نهاية

كان طفلا صغيرا، اسمه جدو، وكان يغني بفن وموهبة، يقلد محمود، كان صغيرا جدا حتى أننا بعد استراحة الفواصل ، كنا نذهب لاحضاره من بين الأطفال الجالسين في المقدمة، كان الاطفال سعداء بوجوده بينهم، وفي احدى الاستراحات احضرناه من الخارج فقد خرجوا للعب شليل في ضوء القمر في الفاصل، رغم ان الحفلة كانت مدورة في الداخل. وكان المذيع الداخلي يستخدم

نفس عباراته التقليدية، دون أن ينتبه للزمن، فحتى حين أشرقت شمس اليوم التالي (والحفلة مدورة) كان المذيع الداخلي مصرا على أنّ الليل: ما زال طفلا يحبو!

انه الفنان الذي قضى على اسطورة عشاء الفنانين، مثلما قضت الانقاذ على الاخضر واليابس. حين سألناه قبل إحضار العشاء. عن وجبته المفضلة، وطبعا الناس اعتادت على الفنان الذي يعاقر الخمر واللحوم. جدو كان يعاقر اللبن طلب فتة لبن! فنانين آخر زمن!

أصيب بعض اعضاء اللجنة المنظمة بالصدمة لبن! يا اخوانا انتوا متأكدين دة فنان ولا كديس!

غنى مثلما لم يغني أحد من قبل في القرية. حتى ابتهج الناس جميعا، حتى الكيزان، تركوا السرقة والاستهبال والرغبة في التسلط على المساكين، لليلة واحدة فقط وابتهجوا مثل البشر..

كنا نجلس، عدد من المدرسين، في أحد اصابيح النسيان، في فناء المدرسة، في الشمس فقد كان الوقت شتاء، وفي ساعات الضحى يسود الصمت في الشتاء، لا تسمع شيئا ولا حتى صوت الحياة، التي يبدو أنها تتوقف احتراما لصمت الحياة في الشتاء، صمت تولد الحياة من ضجيجه، ما أن ينتهي موسم الشتاء، حتى تبدأ ساقية الحياة تمتلئ وتدور من جديد رغم أن دورانها يظل يتراخى بمرور السنوات وكلما دخلت إنقاذ الجدب والجوع والدمار في العظم! .

كانت المدرّسة التي زرعوها في العطرون لم تنبت وتعمّر كثيرا، جفت مثل زراعة العطرون وغادرت الى المجهول. ربما وجدت ابن الحلال الذي اغترب، بعد كمية الكشات التي حاقت بالعمالة الوافدة. ولأنه ابن حلال وفي حاله، فسيفشل في توفيق أوضاعه وسيعود مع العائدين. ونكسب نحن ابن حلال واحد ويخسر كفيله، مقيم ابن حلال .

حين إقتحم فجأة صمت الحياة الذي يشيع في النفس وهنا وحزنا غريبا مثل الرغبة في الحياة والموت في نفس الوقت، إقتحم المكان شخص ملتح، توقعنا ظهوره الشيطاني بعد أن سمعنا في البداية صوت محرك سيارة فاخرة من النوع الذي يحبه أهل الدين والدنيا. كان موظفا في جهة حكومية تسمى النشاط الطلابي وظيفتها تجنيد الطلاب لصالح التنظيم الحاكم والتجسس على المؤسسات

التعليمية بدعوى مساعدتها. المهم هبط مثل القدر وتساءل بعد السلام عليكم،

التي كانت هي كل رأسماله من التدين في هذا العالم : أين المدير؟.

كان مزاجنا هادئا بسبب صمت الحياة وهدوئها في الشتاء ولم نشأ أن نسمح لكوز عابر مثل غبار أمشير، أن يخرجنا من وقار صمت تلك الحياة وجمالها الذي يتسرب الى الروح، رغم عفن السلطة وغبارها الاعصاري في الخارج..

أشرت له لاستاذ طه، الذي لم يعره ولا حتى إلتفاته مجاملة واحدة. مد لاستاذ طه بورقة وقلم، وكأننا في مزرعة لتربية الخيول وليس مدرسة اساسها العلم ولا يوجد علم بدون ورق وقلم. من معجزات الانقاذ ان ذلك ممكن، مؤسسات تعليمية، لا يوجد فيها ورق ولا قلم ولا علم ولا يحزنون.

قال للمدير: بالله اكتب لي اسم المدرسين الغير مدربين!

إدعى المدير عدم الفهم وقال: يعني ايه ما مدربين! إنت يمكن دخلت غلط دي مدرسة ما قوات الشغب المسلحة (نطق الشغب متعمدا بدلا من الشعب الفضل)!

شرح الملتحي: في الدفاع الشعبي.

كتب استاذ طه اسمه في الورقة بخط ضخم: طه محجوب الحاج محمد، غير مدرّب وغير مستعد!

ثم قال للكوز: بالنسبة للبقية يمكنك سؤالهم بنفسك!

قرأ الكوز الكلام ولا أدري لم شعرت أنه حين كادت عيونه تسقط خارج النظارات الطبية، لم يكن يعرف القراءة.

: الكلام دة بيعمل مشاكل يا شيخنا!

نظر استاذ طه حوله لحال الدنيا الواقف صيفا وشتاء، ولا أمل حتى في اية إنفراج، وقال: بالنسبة لي انا ما فارقة معاي، لكن لو بيعمل ليك انت مشاكل وكت تطلع برة المدرسة قطّع الورقة دي وكبها!

أخذ الكوز ورقته بشماله، وخرج لا يلوي على شئ!

عبرت السنوات، ربما اصبح جدو الفنان كبيرا، ان ظل على قيد الحياة في زمن الموت والدمار، وهل لا يزال يتبع خطى قمر زماننا، محمود، محمود الذى بقي خالدا بفنه الاصيل الذي نذر له روحه، محمود الذي كان كبيرا وكان مرفوع الرأس رغم أن الصغار ممن يسمون أنفسهم بالانقاذيين، سلكوا كل سبيل ليسمموا حياته، خوفا منه ومن شعبيته التي أحرزها نتيجة شخصية كريمة

عبقرية، ونزوع للخير وللفن الجميل قل أن يتوفر في بشر، وستعبر مياه كثيرة من تحت الجسر وحتى في الصحاري، وستتغير اشياء كثيرة، يزداد السيئون (الانقاذيين) سوءا، ويزداد الاخيار احسانا. ويظل طه هو طه محجوب الحاج، غير مدرّب وغير مستعد!

وصوت ذاك المغني الصغير ينثال عبر السنوات:العجب حبيبي.. أداني تحية، دموعي سالن والمنام أبى لي!

المنام أبى لي، فما زال الليل طفلا يحبو، رغم تلك الشمس التي إرتفعت في السماء من الصحراء شرق القرية..

هات يا زمن .. جيب كل أحزانك تعال.. جيب المحن!

النصف الثاني ثمانينات القرن المنصرم: آخر أزمنة الجميلة: زمان الانتفاضة.

لم يكن تتار العصر قد وصلوا بعد الى السلطة، لكنهم كانوا يتأهبون للإنقضاض على النظام الديمقراطي الوليد.

وكانت صحفهم تبشّر بقرب ظهور القوي الأمين الذي سيملأ الأرض عدلا وقسطا.

القوي الذي حين يصل بجماعته الى السلطة عبر الخديعة والانقلاب، سيستاسد فقط على ابناء وطنه الذين جاء بزعم حمايتهم، أما حين يتعلق الأمر بالعالم خارج الحدود، فسيكشّف عن نعامة ربداء تجفلُ من صفير الصَّافرِ! بدأ عهده بغناء الوعيد لامريكا التي دنا عذابها، وبالاعلان أنّ رضاء أمريكا يعني أن النظام حاد عن جادة الصواب والدين! وإنتهي بإقامة سرادقات الفرح إبتهاجا برفع امريكا العقوبات المفروضة على نظامه!

صباح قائظ من صباحات زمان الانتفاضة، مشحون بغبار نوّار النيم والليمون، وغبار معلّق في الفضاء البعيد، ينبئ عن أول إشارات الخريف: كنت أعاني من نوبة فرح، صوّرت لي العالم مثل جنة أرضية لا مكان فيها الا للمحبة، لو أنّ حمارا نهق لملت طربا، ورغم ذالك شعرت بالشؤم حين سمعت صوت الزين الملئ شجنا كأنه يتنبأ بالكارثة الوشيكة.

وجدته (يترنّح) وهو يقطع الشارع الرئيسي في المدينة، كان ثملا كعادته، قلت محذّرا: انت ناسي البلد فيها شريعة!.

أعلن: والله لو ربطوا لي الترابي قدام بيتي ما بقيف!

سيعرف بعد أيام قليلة (بعد أن طارت السكرة، وجاءت الفكرة).. أنّ الترابي (إتربط) (قدّام) الوطن كله!

كرّرت تحذيري: انت ناسي البلد فيها شريعة؟ ما خايف من الجلد!

قال نفس العبارة التي سمعتها منه قبل سنوات: نحن في الرقيص قاعدين ننجلد!

من كثرة ما تعرض للجلد أيام قوانين نميري السبتمبرية، اصبح قاضي الطوارئ صديقه، حذّره مرة بعد تنفيذ الجلد: انت زول طيب يا الزين، وكت تشرب اشرب في بيتكم ، مافي داعي تشرب وتطلع الشارع! دة سَكَر ولا ثورة! أنا خايف مرة يجيبوك لي قاضي غيري يبهدلك!

إستغلّ الزين الصداقة، ورفع ما تبقى من الكُلفة، أعلن للقاضي مفرغا الصداقة الوليدة مع القاضي من مضمونها المصالحي: أنا اصلا داير اجيك كاتل الرقبة؟ ما اربعين سوط كان منك ولا من غيرك!

كأنّه كان يعرف أنّ تلك كانت آخر مواسم الفرح، لم يكن مستعدا ولا حتى لاضاعة ثانية واحدة من زمن كان يمضي صوب المجهول، صوب زمان التمكين والنهب المصلّح، صوب عهد اللصوص، عهد الكذب، عهد لا يساوي فيه الانسان سوى ثمن طلقة رصاص يدفع ثمنها من عرقه ودمه!.

كأنه كان يشعر بدنو أجل زمان الفرح، لا وقت ولا حتى ليتوقف، ولا حتى ليستريح قليلا من عناء البهجة، الشارع الرئيسي ينتهي في نهر النيل، حين إعترضه النهر مضى فوق النهر كأنه يسير فوق الاسفلت، دون حتى ان تهتز شعرة من صوت غنائه: هات يا زمن ..جيب كل احزانك تعال .. جيب المحن.

كان يتوقف عند كلمة تعال، يفرغ فيها كل مخزونه من الخوف: تعال... كأنه ينادي على شخص في الضفة الاخرى من الحياة.

لحسن الحظ كان النهر العجوز في موسم التحاريق، يمضي في الرحلة الأبدية بطيئا حزينا، كأنّه كان يرى (فيما يرى النائم) هوج الرياح التي كانت على وشك ان تكتسح الوطن كله.

لحسن الحظ كان النهر يكاد يمضي تقريبا دون ماء في موسم تحاريقه، يستطيع طفل عبوره، دون أن يبتلّ وجهه، وليس سكيرا طويل الرجلين له من على البعد هيئة طائر البلشون.

سكرة لم يفق منها الا بعد أن (اتربط) الترابي (قدام) الوطن كله!

كان يغني هوج الرياح، صوته كان خشنا ورمليا قليلا(كأنه إبتلع حجرا) ضمن ما تعاطى من مكروه عمدا!

شعرت بحزن خارق، لم يكن يغني بصوته الجميل كعادته، كان يوّزع مخزون خوفه من الزمن الآتي على العالم! حتى صبية المدرسة توقفوا في صمت حين عبر بجانبهم، حتى طيور(القيردون) التي كانت تتقافز فوق رمال الشاطئ، وقفت في صفين طويلين مثل حرس الشرف، فيما عبر هو بينها ينثر في أحزانه الرملية في صمت الضحى، دون أن يكترث حتى للرحلة الطويلة التي قطعتها طيور القيردون المهاجرة بحثا عن مواسم الدفء والحَبْ والفرح!.

قلت له سيكون مناسبا مع مظاهرة سكره الاستعراضية الشارعية أن يغني: القطر الشالك إنت.. يتكسّر حتة حتة،

أو تمشي وتجي بالسلامة حمادة مع السلامة.أو بخُت الراية مع المراية بسيبك انت وبحب معاوية.. معاوية تش!

لم يكترث لملاحظتي وواصل في غنائه:

طول يا أسى وكتّر ينابيع الشجن

كأنّه كان يتنبأ بهوج الرياح التي كانت على وشك الهبوب، تجلب الأحزان والمحن، لتذر الوطن كله قاعا صفصفا، كل شئ فيه معروض للبيع السريع.

شرح لي من داخل الاغنية، وكأنه يؤدي إحدى مقاطعها، حتى أنني لم أشعر بأنه خرج عن النص: منذ أيام لا أشعر برغبة الا في أداء هذه الأغنية!

جرعني كاس من لوعة من آلامي ما المحبوب خلاص

خلاني ليك الليلة راح

لم أكن بحاجة لنبوءة مغني شارع، سكير، لأتبين نُذر الكارثة التي كانت تنسج في رحم الغيب، فالمؤامرة كانت معلنة.

حين تجاهل اقتراحي الاول، حاولت حمله مرة اخرى على تجاوز مرحلة هوج الرياح، إقترحت عليه أغنية خفيفة، كنت أحب الاستماع اليها، كانت بإيقاعها السريع وعتاب كلماتها الطيّب، تصلح لوضع حواجز في الذاكرة حتى لا تختلط أزمنة الفرح والحزن:

يا الغاريك جمالك .. الزينا نحن ما بستاهل..

غنيت معه حتى أنقله الى أغنية اقل شؤما،: في دربك كم شقينا .. بدمع العين بكانا!

لكنه كان يصر على السير في الدرب الموازي، الدرب الذي يكاد يضيع في متاهة كلمات لحنه الحزين :

خلاني وحدي جناح كسير

وانا والدموع والشكوى والليل والشجن

رماني ليك راح يا زمن

وخلى الشجن!

توقف فقط ليقول معلقا على إقتراحي : شوف لينا غنية بتاعة رجال! دة غنا شنو دة؟ زول بيغني تقول ساكي ليه قطر! الغنا عاوز رواقة، عاوز الزول يقعد ويقعّد الكلام!

جيب كل أحزانك تعال جيب المحن!

وقفت أمام صفوف القيردون الحزين أرقبه يعبر النهر، مع هوج رياحه، وكأنّ وصوله الى الضفة الاخرى كان ايذانا ببدء هبوب العاصفة، التي إقتلعت الأشجار ورمال الصحراء، العاصفة الهوجاء التي ستفضي بوطننا الى تاريخ الشؤم: الثلاثين من يونيو العام 1989!

السرقة مباحة أثناء خسوف القمر!!

افتتح القاضي المحكمة الشعبية: لا بأس، نبدأ. وأشار للحاجب لينادي على القضية الاولى.

نادى عبدالعاطي على الشاكي الأول حسن الاعور، الذي أعلن دون مقدمات ودون أن ينتظر القاضي ليسأله عن مشكلته: الحنين سرق مني ربطة قصب!

مسح القاضي وجهه الضخم من العرق بمنديل أبيض ضخم ولوّح به كأنه يرفع راية استسلام أمام القيظ: ربطة واحدة فقط؟

دة العرفناه يا مولانا، يمكن سرق قبل كدة، ويمكن يسرق تاني. لكن الناس شافوه يوم خسوف القمر. الاولاد في الشارع شافوه منتظر أول الدنيا أظلمت بعد الخسوف والناس انشغلت بدق الصفائح عشان يساعدوا القمر يمرق بسرعة. واحد من الاولاد شافه بالصدفة وهو بيسرق ربطة قصب من سقف بيتي!

قال القاضي: لكن ربطة دي حاجة رخيصة، والزول دة لو ما محتاج ما كان حيسرق القصب. ممكن تعافيه المرة دي وأنا بجاملك في القضية الجاية!

تجاملني في شنو يا مولانا محكمة دي ولا سوق السبت؟ الزول دة متعود دائما يسرق القصب. في الصيف قلت ليه تعال أزرع معاي شوية مريق على الاقل تستفيد بالقصب للبهائم لكن رفض، قال لي الصيف ما للشغل، للراحة، كفاية علينا التعب في الشتاء!

قال شيخ النور مساعد القاضي: إعتبرها زكاة! بعدين ما دام الراجل دة ما بيسرقك الا وقت خسوف القمر ما مشكلة لأن الخسوف بيحصل مرة كل عدة سنين!

قال الحنين: الزكاة دفعناها. ناس الزكاة بقوا ينتظروا المحصول قبل نجمعوا في الجوالات ويقسموا حقهم! وكت أحتجت في الصيف ولدي مرض ومحتاج عملية زايدة مشيت ليهم قالوا ما عندهم، القروش مشت كلها للعاملين عليها!

قال القاضي: كدة خلينا يا زول من شغل السياسة دة، انت داير تقطع عيشنا ولا شنو.

واصل الحنين: بعدين لو هو التزم يسرق القصب فقط وقت يكون في خسوف ما عندي مانع، لكن الضمان شنو يكون بيسرق في ايام الظلام وكت القمر يغيب بدري؟

قال القاضي مبتسما: ما مشكلة نحن ممكن نخليه يتعهد قدام الناس ديل ما يسرق القصب الا وقت خسوف القمر.

أشار القاضي لعبد العاطي فنادي بصوته : المتهم الحنين.

جاء الحنين. كان يبدو مسكينا وضعيفا لا يقوى ولا حتى على رفع عود قصب واحد من الارض. حتى الجلباب الممزق الاطراف الذي يرتديه كان يبدو كأنه يسير وحده ولا يوجد إنسان في داخله

قال القاضي: اها يا الحنين. انت سرقت القصب؟.

قال الحنين ببساطة وكأنه يرد على السلام: نعم!

شعر شيخ الطيب بخيبة أمل من سرعة الاعتراف الذي كان يأمل في إنتزاعه بعد استدعاء الشهود وبعد عدة اسئلة ومداولات.

كانت لديه عدة اسئلة حول مكان وجوده لحظة ارتكاب السرقة، لم يعد لها معنى. فكر قليلا وسأل سؤالا غير ذكي: وسرقت ليه!

صمت الحنين وقال: والله قسمة ربنا بس!

ضحك شيخ النور وقال: دي ما قسمة ربنا، براك قسمت لي نفسك!

قال شيخ الطيب بلهجة تحقيقية ليعوض عن الاعتراف السريع: لازم يكون في سبب قوي. عشان الرجل دة مقدم شكوى ضدك!

قال الحنين: يعني القسمة ما سبب قوي؟

تحير القاضي قليلا، حاول أن يلقي محاضرة يستعين فيها بإرثه من دراسة الفقه، لكنه إكتشف أنه لا يذكر شيئا من الأحاديث التي يمكنه أن يفند بها دعاوي الحنين لتأصيل سرقة القصب. سحب كرسيه للخلف قليلا وأعطى المتهم عدة خيارات ليسهل له الاجابة بعيدا عن إلقاء تبعة ما اقترفته يداه على القسمة والنصيب:

لا إنت وكت مشيت تسرق القصب كنت محتاج مثلا، البقرة جيعانة؟ داير تعمل راكوبة في البيت؟ كنت مستلف قصب من زول جة ضايقك عاوز ترجعها ليه؟ زوجتك قالت ليك جيب قصب عشان نولع بيه النار لعمل العشاء؟ وبعدين ليه اخترت وكت الخسوف للسرقة؟

بدا الحنين مترددا كأن خيارات القاضي لم تنطبق كلها على سرقته. حاول التمسك بمسألة القسمة حتى لا يتهم بتغيير أقواله، فكر قليلا ثم قال: والله القسمة ودتني مراح البهائم مع أن دائما الاولاد بيعشوا البهائم ويحلبوا البقرة، يوم الخسوف كنت ماشي أسهر مع رضوان في الحلة بحري، رضوان قال لي سكر يوم الكسوف ما بينفع، بننسخط لو سكرنا، عشان كدة رجعت بدري! لقيت البقرة جيعانة، ما قدرت أحلبها، بعدين الاولاد الصغار كانوا جعانين، الكبار مشوا إتعشوا في كرامة الخسوف في المسيد. مشيت اسرق قصب من جنينة العمدة، هناك القصب كتير مافي زول حيعرف ان في ربطة اتسرقت، لكن لقيت المحل ملان بالاولاد جايين عشان الخسوف. كل محلات القصب لقيتها ملانة بالشفع. جيت ماري جنب بيت حسن الاعور لقيت الاولاد قاعدين في الشرع قدام البيت منتظرين الخسوف. قررت خلاص ارجع أو امشي الحواشات أحاول القى شوية قش رغم ان اليومين ديل مافي حاجة، ناس الرعي ما خلوا حاجة في الحواشات. في اللحظة دي القمر غاب والدنيا بقت ظلام. إنتهزت الفرصة قلت مافي زول حيشوفني.

لكن الكلام دة حرام!قال القاضي .

قال الحنين: حرام شنو، في زول من ناس الحكومة ديل قالوا سرق بلد كاملة باعها بناسها وبهائمها! بقت على ربطة القصب بتاعتي دي!

تجاهل القاضي كلامه حول السرقة الحكومية وقال: كان ممكن تستأذن الزول دة وتستلف منه القصب!

قال الحنين: استأذنت منه كتير. آخر مرة قبل أيام قال لي ما عندي قصب، العندي ما حيكفيني لغاية نهاية الموسم!

وقف حسن الأعور وقال:

الزول دة يا مولانا لازم يتسجن ويدفع لي تعويض، الزول دة قبل كدة سارق مني حمار!

قال القاضي: الشهود اثبتوا الزول دة كان مريض وعنده ملاريا وكت حمارك اتسرق. ودي بلد مفتوحة تجار حمير مارين ممكن يسوقوا حمارك وسطهم بدون زول يلاحظ وانت حمارك مطلوق اليوم كله، الناس كلها تشتكي ان حمارك كان بيتلف الزراعة عشان كدة الناس فرحت وكت حمارك اتسرق!

أنت فرحان يا مولانا عشان حماري اتسرق؟ انت مفروض رجل قانون ترجع المسروق مش تفرح وكت الناس تسرق!

قال القاضي: أنا ما فرحت، قلت ليك بعض الناس فرحوا لأن حمارك كان معذبهم، أكل برسيم الناس ودخل الحواشات أتلف الزراعة!

لم يفند حسن الأعور إتهام حماره المسروق بإتلاف المزروعات، أصر على إتهام الحنين:

الزول دة سكر بحماري!

قال القاضي: كيف الزول يسكر بالحمار؟ قصدك ركب الحمار مشى سكر بيه؟

لأ سرق الحمار وباعه ومشى اشترى بالقروش العرقي !!

قال شيخ النور: لو عندك شهود جيبهم الزول دة سكر بحمارك او دة حنعتبره قذف!!

قذف شنو انا عمري ما جدعت الحجر. بالعكس زمان وكت كنت فنان بغني في الاعراس الناس جدعوني بالحجارة، في الاول كنت بصبر عليهم وبرد عليهم بالغناء، لكن وكت الضرب كتر بقيت أردم الحجر جنبي قبل ما أبدأ الغناء، ولو أي واحد رماني بحجر بضربه أنا كمان بالحجر وما بوقف الغنا. بكون بغني واضرب والزول يكون جاري من ضرب الحجر وبيرقص من الغنا في نفس الوقت!!

- قذف يعني اتهمت الزول بالكضب

كضب كيف الزول اعترف قدامكم!

اعترف بالقصب ما بالعرقي

ما خلاص زول معترف بالسرقة غالبه شنو يجيب العرقي يسكر بيه!

بادره القاضي : وإنت عرفت كيف انه باع الحمار وسكر بقروشه؟

تردد حسن الأعور قليلا، وتلفت حواليه كأنه يحصي عدد من سيشهدون فضيحة إعترافه قبل أن يعلن: ست العرقي قالت لي!

قال القاضي: والوداك محل العرقي شنو؟

ما مشيت أي محل يا مولانا، ست العرقي دي الا امشي اشتري منها، يمكن قابلتها في السوق!

وست العرقي القابلتها في السوق دي، شافت الزول دة وهو بيبيع الحمار ويجي يشتري العرقي!

لأ لكن وكت اشترى العرقي طلّع من جيبه قروش كتيرة دفع منها تمن العرقي، ست العرقي قالت ليه : بعت التمر؟

قال ليها لأ، دي قروش حرام عشان كدة بدفع منها تمن العرقي عشان يذهب الحرام من حيث أتى!

ضحك شيخ النور وقال: وأي قروش حرام معناها قروش حمارك؟

قال القاضي مصرا: وانت الوداك لست العرقي شنو؟ معقول حتحكي ليك الكلام دة كله في السوق؟

فرغ صبر حسن الأعور: مشيت سكرت يا مولانا. ولو أنا ما سكرت يا مولانا انت حتشتغل شنو؟ عندك شهود ناديهم وأجلدني!

حكمت المحكمة بالحبس ثلاثة ايام على حسن الأعور لاهانته المحكمة الموقرة. وبغرامة عشرة جنيهات على الحنين لسرقته ربطة قصب على أن يعوض الشاكي بمبلغ خمسة جنيهات.

قال الحنين: عشرة جنيه عشان ربطة قصب، دة حكم جائر يا مولانا!.

مسح مولانا العرق الغزير من وجهه ولوّح بمنديله الابيض الضخم مستسلما للقيظ، وقال: دي قسمة يا الحنين، ليه سرقتك تبقى قسمة وحكمنا يبقى جائر؟

رفعت الجلسة.

ساحرة أرجنتينية تُهدي السيد الرئيس قميص ميسي وحذاء أوكامبو!!

كان الفرعون يشعر بالسأم، الأمن مستتب سيدي الرئيس! الخريف مبشّر هذا العام، كل المتآمرين غرقى، كل سيارات الانقلابيين غارقة في الوحل! الجنجويد يحرسون الشوارع الغارقة.

سمعت أنه كانت هناك محاولة انقلابية، يجب إعدام الجميع!

لم تكن هناك محاولة انقلابية سيدي الرئيس، كانت فبركة من جهاز المخابرات الوطني، لطرد عشرة آلاف معلّم من وظائفهم، وإحلال عشرة آلاف معلم من كوادر حزبنا سيدي الرئيس! هؤلاء الصغار هم مستقبل وطننا لا يجب أن نسلم آذانهم لأعداء الثورة والوطن!

قال مندهشا من تفاهة الفكرة: كيف يدبّر المعلّمون محاولة إنقلابية؟ هذا وطن بمشاكله المعقدة وليس مدرسة إبتدائية! ماذا اذا لم يجد الناس الخبز، هل سيقولون لهم: لا مشكلة ليس بالخبز وحده يحيا الانسان! هل سيأكل الناس الطباشير! ماذا لو هطلت الأمطار الغزيرة وإكتسحت السيول الوطن، وعمت الابتلاءات في كل مكان! هل سيقولون للناس من تهدّم بيته يجيب بنعم! ثم يقومون بجلد اللصوص الذين استغلوا الفوضى لسرقة الاشياء القليلة التي يمتلكها الفقراء! هذا وطن مشاكله معقدة، لن يستطيع المدرسون حلها، كل من يختلف قليلا مع رجال السلطة يحمل السلاح! كيف يمكنك أن تجلد بالعصا (كما يفعل المعلمون في مدارسهم) شخصا يحمل بندقية كلاشنكوف ويتوكأ حين يسير على مدفع آر بي جي!

يقولون ان ذلك حدث في تركيا!

هنالك ربما لدى بعض الناس فراغ، يدبّرون إنقلابا عسكريا لمحاربة السأم والتضخم! نحن ليس لدينا وقت او تضخم، الجميع مشغولون بالعمل من أجل الوطن، وحماية مكتسبات الثورة، نحن نأكل مما نزرع، ونلبس مما نصنع!

لكن مواقع المعارضة على الشبكة العنكبوتية في الخارج تقول أننا لا نأكل شيئا ولا نلبس شيئا!

لقد قلت ذلك بنفسك، شبكة عنكبوتية هل ننتظر خيرا منها؟ أليس أوهن البيوت هو بيت العنكبوت؟ المعارضة لا تعرف شيئا عما يدور داخل الوطن، لقد اصبحنا نأكل الهوط دوق والبيتزا! بدلا من البوش والملوحة! في عهود الظلام لم يكن المواطنون يذهبون الا نادرا الى المرحاض! ماذا سيتبول من يأكل شيئا شبيها بالغائط! في عهد ثورتنا المجيدة، عاد الناس الى المراحيض، ثورة المراحيض المجيدة!

لكننا لا نزرع الهوط دوق سيدي الرئيس، ولا نزرع البيتزا!

لدينا رجال اعمال أجانب، يمكننا الاتفاق معهم لزرع مساحات إضافية بالهوط دوق والبيتزا، سنحقق الاكتفاء الذاتي ونصدّر الفائض ونصبح سلة هوط دوق العالم!

لكن الدولار إرتفع سيدي الرئيس، الفقراء يحبونك سيدي الرئيس، لكن ليس بالحب وحده يحيا الانسان، لا بد من الخبز والدواء!

في عهود الظلام كان الناس يحيون بالحب! ألم يقل احد مفكري حزبنا أن الناس في عهود الجاهلية الحزبية كانوا يقفون اليوم كله في صفوف الحب! صفوف العاهرات! الآن لا توجد صفوف للحب، لقد وفرنا كل شئ، الحب موجود في وطننا أكثر من الهواء، الحب الجماعي!. حين يرتفع الدولار أحيانا بسبب الإستهداف والحصار الامريكي، تكون هناك صفوف للخبز! تطورت في عهد ثورتنا المجيدة إحتياجات الناس إيجابيا!

تثاءب السيد الرئيس وقال برغبة إلغائية لكل البرامج التي تبقت له في ولايته تلك:

هل لدينا مواعيد مهمة اليوم؟

هناك موعد هام مع ساحرة أرجنتينية!

ساحرة أرجنتينية؟ ما الذي أتى بها من تلك البلاد البعيدة؟

كانت أحد حضور مؤتمر السحر والساحرين الذي نظّمه جهاز الأمن والمخابرات الوطني!

لا أرغب في مقابلة ساحرة من الأرجنيتن! حتى لو كانت ملكة جمال أمريكا اللاتينية! هل نسيت انها بلد أوكامبو! أليس من الممكن أن تكون هذه الساحرة هي أوكامبو نفسه جاء متخفيا! بعد ان فشل في الايقاع بي لعدة سنوات! رغم أنه ظل بدأب يحسد عليه، ينصب شباكه المثقوبة أمام طائرنا الرئاسي الميمون!

لكن اوكامبو ترك العمل معهم، كما ان هذه الساحرة لديها مقدرات عجيبة!

ماهي مقدراتها؟

يمكنها أن تحضر لك أية ملابس تخص أية شخص في العالم في دقائق! تجرّد ذلك الشخص من ملابسه فيجد نفسه عاريا فجأة، حتى لو كان يقود جيشا لدحر إنقلابيين أو يرأس إجتماعا في البيت الأبيض أو يحاضر في أرقى جامعات الدنيا!

أريدها أن تحضر لي حذاء اوكامبو، حتى لا أشعر أبدا أن هذا الأفّاق يتبعني، حين يكون القصر هادئا ولا يوجد مستثمرون أجانب في الحديقة، يريدون شراء أراضينا الزراعية، ولا عشّاق في شارع النيل يغنون لغروب الشمس، او أصوات دبّابات إنقلابيين جدد، فإنني أسمع دائما صوت خطوات تتبعني! قال لي عرّاف قبل سنوات: أنها خطوات أوكامبو!

لا بد أن حذائه قد بلي سيدي الرئيس ما دمت تسمعه يدبّ نحوك منذ سنوات!

تقول الساحرة أنها ستصنع لك ثوبا لا تكون رؤية من يرتديه في متناول الجميع، حين تفتّش حرس الشرف لن يراك من حرّاسك الا المخلصين، حين تجلس في إجتماع مجلس الوزراء لن يراك الا الوزراء المخلصين الأنقياء الذين يعملون ليلا ونهارا في خدمتك وخدمة شعبك!.

ضحك السيد الرئيس وقال: إذن لن يراني أحد في مجلس الوزراء! ولا حتى الحاجب!

سيكون ذلك أفضل، يمكنك عندئذ حضور الاجتماع كاملا دون أن يلاحظ أحدهم إنك موجود، يمكنك أن تعرف كل أخبارهم وكل المؤامرات التي يحيكها منافسوك في الحزب من المدنيين الذين أحلتهم الى التقاعد، حين إكتشفت أن طموحهم إمتد الى كرسيك سيدي الرئيس!

وما إسم هذا الثوب الذي ستصنعه الساحرة ؟

لقد إسمته الساحرة بإسم لاعب كرة قدم شهير إسمه ميسي! الثوب نفسه مصنوع على نفس شكل الفانلة التي يرتديها هذا اللاعب الشهير ويسجّل بها الأهداف الذهبية، حين ترتدي ثوبه يمكنك أن تسجّل ايضا عدة أهداف! تتحول الى الهجوم، بدلا من بقائك للدفاع طوال اليوم عن عرشك المهدّد بين دبّابات الانقلابيين ومؤامرات المدنيين من فلول حزبك!

ألا يجب أن أخاف أيضا من الشارع؟ ام أنّ شعبي السعيد يحبني!

شعبك يحبك سيدي الرئيس وحين يراك بثوب ميسي سيزداد حبه لك، شعبنا يحب ميسي سيدي الرئيس!

لكن ألا يمكن ألا يراني شعبي حين ارتدي ثوب ميسي الذي لا يراه اللصوص والمتآمرين!؟ ألا يوجد لصوص ومتآمرين بين صفوف الشعب؟

الشعب نقي إجباريا سيدي الرئيس! ليس فقط بسبب تفشي القيم النبيلة في عهدك السعيد، ولكن لأن السياسيين في حزبك لم يتركوا شيئا للشعب ليسرقه! لقد سرق أعضاء الحزب حتى أعمدة التليفونات، حتى شوارع الاسفلت طووها مثل السجاد ورفعوها في عربات ضخمة حملتها الى خارج الوطن، حيث بيعت لبعض الدول النامية ، لقد باعوا البنية التحتية سيدي الرئيس! حتى مجالنا الجوي باعوه، جميع الطيور التي تحلّق في مجالنا الجوي السابق أصبحت تخص ملّاكا آخرين سيدي الرئيس! لا يمكننا صيد القطا! اذا طربت لغناء القماري فوق أشجار النيم ستصلك فورا فاتورة واجبة السداد للشركات التي تملك المجال الجوي وتملك معها العصافير! إذا ردّدت مساء وأنت مستلق في الفناء أغنية (يا نجوم الليل أشهدي على لوعتي وتسهدي .. على بكاي وتنهدي) سيكون هناك شهود أخرين أيضا يشهدون على لوعتك وتسهدك، كاميرات الشركات التي إشترت المجال الجوي، وستبكي وتتنهد حين تصلك الفاتورة خلال أيام قليلة، ألم تشاهد الاعلان الذي تبثه شاشات فضائية ضخمة: ممنوع السهر دون إشتراك شهري، في ضوء النجوم التي بيعت مع المجال الجوي!

دهش السيد الرئيس: اذن لقد باعوا الهواء وباعوا النجوم، وباعوا الشوارع! هذا يفسّر لم اصبح الغبار يهب يوميا في منطقة قصري الجديد! لقد باعوا شارع الاسفلت!!

باعوا أشجار اللبخ القديمة ايضا سيدي الرئيس، أشجار اللبخ التي غرسها الانجليز! إضطر عشّاق شارع النيل الى نصب خيام ملونة صغيرة حتى أصبح شارع النيل يبدو من على البعد

مثل السوق الشعبي سيدي الرئيس! ينصبون الخيام ليقوا أجسادهم من أشعة الشمس الحارقة، التي تحرق الرؤوس أثناء قراءة العشّاق لآخر قصائدهم، مما يجعل العشّاق يرتبكون بسبب القيظ ويقرأون قصائد كتبت لحبيب آخر، أو ينسون تغيير اسم الحبيب القديم في قصائد عشقهم المستهلكة فيبدأ العراك ويرتفع الغبار في فوضى عراك الحب!

فليحضروا الساحرة الأرجنتينية!

وفي اليوم التالي إرتدى السيد الرئيس قميص ميسي، لم يره أحد في مجلس الوزراء، ولا حين خاطب الاجتماع التشاوري لقادة وأعضاء حزبه، لم يره أحد في أي مكان، لكنه حين نزل الى الشوارع الغارقة في الشمس يتفقد الرعية، رآه الناس عاريا، كما ولدته الساحرة الارجنتينية صاحبة الميول الاوكامبوية! التي نسيت إبلاغه أنّ الحزاني والمسحوقين من ضحايا عهده السعيد سيرونه حين يخطر بينهم، دون ملابس، لا يرتدي شيئا سوى حذائه العسكري الضخم الذي يشبه قاربا صغيرا حمله موج منسي ليرسو ذات يوم في قدميّ فيل السلطة العتيق!

حوار (مساطيل) في شمس نـهار الخرطوم الطويل!

ايه يا اخينا انت قاعد في السهلة دي شوية؟ ولا خايف لو قمت منـها يبيعوها!

لأ أنا هسع مفروض أكون في البيت.

النـهار بقى طويل اليومين ديل! والا دة من البكور!

النـهار بقى قصير عشان شتاء، إنت يمكن لسة قاعد في نـهار أمس، الليل مرّ فوقك ما لاحظته!

طيب القمر دة ليه طلع من الضـهر!

دة ما القمر دي الشمس!

دي الشمس! ومـالـها بقت صغيرة كدة! الظاهر (كشّت) شويـة، يكون الجماعة غسلوها مع الأموال!

وجيت متين من الخرطوم؟

انا لـي ستة سنـة ما سافرت!

والخرطوم كيف؟

عفانـة شديدة محل ما تمش

يمكن دي مخرجات الحوار! العفانـة وصلت لـي هنـا! ولا انت بطنك مكركبة شوية

لأ الليلة مافي كركبة! الجامعة هادئة شويـة!

دي مخرجات السرقة، الكيزان سِعروا بقوا ياكلوا حتى الواطة، زي العقرب! ، والضبان والبعوض غيروا كلامهم فيه بدل ما يقولوا ابتلا قالوا دي حصّة كل مواطن! مش كل زول بيطالب بي حصّة في كل شئ في البلد دي؟ خلاص في الاول شيلوا حصتكم من البعوض والضبّان والباقي هين!

والناس ماشة كل زول يتكلم مع نفسه!

ليه مافي ناس يتكلموا معاهم ولا ايه!

الحلة دي زمان كان فيها مجنون واحد هسع بقى فيها عاقل واحد

المجنون كان اسمه اب كنبة كان عنده كنبة من بتاعة المدارس ، اليوم كله شايلها وحايم بيها يختها في اي محل ويقول ليك اتفضل معانا البيت بيتك، مرات يجي يختها في بيتك ويقول ليك اتفضل معانا البيت بيتك!.

والله زول كريم، ولقى الكنبة وين؟

كنبة من النوع البيقعدوا فيها الاولاد الكبار في الفصل ورا، بيكونوا بلدا شوية لكن ناس مروة، لو في زول وقع، لو زول داير يجلدوه اربعة منو يرفعوه. الالفة بيكون منهم، انا كنت من الجماعة الورا، ناس الكنبة!، قاعدين كنب ساكت. الاستاذ كان سامينا المراقبين الدوليين، الصراحة بنراقب كويس، مافي شئ بيفوتنا. اليوم كله نراقب لكن ما بنشارك في حاجة الا لو في فتة ولا حاجة! لو واحد مننا رفع يده، ما معناه داير يجاوب سؤال ولا يسأل من حاجة في الدرس! معناه (مزنوق) داير يستأذن يمشي يبول ولا حاجة! مرة واحدة واحد مننا جاوب على سؤال، وبسبب إجابته لبسنا كلنا قميص ميسي، إتدقينا دق

الرخصة! قدر ما قلنا للاستاذ ولا تزر وازرة وزر اخرى. قال لينا في حالتكم دي تزر، لأن مفروض الزول توعوه يمسك خشمه! بدل يعمل لينا فضيحة المدرسة كلها اتفرجت عليها، ما دام قاعد معاكم في كنبة واحدة! كلكم مسئولين مسئولية تضامنية!.

الزمن داك كان في قميص ميسي؟

لبسناه بأثر رجعي!

السؤال كان شنو؟

ما هي أضرار الأكل في الظلام!

ما عنده اضرار! لو بيعمل شئ كان الكيزان كلهم إنتهوا، أكلوا في الضلام لغاية ما شبعوا وهسع بقوا ياكلوا في النور حقارة فوقنا ساكت!

زميلنا عبدالكريم رفع يده، الاستاذ ذاته اتخلع، قال ليه مالك يا عبد الكريم متين لحقت هضمت الفطور؟ قبل شوية كنت في المرحاض!

قال ليه لأ يا استاذ انا ما مزنوق! أنا داير نجاوب!

الاستاذ اتخلع مشى نادى المدير وباقي المدرسين! قال ليهم واحد من المراقبين الدوليين الليلة نطق! داير يجاوب!

أها وقال اضرار النوم شنو؟

المدرسة كلها واقفة عشان تسمع والما لقى محل في الفصل وقف بالشباك، الفصل بقى زي حافلة في خط الصحافة زلط، ملانة جوة وبرة!

أها عبد الكريم عاين للناس الفي الفصل والفي الشبابيك بعدين أعلن بفخر زي كأنه إكتشف الذرّة: وكت ناكل في الضلام خشمنا بيتعوج! والغريبة عبد الكريم اصلا خشمه كان معووج خلقة.

الاستاذ قال ليه مفروض تقول وكت ناكل في الضلام خشمنا بيتعدل!

وطيب ليه الكيزان ديل خشمهم ما بيتعوج مع أنه ياكلوا ليل نهار!

يعني عبدالكريم إكتشف الذّرةّ

الحقيقة نحن الاكتشفنا الذّرة، (زرّة كلب في الزريبة)

نرجع لي قصة اب كنبة:

الناس كها كانت مسمينه اب كنبة الظاهر ما بيحب الاسم، اي زول يناديه بالاسم دة بيشتمه بكلام بذئ! مرة كنت زهجان قلت اتسلى بيه شوية قلت ليه :

وين يا أب كنبة!

قال لي ؟أني..كك في كسلا!

اشمعنى كسلا ولا عشان الناس بيمشوا فيها شهر العسل!

قلت ليه ما تن..كنا هنا وتخلص بدل يبقى علينا ن..ك وسفر لي كسلا!

صحي السفر متعب ومكلّف، دة غير حوادث الحركة، الشارع ضيّق ما بشيل عربيتين!

لو النفوس إتطايبت بيشيل تلاتة! الكيزان فتنوا الناس النفوس أبت تتطايب،

الطريق الوسيع عربية واحدة ما يشيلها خليك من شارع مدني الضيق!

هسع الحلة كلها فيها عاقل واحد! والباقين كلهم شايلين كنب!

الحقيقة كلهم ماشين كنب!

الناس ديل احسن حاجة وفروا لينا البنقو

مافي سكر ولا عيش لكن البنقو راقد ورخيص

بنقو ابن حرام

قوي يعني

لأ ما عنده اب، متذكر كونتينر البنقو القبضوه ناس الجمارك!

الكونتينر عنده الف سيد، مفروض الكونتينر ما يتفتح، لكن الظاهر حصلت غلطة الجماعة إتأخروا وناس الجمارك فتحوه، أول ما اتفتح الجماعة الكانوا عاملين سياده كلهم اتبخروا، نكروا حطب! قالوا دة ما حقنا!

الشينة منكورة!

وانشاء الله الجوع والبلاء راح من البلد!

في اسهالات مائية

مفروض يسموها اسهالات ترابية لأن المصايب دي كلها من عمايل اولاد الترابي! ما قادرين يقولو كوليرا

ما الكوز زي الدبيب لو ما اتلولو ما يقدر يمشي !

قالوا خلاص المشاكل كلها إتحلّت، وبدل يرجموا الزاني المحصن حيشنقوه!

والفريق أب حرفين الحريف، خاشي في القانون دة والا(حنعتبره من أسر الشهداء)!

والله هو شهيد (حي)! ترى واقع في حور الدنيا ساكت! والظاهر مؤخر العرس عشان لو الطوبة جات في المعطوبة، بدل الرجم يبقى عليه جلد بس! واهو دقة تفوت ولا حد يموت!

الزي دة لو عرّس ذاته بيكون مزور ورقة طلاق شايلها معاه في الجيب التاني!

الزي دة هو البيقبض الناس مافي زول بيقبضه!

هو قال الريّس ما رئيسه، الريّس أبوه!

زمان الناس كانوا يتبنوا أولاد ، أول مرة اشوف زول يتبنى أبو!

أبو الدنيا ذاتها!

والله تعبنا أريت نلقى طريقة نخش في زاني محصن دة وننفد بجلدنا من الحياة دي! المشكلة الا نعرّس كمان، نرجم نفسنا بالحياة!

ومن وين يجيبوا ليك اربعة شهود عدول، لو كنت معارض لا يشقّ لك حزب، يمكن يتوصوا يدبّروا ليك من العدول ألف!

هسع في ذمتك الناس الدايشة دي فيهم أربعة شهود عدول! الله أعلم، الا تمشي تزني في الاستاد يوم هلال مريخ، عشان تضمن تلقى ليك أربعة عدول!

لو في شنق صحي مفروض الحكومة دي تتشنق من أول كبيرها لي آخر غفيرها!

يا زول أعمل حسابك، أب حرفين ما مشكلة لو جبت سيرته بتلقى ليك كفين وشلوتين ويرموك في الخلا، لكن تطلع من اب حرفين حرف لي فوق تروح في حديد ؟!

مخرجات الحوار وصلت هنا ولا شنو، العفانة دي شنو ولا جاتك الاسهالات (الترابية) توصل وين ما هي موجودة.

وحتسافر الخرطوم متين؟

أسافر ليه واقطع تذاكر ومصاريف، ما نحن هسع في الخرطوم!

في الخرطوم! ..والقمر دة مالو الليلة نورو قوي شوية!

دة ما القمر، دي الشمس ..

والشمس البيطلعها بالليل شنو؟ ولا تكون شغالة أوفر تايم ..

ويستمر الحوار ..

البيت كله مصاب بجنون البقر!

كان عبد النور يجلس في مقهى في سوق الاربعاء يشرب كوبا من القهوة، ويرتاح قليلا من عناء التجوال طوال النهار بحثا عن أية عمل، مرت عدة أيام وهو يبحث عن عمل جديد، إن لم يجد عملا حتى نهاية الصيف سيضطر ليعود للزراعة في موسم الشتاء، لم يكن يحب زراعة الموسم الشتوي، دائما هناك سبب لفشل الموسم، يأتي الحر مبكرا فتصيب العسلة محصول الفول والشمار، أو يتأخر البرد أو لا يأتي أحيانا، وإذا كان الموسم خاليا من الاوبئة وكان الجو باردا طوال الموسم، تنهار الاسعار مباشرة بعد الحصاد. يقال ان السبب هو السماسرة من أهل البنوك والحكومة، حين تنهار الاسعار يشترون المحصول بأسعار بخسة ليجنون أرباحا كبيرة فيما بعد. كان قد عمل في عدد من مزارع الموالح لحوالي ثلاثة أشهر، قام خلالها مع زملائه بنقل زبل البهائم وتسميد أشجار الليمون والبرتقال. إستطاع تسديد جزء صغير من ديونه وارسال بعض المال الى زوجته، حاول ممارسة تقشف البهجة حتى لا يغرق في الديون، كان يذهب لشراب الخمر مرة واحدة فقط في الاسبوع، بعكس ما كان يفعله قبل سنوات حين كان يذهب للعمل يوما واحدا في الاسبوع ويقضي بقية الاسبوع في معاقرة البهجة.

يحضر دائما الى سوق الاربعاء ليلتقي بعض الناس الذين يحضرون من قريتهم على ضفة النهر الاخرى، يقوم في العادة بارسال بعض الاشياء الصغيرة وبعض المال لزوجته واطفاله.

سلّمه أحدهم رسالة من زوجته، إختار ركن القهوة البعيد وجلس يقرأ الرسالة، زوجته تكتب بخط جميل، كانت تعمل معلمة في مدرسة القرية لكنها إضطرت لترك العمل بعد ولادة طفلهما الثاني، كان الوقت لا يزال مبكرا ولم يزدحم السوق بعد: نحن بخير لكن الطفل

الصغير مريض ووالدك اصيب ايضا بالحمى، البقرة ايضا مريضة، حين ذهب الزين لحلبها امس قامت بنطحه وطاردته حتى هرب من الزريبة، أحضرنا ابراهيم البصير فقرّر انها مصابة بجنون البقر، واقترح ان نقوم بربطها ونحضر أحد الشيوخ لعلاجها من سحر العين! لحسن الحظ لم تصب الماعز الوحيدة التي تبقت لنا بالجنون، حصلنا على بعض اللبن لعشاء والدك وعشاء الصبيين.

جاء المساعد الطبي واعطى ساتي حبوبا طعمها مر مثل الحنظل، قال انها افضل دواء لعلاج الملاريا، وطلب مالا مقابل أقراص الحنظل تلك، اعطيته العشرة جنيهات التي تبقت لنا، وكنت اتوقع ان يعيد لي المبلغ المتبقى، توقعت ان تكون حبوب الحنظل رخيصة، الحنظل متوفر في كل مكان وينمو لوحده ولا يحتاج لتلقيح أو سقي! لكن الرجل لم ينظر حتى للعشرة جنيهات واكتفى بوضعها في جيبه العميق! الذي يبدو أنه لا يرتوي أبدا! ربما لأنّ العملة الوطنية لم تعد تساوي قيمة الورق الذي تطبع عليه كما يقولون في الأخبار! رأس ضخم وبطن كبيرة، لا ينقصه سوى ذقن صغيرة، وعين قوية قليلا ليصبح لصا نافذا، يسرقك ويضربك إن قمت بالاحتجاج! مشكلته أنه جاء حديثا بعد وفاة الطبيب السابق مصطفى، الذي كان شهيرا بلقب الحكيم وكان يستحقه، مرض الحكيم لفترة طويلة ثم توفي، شعر الناس جميعا بالحزن والصدمة ليس فقط لأنه كان رجلا فاضلا يمثل أخلاق الزمن القديم، يعطف على المرضى ويدفع ثمن الدواء من جيبه للمرضى الذين لا يستطيعون دفع قيمة الدواء، قبل حكم الكيزان كان الدواء مجانا، والأطفال يذهبون للمدارس ولا يطردهم أحد، بالعكس حين توقف أخي مبارك عن الذهاب للمدرسة حضر مدير المدرسة بنفسه وأعاده للمدرسة! بعد وفاة الحكيم مصطفى شعر اهل قريتنا بالخوف، ان كان حتى الطبيب يمرض ويموت بهذه الطريقة، مثلنا، فماذا سيحدث لنا نحن الناس العاديون!

والدك فحصه ابراهيم البصير بعد ان فرغ من فحص البقرة، ولأنّ والدك كان لا يرد على اسئلة ابراهيم البصير، ويكتفي بالتحدث مع نفسه فقد قرّر ابراهيم البصير ان والدك ايضا اصيب بجنون البقر! سقاه قليلا من مغلي التمر الهندي لكن والدك تقيأ الدواء واستمر في حديثه مع اناس غير موجودين وكان يجيب حتى على الاسئلة التي لا نطرحها عليه! واعترف بفرح لا يخلو من شعور بالفخر، ان والدتك كانت تضربه حين يتأخر مساء ويحضر الى البيت مخمورا! كان يشكر كل الاشياء القديمة، يقول إنّ خمر هذه الايام مثله مثل اللبن! ولأن الناس أصبحوا ضعفاء فإن مقدارا قليلا من هذه الخمر المغشوشة كفيل بجعل أقوى شاب من شباب هذه الايام يترنح طوال اليوم، ولا يستطيع التعرف الى بيته، رغم أنه يمر من أمامه! ثم يقضي بقية الليل نائما في الشارع أو الحقل! في زماننا السعيد

كان الخمر يفقدك حتى الوعي بالعالم من حولك، اذا اطلقوا نحوك (حسب قوله) دانة مدفع، ستقول من الذي قذفني بهذا الحجر الصغير! تنفض ثيابك وتمضي في طريقك كأن شيئا لم يحدث، حين تواجه مصاعب أو تضربك إمرأة ما وأنت مخمور بذلك الخمر الجيد، لن يكون ذلك إنتقاصا من شخصيتك، بقدر ما هو إثبات لقوة جسدك، ولجودة الخمر التي إنفقت فيها ثروتك!

لم أكن أنتبه أنني ضُربت الا في اليوم التالي، حين استيقظ من النوم وأستعيد وعيا مشوشا بالاشياء من حولي، فألاحظ تمزّق جلبابي، والدماء المتناثرة عليه! يصمت قليلا كأنه يعيد الاستمتاع بتلك البهجة الغابرة، ثم يقول بمحبة : ليس هناك أسوأ من إمرأة قوية الجسم! يبدو انّ والدك في شبابه كان ضعيف البنية، بينما كانت والدتك قوية وطويلة حتى انّ الرجال في القرية كانوا يخافون منها ولم يجرؤ أحد على التقدم طالبا الزواج منها، ذات مرة تشاجرت مع حسن الاعرج الذي يبدو انه كان يريد التودد اليها معتقدا ان الشجار معها سيكون اقرب طريق الى قلبها، لكن المشاجرة انتهت بفقدانه لعينه اليسرى اثر صفعة قوية على وجهه! كان مقدرا له ان يقضي بقية عمره برجل واحدة وعين واحدة! لقد فقد بسبب الحب حتى وجهه!

كان والدك أكثر حظا إحتفظ بجميع أعضائه حتى بعد وفاة أمك، لكنه اعترف بأنه كان يتعرض للضرب يوميا، يقول انه كان معتادا على الضرب، كان والده يضربه وكان الناس يعتقدون ان من حق اي إنسان ان يربّي الطفل حتى لو كان شخصا غريبا مارا بالقرية، لذلك تعرض للضرب من الكثيرين، حتى حين كان يقوم بزيارة جده كان يتعرض للضرب لأتفه الاسباب، ارسله والده الى الخلوة حين كان صغيرا، ولأنه لم يستطيع حفظ سورة الفاتحة فقد كان يتعرض للضرب يوميا بالعصي، حتى اضطر للهرب من الخلوة قبل ان يتمكن من حفظ اية شئ، حكى لنا أنه كان في شبابه يهتم بأناقته، خاصة في فترة الصيف بعد بيع المحصول الزراعي، كان يعمل أحيانا كعامل بناء حتى يتمكن من توفير بعض المال للبهجة وللملابس، ولأنه كان دائما يرتدي ملابس نظيفة وجديدة فقد كان الناس دائما يدفعونه لإمامة الصلاة. المشكلة أنه لم يكن يحفظ شيئا، كان يضطر للموافقة حين تكون الصلاة سرا لكن في الصلاة الجهرية كان يصر على الاعتذار بدعوى انه مريض يعاني من ضعف في صوته، وأنه مدين لأحد البنوك بمبلغ كبير ولا تجوز إمامة المدين للصلاة، كما أنه لا يشعر بالاطمئنان ليركز في صلاته بسبب الخوف من مداهمة شرطة البنك له في أية لحظة، ولا يريد أن يبدأ الصلاة ثم يولي الأدبار فيضطر المصلون من خلفه لانتظاره طويلا، حتى يشعر

رجال الشرطة باليأس من العثور عليه وسط الأحراش التي تغص بالأفاعي السامة والكلاب الضالة ويرحلون!

كنت أعتقد ان جنون البقر يصيب فقط البقر، لكن اتضح انه يصيب ايضا بعض المسنين الطيبين الذين يعتاشون على ذكريات الماضي السعيد، يحاولون عن طريق ردمها أمام اعينهم، منع أعينهم من رؤية بؤس واقع الحياة الآن! ابراهيم البصير أحضر لوالدك ماء مرقيا، شرب والدك الماء المرقي واستمر في الحديث مع الاشياء من حوله بصورة أكبر، والاعتراف بكل أخطائه القديمة، لم أكن اعرف أن والدك كان جنديا في الجيش وانه شارك في الحرب العالمية الثانية، مع وحدة من الجيش في شمال أفريقيا. إعترف لي انه سرق زجاجة خمر جيدة من القائد فوضع في الحبس، وحين عاد من الحرب قام بقيادة تمرد في وحدته فحوكم وطرد من الخدمة، اعترف لي انه احترف السرقة لفترة بعد طرده من الجيش! ثم عاد الى القرية واصبح مزارعا.

النقود التي دفعناها لعلاج ساتي كنت أريد دفعها للزين، طردوه الاسبوع الماضي من المدرسة لأنه لم يدفع رسوم الكتب! مع أنه لا توجد كتب، يوزّع عليهم المدرس بعض الكتب الممزقة ويجمعها في نهاية الدرس. قال له المدرس ما دام والدك فقيرا لماذا لا تترك المدرسة لتعمل وتساعده! المدرس الذي كان يدفع من جيبه ليتعلم الناس اصبح هو الذي يطرد الأطفال من المدرسة ويقول لهم ما دمتم فقراء ما داعي للمدرسة، الكحل لا ينفع في العين العوراء!

لماذا غبت طويلا هذه المرة! الزين حزين لأنه لا يستطيع العودة للمدرسة ووالدك اصيب بجنون البقر، لابد أنه مرض معد لأن البقرة مرضت أيضا، أخشى ان نمرض جميعا وحين تعود تجد البيت كله مصاب بجنون البقر.

ساتي كان قد بدأ يتحدث قبل ان تصيبه الحمى، يبدو أنه سيصبح مثل جده، فهو لا يكف طوال اليوم عن التحدث مع كل شئ بلغة لا يفهمها حتى هو نفسه.

حمار والدك العجوز مات فجأة، لا أعتقد انه اصيب بجنون البقر، فقد كان هادئا حتى لحظته الأخيرة، كان يبدو سليم العقل رغم هزاله وجروح ظهره. كنا نسمع صوته طوال الليل ينفخ بأنفه كعادته، وفي الصباح وجدناه ميتا، كان وجوده مهما جدا لنا، يستخدمه الزين للذهاب للمدرسة، ولاحضار الحشائش للبقرة والماعز، لكنهم طردوه من المدرسة على كل حال.

نحن في إنتظارك اذا لم تستطع الحضور ارسل لنا مالا، لماذا لا تحضر وتجرب حظك مع الزراعة هذا العام؟ أو تذهب الى مناطق تعدين الذهب، يقال أن أحد اهل القرية عثر على قطعة ذهب كبيرة واصبح ثريا، أعاد بناء البيت ويفكر في الزواج مرة اخرى! هكذا الرجال هنا، ما أن يعثر احدهم على المال حتى يفكر أول شئ في الزواج، ينسى ان أم أكفاله هي التي صبرت معه على الفقر ولولا تدبيرها ومسعاداتها لما استطاع ان يحقق شيئا. هل ستفكر انت ايضا في الزواج ان عثرت على قطعة ذهب كبيرة؟ أعتقد انك مثل والدك تحب الخمر أكثر من زواج النساء؟ أم ان والدك لم يتزوج إمرأة اخرى لأنه كان يخشى أن تضربه زوجته؟ إنني ايضا قوية الجسم، حين كنت فتاة صغيرة كنت أذهب لرعي أغنامنان وفي المرعى كنت ألتقي مع الكثير من الصبية، كانوا في معظمهم أولادا مؤدبين، لم تكن هناك مشاكل أو مخدرات يستخدمها الاولاد مثلما يحدث الان، تجرأ أحدهم مرة وحاول ضرب إحدى الفتيات معنا، سحبت حذائي وضربته على رأسه حتى فرّ هاربا ولم يعد الى ذلك المرعى مرة أخرى! يمكنني إذن التصرف في حالات الدفاع عن النفس!

يجلس عبدالنور يائسا يشرب القهوة على الحساب الذي تضخم كثيرا دون أمل قريب في سداده. يعبر المارة من أمامه، فيشعر كأنه بات غريبا في هذا العالم، كأن الأرض إنشقت ولفظته فقط ليدور مثل ثور في ساقية أبدية تسحب الماء من البحر وتعيده الى البحر.

يشعر فجاة بنشوة غريبة تعيد شحنه بالرغبة في الحياة، يزدحم العالم من أمامه بالناس، زحام الناس والفوضى التي أثارها ظهور بعض الشباب العائدين من مناطق تعدين الذهب، شئ ما جعله فجأة ينسى أحزانه، طلب كوبا آخر من القهوة، شربه ببطء ووضعه على المنضدة أمامه، ثم حمل عصاه ووضع الرسالة في جيبه، وضاع في زحام السوق.

شبيه السيد الرئيس وشبيه السيد ميسي!

يبدو السيد الرئيس لطيفا اليوم لقد أعطاني ورقة بمائة جنيه!

هذا ليس السيد الرئيس! هذا شبيه السيد الرئيس!

كيف عرفت؟

الرئيس لا يحمل نقودا في جيبه!

تعني ان السيد الرئيس ليس لديه محفظة؟

لماذا يحمل محفظة هو لا يشتري شيئا ولا يذهب الى السوق!

ولماذا لا يذهب الى السوق؟ الحياة هنا مملة كيف يستطيع انسان البقاء طوال اليوم في هذا القصر الصيني الضخم؟ السوق اصبح غاليا جدا، لا يستطيع مواطن عادي ان يشتري منه شيئا. يستطيع فقط رئيس الجمهورية ووزرائه التسوق، ان لم يذهب الرئيس ومجلس وزرائه الى السوق، سيفلس التجّار، وحين يفلس التجّار لن يدفع احد الضرائب الى خزينة الدولة وحين لا يدفع أحد الضرائب الى خزينة الدولة ستفلس الدولة! أم انّ دولتنا مفلسة على كل حال كما يقولون في الشارع!

هل جننت كيف يذهب الرئيس الى السوق؟!

ولماذا لا يذهب؟ هناك اشياء رخيصة أحيانا، صناعتها سيئة في الصين لكنها قد تفيد احيانا، قبل اسبوع اشتريت سروالا مصنوع في الصين، انه ارخص من السراويل المصنوعة محليا، ورائحته جيدة، لا تفوح منه رائحة زيت الماكينات الرخيص مثل السراويل التي يصنعها الخيّاطون في السوق العربي! ولأنني كنت أصدّق شعار الثورة: نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع، تحتاج للذهاب الى السوق عدة مرات لاستلام هذه السراويل الثورية، لأنك ستسمع في كل مرة أنّ الخياط ذهب ليؤدي واجب العزاء في والده أو جدته، او ذهب

لزيارة جيرانه الذين إحترق بيتهم، او جاره الآخر الذي وضعت زوجته غلاما، حتى أتسلم آخر سروال صنعه لي الخيّاط كانت أسرته كلها قد توفيت وإحترقت كل بيوت الجيران ووضعت كل نسوة الحي، حتى المسنّات والعاقرات ، غلاما جميلا! وحين تسلّمت السروال أخيرا بعد أن إنتهت كل الاعذار والظروف الموجودة في الدنيا ،وجدته قد اصبح واسعا، فبسبب الفجوة الغذائية أصبح مقاس جسدي أصغر كثيرا خلال أشهر!

حين تشتري سروالا صينيا لن تحتاج للإنتظار، ولن يحتاج أحد ليموت حتى يتأخر موعد تسليم سروالك ولن تحترق بيوت الجيران ولن تضع النساء الصينيات غلمانا جميلين! كما انه يبدو جميلا، حتى انك سترغب في الخروج من البيت مرتديا فقط سروالا صينيا ضيقا!

ألا يعتبر ذلك شروعا في الزنا؟ خارج البيت ليس غرفة نوم لتخرج مرتديا فقط سروالا صغيرا! ستشجع الناس على الفاحشة! إذكر رجلا جلد لأنه يرتدي زيا فاضحا! تجمهر الناس لرؤيته فإتهمه القاضي بالشروع في الزنا وبقيادة مظاهرة ضد السلطة المنتخبة! لكني لا أذكر ان كان سروالا صينيا أم مصنوع محليا!

لكن يجب الا تذهب الى الزحام، حتى لا يتهمك القاضي بقيادة مسيرة ضد الحكومة، وبتشجيع الناس على الفاحشة، كما لو أن الناس تنتظرك لكي تخرج بسروالك الصيني لتهجم على بعضها وتخرج في مظاهرة لنشر الفاحشة! تصبح قائدا ملهما لثورة الفاحشة! أنا أيضا حدث لي شئ مشابه.كنت أمر في قلب المدينة سعيدا بالسروال الصيني، وارتدي فوقه جلبابا قديما ورثته من والدي! وفجأة عبرت مظاهرة بجانبي، لحسن الحظ انني تركت الشرطة بعد ان انضممت الى الحرس الرئاسي! ليس مجال عملي ضرب المواطنين بل حماية السيد الرئيس منهم! وقفت جانبا لأرى كيف ستتصرف الشرطة، استخدموا الغازات المسيلة للدموع والهراوات، تفرّق الناس بفوضى، وجدت نفسي اصارع وسط الحشد حتى لا اسقط ارضا، حين انجلى المشهد اكتشفت اختفاء السروال الصيني العظيم! لحسن حظي أن جلباب أبي قديم ولا يصلح لشئ، لذلك لم يضيع أحدهم وقته في سرقته! اللص الذكي يسرق أشياء مفيدة، حين يسرق اشياء غير مفيدة سترسله زوجته في النهاية ليلقيها في القمامة حتى يتوفر لهم مكان ليجلسوا فيه في البيت الصغير الذي يعج بالمسروقات التافهة!

لا اذكر متى زرت السوق في المرة الأخيرة! زوجتى تفعل ذلك!

لكن السيد الرئيس مزاجه جيد اليوم لقد اعطاني مائة جنيه، لا بد انه قضى ليلته مع العروس الجديدة أو ارسل له ميسي حذاء آخر!

ميسي لم يرسل حذاء في المرة الاولى بل أرسل قميصا! كما انني قلت لك ان هذا ليس السيد الرئيس!

من هو إذن؟ هل تضرب الفوضى أطنابها حتى في القصر الجمهوري، بحيث يتصرف كل من هبّ ودبّ كأنه الرئيس! ويوزّع الأموال للحرّاس المحتاجين؟

انه شبيه السيد الرئيس!

ماذا تعني بشبيه، هل نحرس شخصا مزيفا؟ وهل نستخدم في حراسته ذخيرة حية أم (فشنك)؟ وما وظيفة الشبيه!

حين يكون الرئيس مريضا او هناك تهديد امني يظهر الشبيه مكانه!

يقال أن رئيسنا مصاب بمرض الخوف من شخص اسمه أوكامبو، هل يعني ذلك أن الشبيه سيحل مكانه؟

كيف تجرؤ على قول ذلك؟ الرئيس لا يخاف من شئ! أقصد حين يكون مريضا ، حين يصاب مثلا بالملاريا!

وهل تصيب الملاريا الرؤساء؟ كيف تجرؤ بعوضة على (عض) السيد الرئيس! وسحب القليل من دمه، سيكون محظوظا من يشرب من دم السيد الرئيس! وما دور الحرس الرئاسي ان كان كل من هب ودب يمكنه (عض) السيد الرئيس! وهل لكل انسان شبيه يظهر مكانه حين يكون مريضا؟ هل يمكنني ايجاد شبيه يتولى الحراسة حين اكون مريضا؟ ومن الذي يظهر حين يتزوج الرئيس بأرامل الشهداء!

هل جننت؟ الشبيه فقط لرؤساء الدول او الاشخاص الذين يملكون اموالا كثيرة! حين يتزوج الرئيس يذهب بنفسه! لا يقوم الشبيه بدور الزوج!

ولماذا؟ وماذا اذا اراد الشبيه الزواج؟ هل بإمكانه الزواج من ارامل الشهداء مثل الرئيس ام يجب البحث له عن شبيهة لأرملة الشهيد!

الشبيه لا يتزوج!

لماذا لا يتزوج الشبيه؟ الزواج حق لكل انسان حسب القانون! إن كان الشبيه غير قادر على عمل حفل كبير لزواجه مثل رئيس أصلي، يمكنه أن ينضم الى إحتفال الزواج الجماعي!

ما هو القانون؟ يستطيع طبعا الشبيه الزواج ولكن كشخص عادي وليس كرئيس!

وحين ينجب هل يجب ان ينجب اطفالا يشبهون اطفال الرئيس؟

ذلك يتوقف على الاتفاق؟

ماذا تعني بالاتفاق؟

الشبيه وظيفة حين يشغلها شخص ما يوقع على عقد قبل ممارسة الوظيفة!

تعني ان هذا الرجل الذي اعطاني مائة جنيه يقبض مرتبا شهريا مثلنا فقط لأنه يشبه الرئيس!

أجل

يا للعمل السهل، لماذا لا اشبه سوى بعض الناس المغمورين! هناك بائع فقير يملك فقط قدر فول ضخمة في جوارنا، تقول زوجتى انه يشبهني مثل توأم، لا يوجد تهديد أمني لبائع الفول حتى أحل مكانه احيانا! إنه شخص طيب مسكين يقرض السكارى الفقراء (البوش) ولا يضايق الناس حتى تدفع له! يستحيل أن يهاجم شخص ما شخص مثله! كما أنه لا يملك شيئا يصلح للسرقة، المغرفة الطويلة التي تنتهي ب(كوز) لا تصلح الا لاستخدامها كهراوة! لكنها ستتحطم عند أول ضربة! الكوز لا يصلح لشئ كما يقول العامة!

أرجو الا تخلط زوجتك بينه وبينك أحيانا!

سيكون ذلك من سوء حظه!

ماذا تعني بسوء حظه؟ هل زوجتك دميمة قليلا؟

زوجتي رائعة، لكنها تحب التسوّق، وتفعل ذلك دائما حين تشعر انني اريد حصتي من الحب! في ذلك اليوم اتحول الى قط أليف يسهل اصطحابه الى الاسواق! أقضي اليوم كله سعيدا في السوق! أشعر أنني الوحيد السعيد في السوق! لا يشعر الناس بالسعادة حين يجب عليهم دفع المال في مثل ظروفنا الاقتصادية! أشعر كأن محفظتي لا تود البقاء أبدا في

جيبي، أخرجها بنفس سهولة إخراج معدات الحب مساء! الحب مكلف كما ترى! لن يستطيع الشبيه بائع الفول دفع مستحقاته! أنا حارس رئاسي، مرتبي ليس كبيرا لكن الحمدلله يوجد للرئيس اشباه كرماء! يغمرونني احيانا بكرمهم المزيف!

ماذا ستفعل ان توقّف الرئيس عن استخدام الشبيه؟

سيتوقّف حالنا أيضا!. سأخرج في مظاهرة انادي بتعيين الشبيه رئيسا والرئيس شبيها!

فكّر الحارس قليلا ثم قال: من الذي تسلّم قميص ميسي في رأيك؟ هل هو الرئيس أم الشبيه؟

لا أدري من الذي تسلمه، لكن الذي ظهر في التلفزيون وهو يتسلم القميص هو الرئيس! لكن ميسي أنكر أنه أرسل قميصا!

هل تعني أن أحدهم خدع رئيسنا؟

ربما لم يخدع أحدا اذا كان من تسلّم القميص هو الشبيه، أو اذا كان من أرسل القميص هو شبيه ميسي!

حكاية كوز الحِلة، العريس الجماعي!

كان فارس نائما في المسيد حين ايقظه حاج سعيد وبادره قبل أن يستيقظ جيدا: ما لقيت ليك قرض حسن للعرس؟ ثم صمت قليلا وقال كأنه لا يتوقع ان يسمع منه أية رد:

انت ما كان تمشي الزواج الجماعي ما دام الزواج الفردي ما قدرت عليه!

استيقظ فارس وتكوّم جالسا فوق برش الصلاة، وضع أصبعيه في اذنيه كأنه سيؤذن للصلاة، ثم قال بعد فترة صمت كان ينظر فيها حواليه كانه لا يعرف المكان ولا حاج سعيد: زواج جماعي ذاته ما بنقدر عليه، ايام الشرطة الشعبية قالوا لينا نجي نحرس عرس جماعي في حلة شمال سوق السبت، اتضح العرس جماعي لكن بالقلبة، في كوز كبير جايي من الخرطوم للعرس، قروش تقيلة، بعدين الظاهر وقت ما عنده، عقد على ثلاثة في يوم واحد: عرس جماعي! أنا سألت الجماعة ناس البلد عن العريس الجماعي دة، قالوا لي نظامه كدة شغال طوالي عرس وطلاق جماعي، جمع قروش تقيلة ايام الخزّان، عمل ليه شركة وهمية لو داير تأجر عربية تركتر ولا قلاب لشركة الخزان، الايجار يتم عن طريقه، يديك مليون في الشهر ويأجرها ليهم بعشرين، يأكّل التماسيح الكبار الجابوه وياكل الباقي، وكت شبع بطّل اي شغل، عنده قروش النار ما تاكلها ، قالوا الخزّان ذاته مسجّل بإسمه! اولاده واخوانه شغالين بقروشه في السوق وهو بقى مافي حاجة شغالة فيه الا (من الصرة ولا تحت)! الجماعة في الحلة سامنه كوز الحلة، على وزن تيس الحلة!

بعدين مع الزفة المواتر ماشة قدام العربية اللاندكروزر الشايلة العريس الجماعي وعروساته، ومشغّلين السرينة زي كأنه في رئيس ولا وزير، واصلا الشارع فاتح ما محتاج مواتر تفتحه!

قال صلاح الجاز: قالوا في الخرطوم ممكن تأجر المواتر دي تفتح ليك الشارع لو عندك مناسبة أو مشوار مهم ومستعجل وكت الزحمة، بمليون تجيب بتاع الموتر يمشي قدامك والناس طبعا العربية مظللة يقولوا دة الريس او الوالي!

ولو العربية ما مظللة!

يقولو دة ضيف مهم، أو زول عمل انقلاب ومستعجل ماشي مشوار قبل ما يعلن الحكومة!

وقال شيخ النور: طيب الجماعة ديل وقت عملوا الانقلاب قالوا جايين نرجّع هيبة السلطة! لأنّ الاحزاب ضيّعتها! ولا هم كان قصدهم يرجّعوها وبعدين يأجّروها!

ضحك حاج سعيد وقال: كل حاجة هسع للبيع او للايجار!

مسكين فارس مرق من العرس الجماعي وعرس الشهيد وطردوه من الحكومة!

قال فارس: في شهيد رجع بعد كم سنة الظاهر كان اسير! لقى الجماعة ما عملوا اي حاجة لاولاده غير خلفوهم في الاهل! عرّسوا أمهم! وفكوا الاولاد عكس الهوا! الأسير وكت لقى مرتو عرّسوها، فكّت منو، بقى حايم في الاسواق اليوم كله يكورك: ياأخوانا أنا حي! يوقّف الناس في الشارع يقول ليهم: في ذمتكم أنا ميت ولا حي! وكت الناس يقولوا ليه إنت حي! يقول ليهم خلاص تعالوا اشهدوا معاي في المحكمة! الناس تخاف تجري منه! والمصيبة وكت هدومه اتقطعت بقى يوري الناس عضوه الذكري ويقول ليهم: في ذمتكم دة بتاع زول ميت!!

ديل لا يرحموا حي لا ميت!

قال صلاح الجاز: سبحان الله زولهم يموت انشاءالله في حادث ركشة يعملوا ليه عرس شهيد ويعرسوا ليه الحور العين، الناس التانين زي شيخ عبدالكريم الناظر يموت نتيجة الاهمال، عربية حكومة اتعطلت في الشارع بدل يسحبوها برة الشارع خلوها في محلها بدون اشارة ولا اي شئ، جات عربية المرحوم خشت فيها واتقلبت.

قال حاج سعيد: رحمة الله عليه كان رجل فاضل قلبه على الناس، وكت الحكومة رفعت يدها من اي حاجة سافر السعودية وجمع التبرعات ، صلّح المدارس وبنى المركز الصحي وبقى يدفع حتى لاولاد المساكين حق الكتب وبيته مفتوح للناس كلهم! والكيزان الكضابين يقولوا لا لدنيا قد عملنا والبلد بقت غنيمة ليهم باعوها وقسموها، الناظر كان زول مستقيم والزي دة ما بينفع معاهم، بيفضحهم ويحرجهم، عشان كدة ما تتستبعد يكون وقفوا العربية في الطريق مخصوص !.

قال سليمان الاعرج: الكيزان حايمين، الواحد رقبته السيف ما يرميها بالمال الحرام، وزي شيخ عبد الكريم يدوه التراب! إستغفر الله العظيم.

قال فارس:الزول يومه تم! زي ما إنتو بتقولو، حنعمل ايه، نكتب عريضة نمشي المحكمة ولا نفك مكنته القديمة ونربط ليه ماكينة بوكس؟!

إتأدب يا ولد في حضرة أسيادك!

هسع شيخ عبد الكريم وكت كان حي، لو جة قاطع الحلة بحماره الناس كلها تجري تدسّ في المريق! مرة لقيت حاج سليمان جاري، قلت ليه في شنو؟ قال لي ما سامع نهيق حمار عبد الكريم؟ قلت ليه لو كلما نسمع نهيق حمار حنجري، معناه نكون اليوم كله جارين، جرى دخل المريق وسامعه من جوة المريق يقول: الحمير التانية البتنهق ما قعد تطلب من الناس التبرعات! هسع وكت مات جايين تبكوا عليه!

قال شيخ النور: نحن قاعدين نبكي على حالنا، على زمن بقيت إنت فيه، أعقل واحد فينا!!

ضحك سليمان الاعرج، بصوت كان يوحي كأنه يضحك على شئ لم يحدث بعد، ثم سعل واستغفر الله وقال: وانت ظهرت بي وين؟ ما قلت بقيت رجل أعمال، تليفونات تخبط، وعربات تجي بي فوقنا تغبّرنا وتفوت، قالوا تجار جايين للدهب! وعندهم مواعيد مع فارس! مع الوكيل!

أريتهم كانوا تجار! كلهم كيزان حرامية، الجايي باسم الضرائب والجايي داير الزكاة

دمغة جريح ودمغة شهيد ودمغة عريس ورسوم إنتاج وإستثمار وغرامة تعدين بدون تصديق، حسين طلع من العشرة كيلو بتلاتة ، التلاتة كيلو قال يمشي الخرطوم يشتري دولار، لموا فيه الجنجويد شالوه منه! قالوا دة تهريب لثروات الوطن!

الوداه الجنجويد شنو؟

الجنجويد هم البيجوك، قبل ايام في جهات نيالا كاتلين زول عشان يشيلوا التليفون منه! تليفون تمنه خمسين جنيه! يعني بني آدم في البلد دي تمنه زي تمن نصف كيلو لحم! الجنجويد حايمين في كل مكان شغالين قلع، الحكومة خايفة من المظاهرات مع ضيق المعيشة عشان كدة جابوهم فكوهم في البلد يخوّفوا الناس!

وابوه عمل شنو اوع يكون رجع طلّق أمه تاني؟

لأ ما طلقها لكن سمعت قالوا رجّع االمرة الجديدة، حسين كان ضغط عليه عشان يطلقها ويرجّع امه!

بقى حريف يمكن الولد يرّجع الدهب أو يلقى تاني عشان كدة زي ما بيقولو مسك العصا من النص!

قال سليمان: الولد دة انت لميته جبت ليه الفقر!

خليك من حسين، هو لمّ الكيزان، البترول راح، والبلد إتقسّمت والكيزان فلّسوا، ما لقوا قدامهم غير الواطة، يطبعوا في شهادات البحث زي طباعتهم للجنيه الما جايب تمن الورقة البيطبعوها فيه، وشغالين بيع في الأرض! بعدين ما بيفرزوا الواطة المِلك من الميري! قروشك حاضرة، يطبعوا شهادة بحث ويسلّموك الواطة! سيد الواطة غايب، يقولوا ليك الغايب رزقه غايب! سيد الدار مات، يقولوا ليك اللهم أبدله دارا خيرا من داره!

والله لو سمع كلامي ما كان جاته عوجة، قلت ليه اقعد انت هنا واديني الدهب انا بسافر ابدّل جزء دولار واشتري ليك واطة او عمارة، لكن هو خاف!

طبعا لازم يخاف، إنت زول حرامي، وكمان لميت الكيزان واشتغلت معاهم سنين، يعني بقى عندك خبرة في السرقة! واصلا انت ما محتاج للخبرة، إنت كوز بالفطرة!

قال حاج سعيد: ما دام فلّست بالولد كمان والجنجويد شالو باقي الدهب، راجي شنو تاني ما تمشي تشوف طريقة تمشي العمرة! ولا عندك أمل ترجع الحكومة تاني؟

قال شيخ النور: وينها الحكومة؟ إنت مصدق البلد دي فيها حكومة؟ عبدالهادي ود شيخ الخزين، جاني قبل أيام في البيت، كان جايي من إجتماع اللجنة الشعبية، قلت ليه انت زول

كويس الدخّلك الشغلة الفارغة دي شنو؟ قال لي عمي السر أصرّ علي، قال الناس ديل عذبونا في ضرائب النخيل والاراضي، وكت يكون واحد مننا معاهم يمكن يخفف شوية أو على الاقل نعرف هم عايزين يعملوا شنو؟

قال لي أنا هسع راجع من إجتماع اللجنة، أجندة الاجتماع مافي زول سأل منها، كلامهم كله، الانتخابات قرّبت، كيف يقدر يرشوا الناس عشان تصوّت ليهم! وفلان داك ضدنا نضغطه في الضرائب عشان ينشغل مننا، وفي مستثمر عربي جايي المنطقة نأجّر ليه المشروع وناخد منه خلو رجل، واحد من الكيزان قال: نأجره ليه؟ ما نبيعه ليه ونخلص! خير البر عاجله! بعدين الظروف ما معروفة، وزي ما جاء في الأثر دار أبوك كان خربت شيل ليك منها شلية! أحسن نمرق بحاجة قبل الدار تتطربق فوق راسنا! قلت ليه أول حاجة الكلام دة ما جاء في الأثر ولا شئ إنت جبته براك! تاني حاجة أرض المشروع دي معظمها ملك لزول مسافر من البلد ممكن يرجع في اي لحظة! قال لي: وكت يرجع يحلّها الله!

والحاجة الوحيدة العملوها لصالح ناس البلد، وافقوا على اقتراح تأجيل زيادة ضريبة النخيل لغاية الانتخابات تنتهي!

ضحك حاج سعيد وقال: أيام الانتخابات دي بنرجع مواطنين شرفاء تاني!

وقال الاعرج: شرف لا ندعيه!

وواصل شيخ النور: شرف شنو؟ كلنا بقينا شحاتين والحمدلله، نخدم البنك في الموسم ونديه الفول والقمح، ونتصل بناس السعودية يرسلوا لينا قريشات نشتري بيها القمح! قريب حنطلع في مظاهرة نرفع يافطات مكتوب فيها: حكومة لله يا محسنين!

بين رضوان الفنّان وحسين صاحب الألوان!

لا مفر من الوقوع في فخاخ الحزن في الذاكرة! أثناء تفتيش طابور الوجوه التي تصطف في ضوضاء المغيب ، في وهج رياحين الذاكرة. تتساقط الصور مثل شريط سينمائي، الصبايا يتدافعن في مواسم قطع التمور، الجلبة في قلب القرية ليلة عيد الفطر، حين يعبر شارع القرية الرئيسي في الذاكرة قريبا من القلب، غناء الصبايا في مواسم الحصاد. فجأة رأيت وجها يتقدم صفوف الانتظار، يسبقه نغم يحفر أخدودا في قلب الذاكرة تتساقط فيه ذكريات زمان حسبته ضاع في النسيان. رأيته يعمل بجد في جمع محصول التمر. وفي الاستراحات حين يهبط الرجل الذي يقوم بقطع سبائط ثمار النخيل، ليرتاح قليلا قبل ان يصعد الى شجرة اخرى، كان رضوان يغني على طنبوره، كان يحفظ اغاني البنات التي تؤدى في مناسبات الاعراس. كان صوته يرتفع أحيانا في الجروف الغارقة في ماء الدميرة:

أنا زولي ما جة يمة انا زولي ما جة!

ولأن هذا الزول أدمن عدم (الجية) أدمن الغياب. كان هو يعلن سأمه أحيانا من هذا الزول، الذي يغني له الناس جميعا دون ان يستطيع أحد ولا حتى أكثر العرّافين شهرة الجزم بمكان وجوده، ففي حين تؤكد نسخة قديمة من الاغنية: أنه في الكويت (باني بيت)، ويبدو أنه قنع من الوطن وخيرا فيه، قنع من نأكل مما نزرع ومما نقلع ومن خطاب الوثبة وخطاب (الكضبة) أذهب الى القصر حبيسا. تعود نفس الأغنية في طبعة تسعينية لتؤكد أنه في (توريت) مات شهيدا! في تماه جهادي مع إعلام الكذب الحكومي، ورغم أن ملف القضية المزمنة يفترض أنه أغلق بموته التأصيلي، لكن الأغنية سرعان ما تعيد اليه الحياة لتعطيه في نسخة أخرى صفة علماني سعيد (كمّل الفرحة وخلاني منشرحة).

إنتهى رضوان الى القول: لو كان ماشي بالخلف كان وصل!!

كان العالم سعيدا في زمن الانتفاضة، قبل وقوع الكارثة. كان العالم كله يمارس الحياة بضراوة كأن الجميع شعروا بوقع خطوات الانقلاب المشئوم الذي يسير الموت في معيته حذوك النعل بالنعل، الانقلاب الذي كانت تنسج أشرعته في الغيب الجماعي والانشغال

بممارسة الديمقراطية، التي سيسميها الانقلابيون وصحافتهم فوضى تستلزم ظهور النبي العسكري الذي سيستعيد هيبة السلطة ويملآ الدنيا ضبطا وربطا وجورا.

ينسجون شراع انقلابهم من قماش الاهمال الرسمي والاستهتار الطائفي. الشراع الذي سيصبح (كفنا) لطموح بلدنا نحو الحرية والاستقرار والوحدة ودولة القانون.

لم يعد (زولي) وحده من يمشي بالخلف، قطار وطننا أيضا أصبح ومنذ بيان الكذبة الأولى يسير الى الخلف. حتى وجدنا أنفسنا نرزح في قرون جاهليتنا الوسطى: دولة القبيلة. ندمن هز ساعاتنا في زمن(البكور) لنعرف في أي قرن نحن.

يطلق حسين خوجلي طائر شؤمه المسمى ألوان، تصنع من الديمقراطية الوليدة وحكم القانون، جنازة وتشبع فيها لطم، (تلّمع) في (قيادات المستقبل!) عينك يا تاجر، تنسج من بحر أكاذيبها خرابا متعمدا وإنهيارا وشيكا في كل شئ، وتنادي معتصماه! دون وجود حتى نساء يسحلن في طرقات عمورية ، فيلبي بشيراه النداء: فارس دينكيشوتي، ينتمي لعصور ما قبل التاريخ، يأتي في زمان أغبر. لو رآه دون كيشوت لأسف على اضاعة عمره في منازلة طواحين الهواء، فليس أسهل من الانقلاب طريقا لسعادة الدنيا وللشهرة ودخول التاريخ من أوسع أبوابه. ترتسم على وجهه (تكشيرة) عسكرية تخفي جزعه الدنيوي وحبه للتسلط، لتعطي إنطباعا أوليا بجديته في إستعادة هيبة السلطة! وإنه خير من نستأجر ونستجير بقوته وأمانته، ليكتشف الجميع أنه: أسد فقط حين يشن الحرب علي بني وطنه الذين يفترض به حمايتهم. أما في حرب الفساد وجيوش الاجانب التي تحتل الاراضي، فيصبح بقدرة قادرنعامة ربداء تجفل حتى قبل أن يصفّر الصافر! يا للكارثة. لقد إستولى على السلطة من يكذب ويصدّق أكاذيبه! لو قرأ هذا المعتوه ومن خلفه جوقة النفاق والاعلام الكاذب فقط تاريخ الاسلام الذي يتشدقون بالدفاع عنه، لعرفوا أن هيبة السلطة مناطها العدل، مناطها أخلاق الحاكم القويمة، الذي يساوي بين مصيره ومصير بغلة تعثر في أرض العراق! وليس التكشيرة والعصا التي ستتحول لاحقا الى بندقية سريعة الطلقات تزرع الموت والدمار في أرجاء الوطن كله. يأتي راكبا صهوة جواد الحركة الاسلامية المريض، المتوثب للسلطة. ترى نفسها أحق بأية إمتيازات دنيوية او أخروية. تنّصب نفسها راعيا رسميا للبشر تعيد صياغتهم وتربيتهم، بما يضمن طاعتهم لأولي الأمر، والزهد في الدنيا طمعا في نعيم الآخرة.

جريمة واحدة اختطاف فتاة وقتلها جعلت منها ألوان انهيارا تاما للقانون والاخلاق! وإستخدمتها مسمارا أخيرا في النعش الوشيك للنظام الديمقراطي. فملأت الدنيا زعيقا، حتى بات الناس يخافون أن يخرجوا الى الشوارع فيتلقفهم الجناة القتلة. وهاهو صاحب الألوان، بعد أن اكمل دورته القوس قزحية، وجاء ليتربع فوق (وجوهنا) يتناسى الملايين من ضحايا العهد الذي بشّر به. ضرب الناس بالرصاص في المساجد، هدمت القرى فوق رؤوس أهلها. عذب الناس في بيوت الأشباح وأغتصبت الحرائر في بيوت أجهزة الأمن، التي يفترض أن تنشر الأمن في الربوع، فإذا بها تشيع الموت والخوف والدمار. أصبح الموت هو القاعدة والحياة هي الاستثناء. ولا حياة لمن تنادي. كل من تنادي أصبح في عداد المفقودين.

الجنرال الانقلابي سيكون الوحيد الذي يدخل من باب التاريخ، ثم يثب خارجا من فوق جداره، يركل نفسه بنفسه ليسقط خارجا. تلاحقه لعنات شعب لم ير في تاريخه مثيلا للظلم الذي وقع عليه في عهد جنرال توازت لديه رغبات التسلط والشروع المعلن في الرقص فوق أشلاء وطن.

حسين خوجلي الذي كان في أيام الديمقراطية يلّمع في المجهول، (يلّمع من لا يستحقون كما إعترف) يعود ليمارس الآن نفس أدواره القديمة، بل أسوأ منها، فبدلا من المجهول، يشكّر الآن (الراكوبة) في الخريف وعلى رؤوس الأشهاد. بعناية جزار محترف يحاول تسويق (الشخت والعظام الصدئه) بإعتبارها لحما. يزيح بعض الأسماء من المنضدة أمامه ويقدم أسماء أخرى قديمة بإعتبارها لم تكن تملك الحل والعقد، بإعتبارها لم تتلوث في المستنقع الذي أنتنت روائحه حتى الأرواح. دون أن ينتبه الى أنه يمارس نفس لعبة ألوان القديمة. الفرق أنه ينطلق من مرحلة زمنية ترقى الى عصور الاستبداد الوسطى وليس الى عقد الثمانينات زمان الانتفاضة. يستخدم التكينيك نفسه : الاشخاص! لو أنه صادق، لو أنه يفهم أن المشكلة ليست في الاشخاص بقدر ماهي في النظام، بقدر ما هي في دولة القانون، دولة الصحافة الحرة. دولة المؤسسات الراسخة القوية. التي يتضاءل دونها الأشخاص، يصبحون مجرد أشخاص، يعبرون من أمامها فيما هي ثابتة مثل الجبل. لو أنه يفهم ذلك بعقل وقلب مفتوح على الاخلاص لهذا الوطن، وليس للموازنات وأرباح الاعلانات: لما شن حملته الألوانية الأولى لتدمير دولة القانون التي ولدت من رحم معاناة شعبنا وتوقه نحو الحرية والانعتاق. ولما غرق في الحملة الثانية لانقاذ و(تلميع) من أضاعوا بلدنا، من أضاعوا وطنا عرضوه للبيع في كل محفل وبالتقسيط المريح.

حقا أن زولي (لسة) ما جة كما ظلت الأغنية تؤكد في طبعاتها اللاحقة. زولي تخلى عن طموحاته الجهادية، وإنسحب من موته عائدا الى الأغنية. قنع من خير الدنيا بالاياب. رضوان الذي بقي وفيا لفنه، ولأزمنة ما قبل الطوفان. قررأن يتفرغ لقضية (زولي). سألت عنه أحد الاخوة وعرفت انه بخير. نجا من كشّات التجنيد الاجباري، ومن جائحة الاسهالات المائية، نجا من الفجوة الغذائية، ومن الموت كمدا أو جوعا.

سألت: شغال شنو؟.

جاءتني الاجابة: شغال فنّان!

حتى وقت قريب لم يكن البعض يصدقون أن الفن يمكن أن يكون شغلة. مثل جارنا المسن الذي سأل فنانا متجولا عثر عليه في إحدى الحفلات.

عندك ملوية؟ (أي هل لديك عمل؟

فقال الفنان: لا (يبدو أن الفنان نفسه لم يكن يعترف أن عمله كفنان يجب أن يسمى عملا.

عندك عس لبن؟

أي هل لديك ماعز للبن؟

فرد الفنّان الذي يبدو أنه لم يكن من عشاق حليب الماعز: لا!

فسأله المسن بصبر نافذ: عندك شنو طيب!

تنفس الفنّان الصعداء. أخيرا سؤال يصلح للإجابة، وقال: عندي طنبور!

قال المسن خاتما حوار الطرشان الفني: سوهن إتنين!

رضوان سوّاهن أربعة، ليس أربع نساء مثل اهل النظام، أنشأ فرقة موسيقية. حين بدأ في إحتراف الفن كما عرفت. كانت فرقته فقيرة ومرهقة. ينام العازفون أثناء الفواصل وأحيانا داخل الاغنية. بسبب أعمالهم الشاقة اثناء النهار لكسب العيش في زمان الانقاذ. وبسبب فوضى ضجة الموسيقى والعرقي الردئ الذي يفقدك الوعي أولا والحياة لاحقا، لم يكن هناك من يميز صوت الشخير من صوت الآلات الموسيقية والساوند سيستم المشروخ. تقفز العناكب أحيانا مع ضربة قوية للطبلة بسبب الفقر وقدم الآلات الموسيقية التي إنتهى زمانها

الافتراضي قبل قرون. فوضى الموسيقى الترابية كانت تترك أحيانا أثرا رومانسيا سيئا في نفوس بعض السكارى الذين يبحثون عن أنغام تاهت عنهم منذ ثمانينات القرن المنصرم. فيبدأون بالعراك وتحطيم كل شئ. لكن رضوان الذي يملك جسدا قويا. كان يؤمن أن الفن يحتاج أيضا لمنطقة خضراء لحمايته من عشّاق البهجة الانتحاريين.

المعجزة أنه كان يواصل الغناء أثناء ضرب السكارى المزعجين. كأنه ينتقم من ذلك (الزول) الذي لا يجئ رغم أننا نغني له منذ منتصف الثمانينات: زمان الانتفاضة! يمة أنا زولي ما جة يمة!

ليلة القبض على بنت (متلبسة)!

يوم أول جمعة بعد تعيينه في الشرطة الشعبية، ظهر فارس في المسيد متأخرا، كان واضحا أنه لم ينم طوال الليل فقضى نهار الجمعة كله نائما.

بادره سليمان الأعرج: يا زول وينك ما حضرت صلاة الجمعة؟ بعدين كيف تنوم بالنهار ولا يوم الجمعة مافي شغل لأنّ الحرامية برضه عندهم عطلة!؟

لم يرد فارس إستلقى بملابسه الرسمية وعيونه الحمراء من سهرة الأمس بجانبهم على حصير السعف.

قال سليمان:اها انشاء الله صادرت ليك تور عشان نعمل الكرامة!

علّق حاج سعيد: الكرامة احسن وكت يجيب الوزارة!

قال سليمان الأعرج وهو يضرب كفيه ببعضهما بعد أن أنهى لف سيجارة القمشة ووضعها دون أن يشعلها في زاوية فمه: انا خايف يعملوه وزير بدون حقيبة!!

الحقيبة في، بس كيف كراعنا تدخل! ثم إكتسى وجهه بجدية جنرال يلقي بيان إنقلابه الأول، قبل أن يعلن: والله أمس كان عندنا شغل كتير!

قال صلاح الجاز: خير إنشاء الله قبضت ليك حرامي من الحرامية المالين البلد، بعدين مافي اسهل من قبض الحرامي اليومين ديل، اي دقن حايمة تقبضه تلقاه سارق ليه حاجة، يا واطة يا مال سايب.!

رد فارس بسرعة:والواطة كمان حيكون شايلها معاه في جيبه يعني! أمس قبضنا ناس متلبسين! صمت قليلا ونظر في وجوههم كأنه يريد رؤية رد فعلهم على كلامه:

قبضنا لينا بت جات السوق لابسة منطلون!

طيب في الحالة دي مفروض تقول قبضنا ناس قالعين، مش متلبسين!

قال حاج النور: الله أكبر والله كدة قربتو تحررو القدس!

مشوار الالف ميل يبدأ بخطوة يا حاج واهو شوية شوية.

قال حاج النور: قبل سنين في واحدة من انتخابات الكيزان المزورة لقيت في عربية مرشح الحكومة عاملين يافطة كبيرة مكتوب فيها:

صوّت لمرشح المؤتمر الوطني من أجل تحرير القدس!

أنا قلت يا ربي مرشحهم دة نازل ضد شارون ولا شنو!

والحكمة القدس دايرين يحرروها بناس ما عندهم هم غير السرقة والعرس، والله الكيزان ديل لو بس شربوا الخمرة كان إبليس إغترب!

قال سليمان الأعرج:القال ليك ما قعد يسكروا مين، ما هو قدامك منسق الشرطة الشعبية قاعد بجركانته، وكت جركانته تخلص يمشى يهاجم بيوت العرقي ويصادر المعروضات يجي هنا يشربها!

قال فارس :ما نحن كمان لازم نطبق الشرع يا اخوان.

ضحك شيخ النور وقال: والشرع بس قال ليك خلي الحرامية الكبار السرقوا البلد حايمين في حراستك وتمشي تقبض ليك بت عشان لابسة منطلون!

دة زي فاضح، وفيه فتنة للشباب، ونحن لازم نحافظ على الاخلاق!

ضحك شيخ النور وقال: الحرامي البيسرق مال المساكين هو اللي بيشجع الناس تسرق او تنحرف، لأن زول اولاده جعانين وعيانين ما بيفكر في قيم واخلاق، انت جوعت الناس وسرقت حقوقهم وعارف ان اخلاقهم حتنتهي لكن انت قاصد كدة! لأن الناس دي لو اتمسكت باخلاقها وقيمها ما بتخلي ناقص زيك يحكمنا قريب ربع قرن!

علّق حاج سعيد: الشباب ديل في الاول علّمهم، وعالجهم وساعدهم يلقوا شغل. بعدين شوف ليهم موضوع الفتنة دة!

هسع البت دي بتحاكمها بشنو يعني، عملت ايه؟

البت دي بنحاكمها بقانون النظام العام، الزي الفاضح! وكمان قبضنا شوية أولاد كانوا واقفين معاها.

وديل تهمتهم شنو؟

الشروع في الزنا!

الشرع منو؟ في زول شفتوه ملص سرواله مثلا ومشى عليها؟

كل الناس الشافوها متبرجة، وعاينوا في جسمها يعتبروا زنوا بعيونهم!

قال حاج سعيد: يعني نقلع عيونا نخليهم في البيت قبل ما نمشي السوق ولا كيف؟

قال سليمان الأعرج: بعيونك تقول لي تعال وتعال .. بقلبك تقول لي لا مافي مجال!!!

ضحك شيخ النور وقال: الغنية دي ذاتها مفروض تمنعوها لأن فيها برضو شروع في الزنا!

كيف؟

ما كلام واضح بعيونك تقول لي تعال، دة معناه شنو، بقليبك تقول لي لا ما في مجال، يعني الزول دة ضمنا بيعترف ان البت ما بتحبه، لكن بعد دة دايرها تجي، المعنى واضح شروع في الزنا.

ضحك فارس وقال: الغنا دة نبعد منه هسع لأن بيدخلنا في مشاكل نحن هسع ما فاضين ليها، نخلص من موضوع التمكين والباقي هين!.

قال سليمان الاعرج: بالعكس الفنانين الما مشوا معاكم في المؤتمر الوطني واخدوا رتب في الأمن زي فرفور، بتطاردوهم كل يوم، وتنطوا عليهم في البيوت، وشايلين معاكم العرقي تقولو لقيناه عنده، تاني يوم تجيبوهم تجلدوهم قدام الناس عشان صورتهم تتهز قدام المعجبين، لكن الحكمة شعبيتهم تزيد لأن الناس فاهمة اساليبكم انتم بس القايلين نفسكم شطار. بتخافوا بالذات من الشباب لأن فشلتم تقدموا ليهم حاجة وطاردتوهم في رزقهم وحتى في ارواحهم رسلتوهم يموتوا نيابة عنكم في الجنوب عشان انتوا تقعدوا في الحكم.

واصل فارس كلامه كأن أحدا لم يتكلم:الاسبوع الفات مشينا حفلة مع ناس النظام العام، قالو الفنان سكران ننزله نجلده، قلت ليهم أصبروا شوية، مشيت بشّرت في الفنان شميت ريحته، عرقي نضيف زي دة عمري ما شربته، لو في زول جنبه ولّع سيجارة كان الفنّان إنفجر، دة فعلا فنّان ذرّي! !

وعملت شنو صادرت الفنّان و المعروضات برضه؟

لأ، قلت للفنان ألحقني بكاس من العرقي النضيف دة يا تنزل تتجلد، في داخل الاغنية نادى واحد واقف وراه، جاب لي كاس، شربته وقلت ليه غني ساي إنت في حماية الحكومة. بس مرة مرة غني لينا للحكومة عشان تحلل حق حراستنا ليك!! قال لي ما عندك مشكلة داير شنان ولا قيقم؟. قلت ليه في اضانه حلفتك كان توريني العرقي دة من وين، يغني ويوصّف لي في محل العرقي وانا واقف أبشّر! والعساكر المعاي يكوركوا الله أكبر! وكت الاغنية خلصت لميت العساكر ووقفنا بي ورا، جابوا لينا العشا وأكرمونا! ولأن انا المنسّق عاملوني معاملة خاصة اتعشيت مع الفنانين وسكرت مع العريس! والحقيقة العشاء كان تمام والعرقي نضيف، أخدت لي غمدة جنب العريس، لغاية ما سمعت كركبة النسوان، ساعة الدخلة. مرقت لميت العساكر ورجعنا!

وأها انشاء الله عرفت محل العرقي وين؟

أيوة بكرة يمكن نمشي نعمل عليهم كشة! لكن بتوصى بيهم، بنصادر النص ونخلي الباقي، لأن الزي ديل لو حالهم وقف، نحن كمان حالنا يقيف ونرجع عرقي العيش!

ضحك سليمان وقال: والله خلي بالك شغلتك دي شغلة سمحة، تسكر وتتعشى وتبتهج مجان وكمان نايم في أوضة العريس!.

والله الصيف موسم سمح الاعراس كتيرة خاصة المغتربين رجعوا اليومين ديل!

قال سليمان الأعرج: طبعا العرس اليومين ديل يا مغترب يا كوز. واها وتاني عملت شنو؟

قبضنا لينا زول في السوق لابس نقاب وقاعد وسط النسوان!

وعرفتوه راجل كيف؟

واحد من ناس الشرطة شك فيه وجاني مشينا سقناه وديناه دكان فاضي في السوق ودخلنا معاه مرة كشفت عليه!

وطلع شنو؟

طلع مرة! بس هي بتشبه الرجال ، جسمها ناشف، وعندها شنب خفيف!

بالله يا اخوان في مسخرة في الدنيا اكتر من كدة وهسع المرة دي دفعتوا ليها تعويض ولا عملتوا شنو ؟

ندفع ليها تعويض ليه؟

على الاحراج السببتوه ليها والفضيحة قدام الناس!

فضيحة في شنو نحن ما قبضناها في شروع ولا حاجة!

قال حاج سعيد بعد فترة صمت. يا اخوان الناس دي جنت والا إيه. يا أخوانا الحكومة البنعرفها شغلها حماية الناس وراحتهم، هل معقول البيحصل في البلد دي؟ ناس تذلنا ليل نهار بحقنا كمان. قلعوا حقوق الناس، لا تعليم لا علاج، باعوا البلد كلها وكبوا القروش في جيوبهم، بترول راح وين ما معروف وبعد دة يذلوا فوقنا ليل ونهار. ودة عاملنو كلب يحرسهم، عينه في الحرامي وينبح فوق المساكين!

خيّم صمت طويل،

اها يا اخوانا كرامة الوظيفة الجديدة متين ؟

قال شيخ النور: كرامة ايه انت زول صعلوك ساكت، حايم تفتش في هدوم النسوان دة مرة ودة راجل!

عموما انا كنت عارف انتوا ما حتبقوا قدر كلامكم، عشان كدة اتصرفت.

عملت شنو؟

حسين الأعور الجزّار لقيته يبيع برة التسعيرة، ورابط ليه ضنب خروف في تيس! أديته تحذير قلت ليه المرة دي مافي مشكلة لكن المرة الجاية الحراسة. أداني اتنين كيلو نضيف من تحت التربيزة هدية، بعد السوق مشينا ورا زول بتاع عرقي بالدس لغاية ما لقيناه دخل ليه غابة مسكيت، إنتظرناه لغاية دفن العرقي ومرق. مشينا بوراه لقيناه جاري وراه غصن شوك عشان يخفي الأثر، لكن على مين. فتشنا المحل لقيناه قعد في ركن إتبول، حفرنا مكان البول ومرقنا الجركان الكبير، وصادرنا المعروضات!

إنقلاب في بوركينا فاسو!

أخرج سليمان التاجر جهاز تلفزيون صغير يعمل بالبطارية من بيته القريب ووضعه في الباحة أمام المسيد .

في جهاز التلفزيون ظهر رجل يشرح أن سبب الغلاء والابتلاءات هو ابتعاد الناس عن الدين!

قال سليمان الاعرج: ابتعدنا مشينا وين؟ ما هو نحن قاعدين هسع فوق برش الصلاة في المسيد! في زمن الانقاذ دة بقينا كلنا زي خليفة المهدي، قاعدين فوق برش الصلاة راجين الموت!

وقال حاج سعيد، وطيب مش قالوا البلاء يعم، ولا ناس الحكومة بياخدوا حقن تحصين ضد البلاء!!

ضحك الطاهر وقال: ديل زمان قطّعوا فاتورة البلاء مع فاتورة البترول!

إقترب صلاح الجاز محدقا في التلفزيون وقال: الزول دة أعور، مش كدة؟!

لم يرد أحد على صلاح في البداية، ثم قال حاج سعيد: الزمن دة يا صلاح الناس بالجوع بقت ما شايفة قدامها، الناس ماشة ساكت، كلهم خارج التغطية زي ما بيقولوا في التليفونات، لو عرفت القدامك دة زول ولا ما زول ما خليت شئ، قبل أيام لقيت الحنين، بيشاكل في زول بصوت عالي، ويقول ليه ليه ما ربطت الحمار كويس، الحمار شرد ودخل في برسيم حاج الطيب، وودوه الكارة. مافي زول ظاهر قلت يمكن بيتشاكل مع ولده يكون واقف ورا حاجة انا ما شايفه، وكت بقيت قريب، ما لقيت زول، قلت ليه انت بتشاكل منو؟ إتخلع وبقى يعاين حواليه وقال لي الولد كان واقف هسع، عاينا حوالينا ما في اثر للولد في الارض، لكن لقينا الحمار حايم قريب في الزراعة! وأثره في الأرض! الظاهر شاف الحمار افتكره ولده!

إستمعوا قليلا لحديث الرجل في التلفزيون، ثم قال حاج سعيد: طيب الانجليز ديل ما مسلمين وبعد دة الدنيا في زمنهم كانت بخيرها، وكت الفيضان شال بيت أبوي مشى قدم طلب ادوه تعويض! واذا في مرة دايرة تلد يضربوا للإسعاف بالتليفون العنده منفلة يجي الاسعاف يوديها المستشفى، تولد وتقعد في المستشفى مجان. هسع الاسعاف لو جة يوديك الآخرة! يدوك حقنة غلط، تروح فيها ولو أهلك ما دفعوا تمن الحقنة الغلط ما يسلموهم جنازتك!

هسع ما بيرجوا الفيضان، بيجوا براهم يشيلوا بيتك، يقولوا دايرين نعمل طريق! ولو قدمت طلب بدل التعويض يقولوا ليك مر علينا بعد فترة، ترجع بعد زمن يقولوا ليك مافي طلب بإسمك أكتب طلب جديد، وفي النهاية ما بتطلع منهم بشئ. ولو ما جة فيضان يغرق بيتك بيبنوا ليك سد، وعشان ما يعوضوك بيحرقوا النخيل قبال يبنوا السد، ويقولوا ليك بيتك قديم جالوص وعوضك علي الله! دي قسمتك!

قال سليمان الأعرج: الاولاد الوديناهم يقروا الجامعة على حسابنا أول ما خلصوا القراية ومسكوا الحكم، باعوا الجامعة ذاتها! ديل زي أولاد العقرب، أول ما يطلعوا من بطن أمهم، ياكلوها، بعدين ينطلقوا عشان يلدغوا الناس من طرف!

بقت على الجامعة البلد ذاتها مبيوعة ونحن قاعدين فيها بالدين! البحر دة ذاته قالوا مبيوع، خايف نصحى يوم نلقاه خلا!

إبتسم الطاهر، أخيرا خبر سار: حسين ود عبد الرسول قالوا لقى ليه كتلة دهب كبيرة يمكن عشرة ولا عشرين كيلو!!

ربنا فتحها عليه، زي الكيزان! بس هو جابها بضراعه مشى الخلا بحمار ورجع بي بوكس!

قال الطاهر: أبوه كان مخاصمه عشان أبى يجي يزرع معاه، وهو ذاته كان ماخد في خاطره لأن أبوه اتزوج فوق امه وطلقها! وكت الولد شاكله وقال ليه يرجع أمه، قال للولد ما معافيك دنيا ولا آخرة!اها اول ما سمع بخبر الدهب مشى للولد حضنه وقال ليه عافيت منك الدنيا والاخرة!

لاحظ حاج سعيد: العفو بقى بنظام الدفع المقدّم زي الكهربا، مافي زول غيرنا قاعد يعافي الاولاد مجانا ساكت!

قال سليمان التاجر: الولد قبل يومين ضرب لي تليفون قال داير رصيد وسكر وشوية حاجات للبيت، وقال لي رسلها مع الولد، ولدي عبد الرحمن مشى القش، شلت الحاجات ومشيت خبطت الباب مافي زول فتح لي وانا سامع صوته هو وابوه يتكلموا. دفرت الباب وخشيت لقيت حسين راقد بالسروال وأبوه بارك فوقه يدلّك ليه في ضهره!

ضحك سليمان الاعرج وقال: بركات الدهب! سبحان الله أيام الفلس كانوا كلما يتقابلوا يتشكلوا! مرة واقف جنب عبدالرسول في الحواشة كان ماسك الموية جة حسين قعد في الواطة يمرق ليه شوكة من كراعه، ابوه قال ليه بتعمل في ايه؟ قال ليه بمرق لي في شوكة.

أبوه قال ليه: شوكة في قنيطتك!

عبد الرسول اتلفت كدة والولد قام عليه بالعكاز وقال ليه ما تصلّح ملافظك ياخينا!

ضحك سليمان التاجر وقال: مرة قاعدين معاي في الدكان، حسين قال عاوز يسافر العمرة، بعدين يتكلم مع ابوه زي صاحبه قال ليه: ما تقوم يا عبد الرسول الله يهديك بيع حتة الواطة بتاعتك دي، اصلك وارثها من ابوك ما داقي فيها حجر دغش! بيعها وادينا القروش نسافر بيها! والقروش انشاء الله تلقاها قدام!

عبد الرسول قال ليه: أوديها وين قدام وأنا (منيوك) هنا! بعدين سكت شوية وقال لي حسين:

يا ولدي في زول بيكره ولده، علي الطلاق انا كرهتك!

حسين قال ليه والله نفس الشعور يا ابوي!

ضحك حاج سعيد وقال: ما محبة الا بعد عداوة! بعد الدهب ظهر، يظهر عبد الرسول حيرجّع أم حسين، ويمكن يطلّق المرة الجديدة! زواجه الجديد دة كان فلس ساكت!

قال سليمان التاجر: فعلا وكت قاعد يدلك للولد انا لقيتهم يتونسوا وقفت مسافة اسمع كلامهم، حسين يقول لي ابوه مرتك الجديدة دي مرة فقر، مرة أنا صغير مشيت عليهم في البيت، انت رسلتني اجيب منهم ميزان الشمار، ابوها كان فقير يكتب البخرات، لقيته قاعد وسط النسوان، واليوم داك عيادته المحولة عمرانه، فيها نسوان مغتربات، كورك فوقي من بعيد وقال لي داير شنو يا ابن الكلب! مرتك دي أكبر مني في العمر شوية، جات من جوة البيت طردتني برة وقفلت الباب في وشي. من اليوم داك كرهتها وكرهت أبوها، وكمان وكت طلقت امي وجيت عرستها كرهتها زيادة. هسع سيبك من قصة انا بحبكم وانتوا اولادي الكبار وأمك دي انا بتفاءل بيها! في زول يتفائل بي زول يمشي يطلقو؟ لو داير ليك قريشات، تطلّق المرة دي وترجع امي بعدين نتفاهم.

أبوه ضحك، ظاهر ضحك خوف! يمسح في ضهر الولد، بحنان شديد، حنان بتاع زول مفلّس، ويقول ليه، امك بنرجعها، لكن والله بت شيخ النذير دي طيبة ومسكينة، أنت بس ما تعرفها بعدين بت يتيمة، حرام انا لو طلقتها اخو يراعيها ما عندها. وكت طردتك من البيت، ابوها رسلها، أبوها فعلا كان راجل فقر، والله انا فرحت وكت مات!

وحسين يقول ليه: دي مرة قاهرة، بتقدر تدبر حياتها، نديها الورقة ومعاها عس لبن. وكيف ما عندها أخو؟ النسوان زمان كان بيقولوا نمشي للنذير يدينا الجنا، طيب ليه ما جاب الولد!؟ ولا باب النجّار مخلّع!

شيخ النذير دة استغفر الله من ذنبه قالوا بتاع سفلي. عزالدين ود حسن نوري قبل يمشي الخرطوم زمان مشى ليه وقال ليه عندي عوارض محل ما اشتغل تحصل مصيبة، قال ليه الجماعة مكن يفكوا العارض ويشوفوا ليك شغل !

ضحك سليمان الاعرج وقال: شغل شنو دة جن سفلي ولا مكتب عمل!

بعدين بعد يشتغل قالوا ليه الجن بيجيك في اليوم تلاتة مرات!

قال سليمان مدعيا عدم الفهم: يجيه ليه؟

قال سليمان التاجر: حيجوه يعني لقولة خير، حيجوه ينوموا معاه عشان يخلصوا حقهم!!!

أها وعزالدين قال شنو؟

قال ليهم تلاتة مرات في اليوم كتير! حنشتغل متين يعني لو الجن حينط علينا كل شوية!

ضحك الاعرج وقال:

يا سليمان السنة الفاتت حسين قالوا طلب بتك الصغيرة ابيت تديه، هسع كيف؟

ضحك التاجر وقال: والله انا ما أبيته، البت قالت دايرة تقرأ، أصلها بت فقر، القروا عملو شنو؟ هسع لو وافقت كان مرقنا لينا بي كيلو دهب زي البرنامج بتاع التلفزيون!

قال الطاهر: قبل سنتين جاني قال لي داير أزرع معاك في الحواشة. أنا في الحقيقة كنت محتاج لي زول معاي، كنت داير أزرع مساحة أكبر شمار، أنا كنت سامع انه بيشتغل كويس لكن ما بيسمع الكلام ومرات يسافر اثناء الموسم بدون يكلمك، قلت ليه يا حسين انت مزارع كويس لكن أنا كمان بحب الانضباط.

قال لي إنضباط شنو. دي زراعة ولا دفاع شعبي! قلت ليه دفاع شعبي ما بعرفه، لكن انا عندي كل شئ في مواعيده، نسد البوغة بالمواعيد، ننضف الزراعة ونرويها بالمواعيد، قال لي خلاص اديني يومين أفكر في الموضوع لأن قصة إنضباط دي بتذكرني الجيش. قبل سنتين ناس الجيش كان قبضوه في سوق السبت، ودوه معسكر الظاهر تعب فيه تلاتة شهور لغاية ما شرد. قلت ليه خير، لكن تاني ما رجع.يعني شرد قبل ما نبدأ معسكر الزراعة! يا ربي يكون ماخد في خاطرو مني لغاية هسع؟!

ضحك حاج سعيد وقال: أنا الحمدلله لا جاني لي عرس ولا لي زراعة. لو جاني للزراعة كنت بشغله، الأولاد كلهم مشوا الدهب ما تصدق وكت تلقى ليك زول يجي داير يزرع! حتى لو زرع القمح في الصيف! والعيش في الشتاء!

قال الطاهر: لكن أنا نفعته، لو قلت ليه تعال أزرع ما كان مشى الدهب ولقى نصيبه! لو زرع معاي كان مرق ليه بشوال شمار وشوال قمح وقيراطين ويكة!

قال صلاح الجاز: الطاهر انت الظاهر عاوز ليك سلفية ولا حاجة!

ضحك الطاهر وقال: والله لو لقيت زول يموّل لي الموسم كان وسّعت الزراعة شوية السنة دي، أولاد حسن أخوي قالوا ماشين الدهب وقالوا لي ممكن تزرع ارضنا معاك السنة دي!

جاء فارس بعد قليل، رحّب به حاج سعيد: مرحبا بمنسق الشرطة الشعبية السابق!

قال سليمان الأعرج: بدل السابق أحسن تقول ليه منسق الشرطة الشعبية المخلوع! لأن الكيزان وكت استغنوا منه ولا حتى قالوا ليه رفدناك. جة تاني يوم لقى زول قاعد في محله! الشرطة الشعبية بقت زي بلدنا الهاملة دي، اليصحى بدري يقلبها!

قال فارس: الحمدلله لقينا شغل! الدهب بتاع حسين جة في وقته!

مالك ومال حسين كمان؟

مالي كيف؟ الزول صاحبي من زمان، في المدرسة كان وراي والزمن داك كان ضعيف وقصير عشان كدة الاولاد الكبار بيقلعوا منه الفطور ويدقوه بلا سبب، انا كنت شغال ليه حارس شخصي من الزمن داك، لو كنت بحرسه أيام حق الفطور ما عنده، أولى أبقى حارسه الشخصي بعد بقى غني!

وحتحرسه من منو؟

الكيزان الحرامية أول ما سمعوا بقصة الدهب، جاه ضابط أمن قال ليه ناس الجيش بيفتشوا عليك عشان إنت شردت من الجيش، انا ممكن أعمل ليك حماية، لكن تديني كيلو دهب! بالله شوف الناس الما بتختشي دي! حسين أداه مليون جنيه وقال ليه تعال لي بعد فترة!

ضحك حاج سعيد وقال: حراستك ليه دي زي حراسة الديب للغنم! زي حراسة الكيزان لبلدنا!

واصل فارس: أنا قلت ليه جرام ما تديه! الناس ديل انا بعرفهم كويس، لو جاك تاني قول ليه قابل فارس، السكرتير بتاعي!

إنت سكرتير ولا غفير؟

غفير شنو يا حاج أصلها وكالة، أنا مدير أعمال حسين عبد الرسول!

يا زول انت مالك ترقي نفسك بسرعة كدة من غفير لي سكرتير لي مدير أعمال، بعد شوية حتقول الدهب حقي!

قال فارس: شيخ علي بتاع اللجنة الشعبية جاهه قال ليه أدفع لينا تبرع للجنة الشعبية وانا بعفيك من الضرائب والزكاة وبوقف ناس الجيش لو جو يفتشو عليك!

قال سليمان الاعرج:وطبعا التبرع حيمشي على جيب شيخ علي!

قال فارس: جيب غريق تقول فيه (كوروكي) أصلا ما بيتملي!

أنا قلت ليه قول ليه خير، لكن ما تديه حاجة هسع، لأن ممكن ينفعك لي قدام لو عاوز تصديق لأرض ولا حاجة! حسين قال عاوز يعمل مصنع تعليب، أنا قلت ليه أحسن تقلب بالقروش دي في السوق!

قال حاج سعيد: يقلب وين، دة لو طلع شبر من البلد دي، يأكلوه تماسيح الكيزان حي!

قال الطاهر : أنا رأيي يعمل مشروع قمح كبير، يجيب الرشاشات!

قاطعه فارس: رشاشات شنو دة مشروع ولا جنجويد! ما قادر تقول الرش المحوري!

واصل الطاهر: الارض فوق في الخوي واسعة وخصبة بس مشكلتها الموية. لو جاب الشركات الكبيرة البيحفروا الارض بالمكنات، ممكن يطلعوا موية كتيرة!

قال فارس: مكنات شنو اليحفورا بيها، مشروع دة ولا النهر الصناعي العظيم!

قال حاج سعيد: الموية مشكلة والكهرباء بقت تقطع كتير، ما ممكن يزرعوا بيها وفي نص الموسم تقطع. عشان كدة أحسن يشوف ليه حاجة تاني.

قال الأعرج: خليه يعمل مشروع تسمين، يشتري بهايم، وعجول وممكن لي قدام يعمل مصنع للأجبان!

طيب ما نفس المشكلة، مع زراعة الاعلاف حتكون التكلفة عالية. لو بلدنا دي فيها مطر ومراعي كبيرة ممكن.

قال فارس: أنا رأيي قلت ليه تخلي الدهب قاعد أو تشتري دولار أو بيوت. لأن بعد شوية الجنيه حقنا دة الا تشيل منه تلاتة شوالات عشان تشتري ربطة جرجير. بعدين الجماعة ديل ما حيخلوه الا يقلعوا القروش دي. نعمل بلاغ نقول اتسرق أو يعمل ليه دقينة وننجر ليه غرة صلاة ويقول ليهم انا بقيت معاكم، يديهم شوية قروش يقول ليهم دة دعم للجهاد.دة احسن مشروع الان. ويترشح مجلس الشعب. حيجوا ناس المؤتمر الوطني يترشحوا معاه عشان يلقوا ليهم قرشين ويخلعوا . والدقينة ساهلة، أنا قلت ليه حتى الكيزان الاصليين ناس شيخ علي، شايلين الموس في جيبهم، شيخ النور مرة حكى لي قال لي مشيت لي شيخ علي في البيت داير لي شهادة سكن للولد. أنا شعرت في حاجة لأن في الاول ما كان داير يقابلني، سامعه يقول لي الولد قول ليه مافي، كوركت قلت ليه امرق يا علي والا بجي داخل! أها جة مارق! لقيت دقنه محلوقة نضيف، قال لي ما بقدر أطلع ليك الشهادة الا الدقن تمرق شوية عشان اقدر امرق من البيت، قلت ليه وطيب حلقت الدقن ليه؟ ضحك وقال لي المرة الصغيرة مسكينة غشيمة شوية. سمعت أخبار انقلاب عسكري في بوركينافاسو في التلفزيون، بدون تسمع الخبر كويس جات جارية وانا في الحمام خبطت لي الباب، قلت ليها في شنو: قالت لي ألحق في انقلاب! ضربتني لخمة بدون ما اشعر حلقت الدقن، وجيت جاري كنت مجهز لي حفرة في الحوش عشان الظروف ما معروفة لو حصل شئ ندس فيها شوية دهب النسوان لغاية نعرف الحاصل! أها شغال أجهز في الحفرة وألم في الحاجات جاتني المرة التانية قالت لي: الانقلاب في بوركينافاسو!

حاشية:

سد البوغة: يطلق في شمال السودان على عملية ري الزرع في المرة الأولى، تسمى المرة الثانية التالان.

الكوروكي: يطلق في مناطق شمال السودان على حفرة تنفتح دائما في الأرض العطرونية وتبتلع كميات كبيرة من الماء دون أن تمتلئ!

إبليس في المحكمة!

الضوء خافت داخل المحكمة بسبب إنقطاع الكهرباء، ثمة ضوء يتسرب من النوافذ القديمة الكبيرة، لكنه ضوء خائف متردد، كأنه يخشى أن يلفّق له أحدهم تهمة ما، كأنه يعرف انه غير مرحّب به في دولة الجنجويد الكبرى، حيث السلطة التي تعشق الظلام. الضوء الخائف يتسرب ببطْ مدفوعا بالحنين و حفيف أجنحة العصافير، العصافير التي تقف في صفوف متوازية في الخارج، مثل حرس الشرف، ليستعرضها الصمت.

الضوء الخائف يجعل صور الناس كأنها مقلوبة، ظلال الناس التي تتكاثر بمعادلة هندسية تبدو أكثر من الناس، والصمت الذي يتوالد من رحم الضوء الخائف يبدو كأنه لا يمت بصلة لهذا العالم.

فجأة يقطع الصمت صوت شخص مشنوق على شجرة في الخارج، كان يغني بثقة من لم يعد لديه شئ يخسره

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر:

لا تخجلوا ..و لترفعوا عيونكم إليّ

لأنّكم معلقون جانبي .. على مشانق القيصر

فلترفعوا عيونكم إليّ

لربّما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عينيّ

يبتسم الفناء داخلي .. لأنّكم رفعتم رأسكم .. مرّه !

لم يهتم احد بصوت الميت، لا أحد يهتم في عجلة الصمت حتى بأصوات الأحياء! الذين يعبرون بنفس بريق العيون الميت الذي يتسرب من عينيّ المشنوق.

تلاشى صوت الميت في أمواج بحر الصمت المتلاطمة، نفس صمت الضوء الخائف الذي يقطعه مرة أخرى صوت الحاجب حين يعلن: محكمة.

جاءت مجموعة أخرى من الظلال الطويلة. جلست في وقار يليق بالظلال.

ثم إرتفع صوت القاضي، ضعيفا في البداية من رهق العدل، قبل أن ينطلق يهدر بقوة فوق قضبان لامبالاته اليومية. إنه قاض متعجل، يصلح للعب كل الأدوار: الشاكي والمتهم والقاضي والمحامي.

ليتقدم الشاكي.

هل أنت ضحية للجنجويد أو للنصب والاحتيال؟ هل سرق أحدهم قطعة أرضك وباعها؟ هل بدّلت زوجتك دينها؟

قال الرجل الغريب الملتحي: بل أنا من سيبدّل دينه إن لم أجد من ينصفني! ممن إستولوا على حقوقي وطردوني من هذه البلاد!

ثم تحول الغريب ليخطب في جمهور المحكمة: أيتها المحكمة الموقرة، أيتها العدالة الناجزة، إنني لا أطلب سوى العدالة والرحمة، إنني مجرد مواطن صالح! لقد طردت من عملي كمستشار دون ان أحصل على مستحقاتي، وتم إبعادي من هذه البلاد دون وجه حق!

قال القاضي: لابد أنك إرتكبت جرما كبيرا، لابد أنك تخابرت مع دولة أجنبية، أو أنك طابور خامس أو عميل خائن لوطنك أو أنك أصدرت تصريحا او فعلا يفهم منه انك توافق على قرار المحكمة الجنائية الدولية بالقبض على رمز السيادة أو ..

قاطعه الشاكي: لا أنكر أنني قمت ببعض العمال السيئة الصغيرة سيدي الرئيس، لكنها مجرد أشياء لا تذكر حين نقارنها بأفعال من طردوني من هذه البلاد!

أعترف أنني أغويت أناسا بشراب الخمر وشبابا بتدخين السجائر أو المخدرات الرخيصة التي توهم من يتعاطاها انه سعيد، نفس هذا الشئ تفعله الحكومة أيضا حين تحاول ايهام البعض بأجهزة إعلامها، بأنهم يعيشون في سعادة رغم القحط والفقر، وأنه لا يوجد متمرد واحد في الوطن، وأن أصوات طلقات الرصاص التي (تلعلع) في الشوارع يطلقها المواطنون بدافع البهجة بسبب الرخاء الذي يخيّم في كل مكان!

كما أغويت آخرين بسرقة مبالغ صغيرة، معظمهم كانوا يعيدونها لأصحابها بعد قضاء الحوائج التي أجبرتهم على عمل ذلك! لأنني لا أهتم بمتابعة من أغويهم بعمل سئ ليقوموا بتطوير مواهبهم في السرقة أو الاحتيال، أو يحافظون على مستوى تفوقهم في الخطيئة، أنا مجرد هاو، حين أغوي شخصا ما أبحث فورا عن شخص غيره، أهتم بالكم لا بالكيف. لكنني تعلمت ممن عملت معهم كمستشار أكثر من النصائح التي قدمتها لهم.

لقد وجدت من يبيع وطنا، أضعت عمري في إغواء مساكين بسرقة حمار أو حزمة علف صغيرة تكلّف ملاليم قليلة. لو أنك إشتريتها ستكلفك أقل من سرقتها! ، لقد وجدت من يسرق بئر بترول دون حتى أن يستشيرني، وحين طالبته بعمولتي، لأنني كنت أشرت له ليسرق أوراق ملكية بئر ماء في طريق القوافل في الصحراء، أرسل لي قوات الجنجويد لتطردني خارج الوطن! لقد أغويت أحدهم ليسجد الى صنم، ثم إكتشفت أنه سرق الصنم وباعه! لا وقت لديهم ولا حتى للعبادة، حتى أنا لم أفكر يوما في بيع آلهة! كان صنما من الذهب الخالص، ثم قال كمن تعلم درسا مكلّفا: في المرة القادمة سأصنع صنما من العجوة!

قاطعه القاضي دون حذر: سيأكله!

تلفت القاضي حوله حذرا خوفا من: البصاصين والطابور الخامس والجنجويد وقوات الدفاع الشعبي وقوات السلام وقوات الدعم السريع والدعم البطئ والشرطة الشعبية والأمن الشعبي والأمن الوطني والأمن العام والشرطة في خدمة الشعب، مسح العرق على وجهه

بمنديله، وتأكد أن لحيته المزيفة مثبّته في نفس مكانها، ولم تتزحزح بفضل الخوف او العرق، ثم أعلن:

لا وقت لدي لحكايتك التي تبدو لي طويلة. سأعطيك خيارات حتى لا تضيع وقتك في الشرح. تبدو شيخا وقورا، ما هي مشكلتك التي طردت بسببها من عملك ووطنك؟ هل هي:

غسيل أموال

سرقة أراضي

سرقة أموال عامة!

أم مخدرات؟

قال الغريب: مثل هذه الجرائم لا تطردك من أية مكان، بالعكس حين ترتكب إحداها ستحصل على ترقية، فقط يجب عليك أن لا تنسى أولئك الذين يزعمون أنهم عميان حين تمر من أمامهم وأنت تحمل على ظهرك الأرض التي سرقت أو الأموال التي حللّت!

قال الشاكي: أنا من سيعطيك خيارات، يا مولاي، هل تشرب الخمر أم الماء أم اللبن؟

رد القاضي بسرعة ودون حذر: أشرب الخمر أحيانا! هل لديك القليل منها الآن؟

قبل أن يستدرك ويعرف انه إرتكب جرما كبيرا، تلفت القاضي حوله حذرا، حتى يتأكد أن عددا قليلا من الناس سمعوا بفضيحة تكالبه على البهجة، وعدم صبره حتى إنتهاء عمله وحلول المساء، وعلى إنكشاف حبه للظلام مثل أهل السلطة وخوفهم من الضوء الخائف، ثم تنحنح حتى يتأكد أن صوته إستعاد قوة سلطته، قبل أن يعلن بصوت جهوري شحنه بصرامة وخبرة ثلاثة عقود من إمتهان العدل: كيف تجرؤ على إتهامي بمعاقرة أم الكبائر؟

قال الغريب: الكبائر لم يعد لها أم الآن يا سيدي، بات لها أخوة. هم مثل أخوة يوسف، لا يحتاجون ولاحتى لخدماتي لالقاء كل من يقف في طريقهم في الجب!

قال القاضي: من تعني بأخوة الكبائر؟.

قال الغريب: إنهم هم من إستولوا على حقوقي وطردوني من هذه البلاد سيدي القاضي!

قبل أن نصل الى من طردوك دون وجه حق كما تزعم، هل لك ان توضح لي كيف تجرؤ على إتهامي بشرب الخمر، ألا تعلم أنني..

ضحك الرجل وقال: أنت الان تكذب يا مولاي وهذا أسوأ! ألم تشرب بالأمس يا مولاي زجاجة من الخمر المهرّبة! كانت خمرا جيدة، أعرف ذلك النوع! حين تشرب منه تشعر كأنك تحلق في الفضاء بعيدا عن مشاكل أسرتك ومشاكل العمل ومصاعب الحياة. ان كنت أنا أواجهك بالحقيقة وأطلب العدل فأنت ترتكب ثلاث جرائم يا سيدي. حين تشرب الخمر سرا وهي ممنوعة حسب القانون الذي يفترض بك تطبيقه، وحين تشتري خمرا مهرّبة بدلا من شراء الخمر المحلية، بدلا من أن تشجع الصناعة الوطنية، تشجع الناس على ترك كل شئ وإمتهان تهريب الخمور من الدول المجاورة، وذاك لعمري عمل لم يخطر حتى على بالي!

تلفت القاضي حوله حذرا، قبل أن يقول بدافع فضول غير حكيم: وماهي جريمتي الثالثة؟

قال الغريب: حين لا تدفع ثمن الخمر كله! تسرق حتى المهرّب نفسه، تدفع له مبلغا صغيرا وتستغل سلطتك حين تقول له: يكفي هذا وإلاّ حبستك! تنسى انك ستحتاج له، حين تشعر بالحزن، والوحدة، حين تغضب زوجتك وتترك لك البيت الكبير وحدك، البيت الذي حصلت على أرضه مجانا حين كنت مسئولا كبيرا في مصلحة الأراضي! تنسى أنك ستحتاج له، حين تفقد وظيفتك بسبب تساقط شعر ذقنك، لا بسبب نقص ورعك المزيف، بل بسبب مرض جلدي سيصيبك بسبب إفراطك في أستخدام هذه اللحي البلاستيكية المزيفة! يصنعون حتى اللحي في الصين !

أطرق القاضي قليلا قبل أن يعلن: حكمت المحكمة حضوريا بستة أشهر سجن للشاكي لإهانته المحكمة الموقرة! وتجسسه على المواطنين الآمنين، ومصادرة أجهزة التجسس التي يستخدمها!.

رفعت الجلسة.

الموت في زمن الكيزان!

توقفت عن السؤال عن اصدقائي القدامى كنت كلما سالت عن شخص ما اسمع أنه مات. حين سألت عن شيخ سليمان وكان رجلا لطيفا حاضر البديهة. جاءني الرد انه انتقل الى الدار الاخرة، بعد فترة مرض طويلة.

قلت بأسى وكأنني ألومهم على موته : كيف تتركون مثله يموت؟

قال الطاهر: يعني نعمل شنو ؟ نمسك روحه نربطها؟ يومه تم!

شعرت باليأس في حديثهم. لايملكون ولا حتى الرغبة في تغيير شئ أو حتى الحفاظ على شئ، لولا ان حضر فارس بعد قليل.

سأله شيخ النور: كنت وين يا اخينا؟ حايم مطلوق مافي والي يسألك.

قال: سليم كان ضابح أخوه الفي امريكا جة من السفر.

سأله الطاهر: قبل اسبوعين كان ضابح سماية ولده. مش كان افضل يعملوا الكرامتين مع بعض!

قال فارس: والحسادة العليك شنو انشاء الله يضبح كل يوم، قاعدين يضبحوا من زريبتك؟ بعدين اخوه جة هسع بعد زوجته وضعت بشهر. حيقعد كلما المرة تلد ينتظر اخوة لغاية يجي من امريكا عشان يوفر ليه عتود!

قال شيخ النور: الطفل المولود الجديد قالوا كان عيان شوية بقى كويس؟

قال فارس: الشافع نصيح ما شاءالله وسمين تقول بيرضع مع عمايا!

ضحك شيخ النور وقال: خلاص نجمته ليهم، اصلا الولد الاول كان عيان من ولدوه لغاية مات. ودة هسع لو ما الليلة لحقوا بفقير قوي حيلحق برضه امات طه!

ضحك فارس: اخوه قاعد يرسل ليه قروش، لو مرض واحد من الاولاد ممكن يوديه المستشفى يعالجه، المشكلة فينا نحن ناس قريعتي راحت لو جاتنا ملاريا نروح فيها. والجماعة يقولو يومه تم! اديني الدوا وخلي اليوم يتم براه، مش تتمه من جيبك!

قال شيخ النور: وانت قريعتك راحت ولا ودرتها براك؟ ما كنت لامي الجماعة وفقرتك بالرسقة معاهم بقت قدر الحيطة دي. بدل تاكل العضم البيرموه ليك وانت ماسك خشمك مشيت داير تقسم معاهم في النهب التقيل، شالو رموك برة زي الكلب. جايي هنا تهوهو فوقنا نحن المساكين!

والله انا رغم اني كنت بهمبت شوية لكن جنب اكتر واحد فيهم نضيف انا نبي!

قال الطاهر: اها واستفدت شنو، لا قعدت نضيف بعيد منهم لا لميتهم بعدلك وسويت ليك قصر وشركة. دخّلو فوقك الفزع وفكوك فوقنا مضايقنا في رزقنا. الكرامة الفي تبقى سيدها، الناس قدر ما يحاولوا يجهلوك وكت يكون في عرس ولا كرامة وما يدعوك عشان يقدروا يأكّلوا الضيوف البيجوا من بعيد. برضو يلقوك أول زول في وشهم، اول صينية تمرق تستلمها !

قال فارس: هسع الجماعة ديل قالوا دايرين حوار. عمك بعد الوثبة رقد مستشفى غيّر الركب، العلاج الطبيعي قالوا بالدلوكة. يدقوا ليه وهو يرقص لغاية الركب الجديدة تسلك. الخازوق بس الركب تكون هندية قبل ما تسلك كويس يكون ردف سبيكة!

ضحك شيخ النور وقال: وانت صدقت دايرين حوار، ديل بيكسبوا في الوقت والأسيا بقوا معاهم، زمان كان اي زول يجيهم للحوار يغمتو ليه قرشين، ويدوه ورقة يمضيها، يي دة حوارهم. ويغشوه بمساعد رئيس ولا مستشار، هسع القروش كملت، سرقوا البلد حولوها ماليزيا، والواطة في كل مكان باعوها، ورئيسهم عدم الركب، يعني البيجيهم دة حيكون زول متطوع ساكت.

تذكرت حسن ولد حاج سعيد، كان صغير السن حين سافرت لم يتجاوز عمره انذاك العشرة أو اثني عشرة عاما، لكنه كان معروفا في القرية وفي القرى المجاورة، كان يغني على آلة الطنبور بصوت لم اسمع في حياتي أعذب منه. كان يؤلف بنفسه بعض الاغاني البسيطة ويؤديها في المناسبات فرحت حين تذكرته. كان صغير السن وصحته جيدة، لابد أنه حيّ أخيرا سأجد شخصا حيا ممن أسأل عنهم.

إنتهزت فرصة صمتهم بعد موضوع الحوار والوثبة في الفراغ، وقلت: حسن ود حاج سعيد، الفنان الكان بيغني أغاني الطنبور وين الزمن دة؟.

كنت متأكدا أنه اصبح مشهورا وربما انتقل للعيش في العاصمة ، لكنني فوجئت بالاجابة الصاعقة.

مات الله يرحمه.

قلت مصدوما: مات ليه؟.

قال الطاهر: يا زول انت مشيت عشت مع الخواجات ديل، مرقت من الملة ولا شنو؟ مات، يومه جة. نطلع مظاهرة من المقابر نقول لأ الزول دة لسة يومه ما تم، زي الشيخ الصوفي القالو طرد ملك الموت، قال ليه الولد لسة عمره فيه باقي، أنت يمكن ماشي تقبض روح زول تاني طشيت جيت هنا غلط!

قلت : كان مريض يعني ولا شنو؟.

قال شيخ النور: الولد دة مسكين كان مجتهد، وبقى فنان معروف، الناس يجوه للحفلات من كريمة وعطبرة. كان يكره الكيزان. وليه حق مافي زول شاف خير في زمنهم، غير السرقة والموت. اها قصدوه وكت عرفوه ما زولم، بقى محل ما يمشي يغني ينزلوه يدقوه، يقولو سكران. أفرض انا سكرت في روحي دي وما آذيت زول، أخير انا ولا انت السارق حق الناس؟ بسببك الرضع تاكل فيهم الكلاب في الشوارع. خاله في السعودية وكت عرف رسل ليه كرت زيارة. مشى الخرطوم يعمل الفيزا لموا فيه ناس الجيش ودوه مناطق العمليات بالقوة وبدون تدريب، ما اخد اسبوع مات. إتلموا الكيزان يكوركوا ويرقصوا، جابوا ليهم شوال سكر وأدوا امه ورقة قالوا خلاص عقدنا ليه للحور العين!

نظر شيخ النور حواليه كأنه يبحث عن شئ ما ثم قال: يا زول انت حكايتك شنو؟ ما تطرى الا الميتين؟ أوعك تمشي تقعد في أي مجلس في الحلة دي بورانا وتقول شيخ النور وين، تجيب أجلنا.

وضعت الحذاء في قدمي، لكنني بقيت مترددا في الخروج من المسيد. عاد شيخ النور ورفاقه لحديث الحوار والوثبة. تذكرت صديقا آخر لم أراه منذ عودتي، أمسكت لساني في آخر لحظة حتى لا يرتكب جريمة أخرى. آثرت أن أعيش على أمل أن يكون شخص واحد

على الأقل من المجموعة التي لازلت أتذكرها قد قاوم رياح الموت الانقاذية وبقى على قيد الحياة.

الوزارة و(الحمارة)

بدأت رياح الشتاء الباردة المحمّلة بالغبار تغزو العالم. قال الطاهر بعد صلاة المغرب في المسيد: السنة دي البرد الظاهر حيكون شديد!

قال شيخ النور: البرد حيكون أقل من السنة الفاتت وأقل من القبلها. لكن نحن ضعفنا.والجوع كتر، عشان كدة أقلّ هوا تشعر بيه في عضمك. ما شايف الناس دي ماشة في الشوارع زي السكارى! الواحد بقى زي المركب الشراعي، يحدد مشواره على حسب إتجاه الريح! الا في ناس ماشة عكس الريح! ومين غير الحكومة وناسها يقدر يمشي عكس الريح؟

وكأنه تذكر شيئا على ذكر الحكومة فقد نظر بإتجاه فارس النائم على حصير الصلاة وقال : أها حتعمل شنو السنة دي. بتقدر تاني على الزراعة بعد ما بقيت مسعول كبير والوزارة كانت (قاب قوسين أو ادنى) زي ما بيقولو في الاخبار؟

ضحك الطاهر وقال: هو وكت كان مزارع عديل ما قدر ينتّج حاجة. خليته يزرع معاي عشان خاطر والدته جات إتكلمت معاي. قالت لي الولد دة مشى عرّس ليه بت من الشرق وهسع قاعد ساكت الناس خايفة ما يلتزم في الزراعة، رفضوا يخلوه يزرع معاهم. أها أول يوم ليه معاي. مشيت الحواشة بدري لقيته متلفح في بطانية، وكت شفته من بعيد قلت

الزول دة خلي بالك ما عنده عوجة ما دام بيقدر يصحى بدري كدة. أها قلت ليه مالك بدّرت شديد كدة ولا عشان أول يوم؟.

قال لي أول يوم آخر يوم ما بيفرق معاي. لكن أنا جيت إستحميت في موية البابور الدافية!.

قلت أهظر معاه شوية، قلت ليه مالك مستحمي بدري كدة، زنيت ولا شنو؟

قال لي: أيوة!

أنا ما كنت متوقع اجابته دي. قلت ليه مش عيب تزني وأنت عندك زوجة؟

قال لي: ما معاه هو ذاته!

صمت الطاهر برهة، ثم شرب من كوب الماء بجانبه، وسعل، وقال: أنا قلت الزول دة يمكن مخه ما تمام ربنا يستر على الموسم ويتستر معانا. لكن اشتغل كويس، الزول ماشا ءالله نصيح، يخبط الطورية في الواطة العطرون القوية، يقرب يصل الموية من ضربة واحدة. بعد اسبوعين قاعد شغال في أمان الله سمع صوت صفارة البص. عجبته الصفارة. قال لي دقيقة بجي راجع. تاني ما شفته الا بعد تلاتة سنين!.

وكت رجع بعد التلاتة سنين. جاني أنا في نفس المحل أقرع الموية. سلّم عليّ وقعد جنبي ما جاب سيرة لحكاية ان خلاني في نص الموسم وسافر ولا أنا سألته. بيني وبينكم أنا خفت اسأله يبقى لي في رقبتي يقول داير حقه! مع أنه هو اشتغل معاي اسبوع بس لكن طبعا زول فتوة. فطر معاي وشرب الشاي وساعدني كمان شوية في الشغل. بعد الفطور سألني: ما ماشي العمرة؟

قلت ليه العمرة فتحت؟

قال لي : أنا فتحتها!

ضحكت وقلت ليه: انت بقيت وزير الشئون الدينية والأوقاف ولا ايه؟

قال لي: لأ، لكن شغال مع زول عنده وكالة سفر وبنعمل للناس اجراءات العمرة والحج! قلت أشوفه يقول شنو. قلت ليه: أنا داير أمشي الكويت! إتحيّر شوية وقال لي : ما متأكد لو

في عمرة للكويت لكن ممكن أسأل الزول بتاع الوكالة! أنا كنت قايله زول مدردح وقرأ شوية، لكن اكتشفت ان ما ناقش حاجة!

ضحك سليمان الاعرج وقال: مشى لحاج محجوب غشاهم قال ليهم بسفركم الحج، قالوا ليه نحن مشينا وقفنا في الصفوف وفي النهاية ما لقينا طريقة والاجراءات خلاص قفلت.

قال ليهم قفلت للناس المساكين لكن نحن عندنا سكة بي ورا مع الوزارة بندخّل ناسنا.

أها أدوه حق التذاكر مع الجوازات والرسوم، وشال منهم كمان مصاريف سفره، و قال ليهم استعدوا للسفر خلال اسبوع. وركب البص. أها حاج محجوب وزوجته مساكين استعدوا للسفر وجهزوا الحاجات واستلموا الجوابات والوصايا للمغتربين. زولك كالعادة رجع بعد ست شهور، كانوا الحجاج سافروا ورجعوا والناس قاعدين يستعدوا لحج السنة الجديدة.

يوم واقف في الشارع منتظر لي زول، البص وقف. وزولك نزل، مانع تقول بياكل في الخرطوم دي مع عمايا. تحلف تشوفه ما تقول الزول دة قاعد في بلد الجوع دي، تحلف تقول نحن مافي زمن الانقاذ. الناس كلها وجبة واحدة بس في اليوم. قلت ليه وينك يا زول الناس ديل ما منتظرنك للحج. جة ماشي علي يقدل، عاجباه صحته وقوته.

قال لي: ربنا ما رفع كراعهم، أرفعها بالقوة!

ضحك فارس وقال: والله أنا عملت المستحيل، لكن اتضح لي بتاع الوكالة زول مستهبل، كوز كبير بيقدر يسفر الناس لكن لازم تدفع ليه قروش تقيلة.

قال الطاهر: هسع بقى في حج فاخر كمان!

قال شيخ النور: حتى في الحج فرزوا الناس! هو الحج حكمته اصلا الناس دي تتساوى غني وفقير.

هسع عموما الناس تساوت، في الظلم. طبقة فوق الجماعة الطيبين الكيزان وناسهم. وطبقة كبيرة تحت، ياه الشعب كله. وحتى الفقر ذاته درجات، ناس ما لاقية تاكل وناس نست الأكل، أملها كله النهار يعدي وما تجي بفوقهم طيارة ترمي براميل البارود فوق رؤوس أولادهم.

قال الطاهر: أها يا فارس تجي تزرع معاي ولا منتظر ليك حاجة! بس قدّام الناس ديل لو زرعت معاي نعمل كونتراكت، والناس ديل يشهدوا، تكمّل الموسم لغاية نشيل المحصول. لو جة بص وضرب بوري، لو جة لوري لو جات طيارة ما ليك دخل بيهم!

فكّر فارس قليلا قبل أن يقول: لأ ، الزراعة ما بتنفع معاي، أنا بقيت زول أفندي. معقول بعد كنت قريب من الوزارة أرجع تاني للحمارة! أنا كنت منسق الشرطة الشعبية في المنطقة دي كلها، معقول أرجع تاني تربال! داير أرتاح شوية من الشغل ، لو الناس ديل سلموني مكافأة نهاية الخدمة داير أعمل لي دكان وأقعد قدامه.

- قدامه ولا وراه. انت ما زول عمار، حيجوك العذبات حتديهن السكر بالدين وبعد شوية حتقفل الدكان، لكن ما مشكلة يمكن لغاية ما تفلس ، يمكن تلقى ليك فرقة تاني مع الجماعة.

قال سليمان الاعرج: أنا رأيي انت عملت خبرة في شغل الشرطة الشعبية، ودة المجال الوحيد النجحت فيه، عشان كدة افضل حاجة تعمل ليك نقطة بوليس حقتك وتشتغل براك! اصلها البلد غابة، القوي ياكل الضعيف. أحسن تعمل قانونك براك!

رد فارس: قبل فترة قالوا قبضوا جماعة عاملين نقطة براهم، قبضوا ناس وغرموهم وحاكموهم.

قال شيخ النور: أكيد بيكون عندهم شوية رحمة أكتر من الحكومة. غراماتهم معقولة وبيعاملوا الناس كويس ومافيش ضرب وتعذيب .

فكر فارس وقال: والله فكرة كويسة لكن أخير نشتغلها من منازلهم، لأن الحكومة دي لو فكرت تنافسها في الشغل البتقلع بيه قروش الناس ما بتخليك. خلوني أجرب السكر والشاي والصابون. لو الدكان خسر بشوف ناس البنك يدوني سلفية أو توكيل أبيع السماد.

-أها ولو قروش البنك خسرت!

قال الطاهر: السماد ما بيخسر، مافي نسوان بيشترن السماد عشان كدة ما حيضطر يبيعه بالدين!

- لو قروش البنك راحت، حاشتغل بنظرية يا الحمار مات يا السلطان مات. يا الحكومة اتقلبت، يا البنك اتحرق يا أنا ذاتي مت!

ولو دة كله ما نفع؟

بمشي الجهاد! قالوا لو مشيت الجهاد الجماعة بيدفعوا ليك ديونك.

انت نايم وين؟ الجنوب انفصل، لكن الجهاد برضه ما وقف، إتحول علينا نحن المساكين!

قال فارس: يا زول الجهاد ما بيقيف، ممكن يغيرو اسمه، لأن الحكومة دي بدون حرب ما تقدر تقعد! ولو الجهاد وقف في حاجات تانية.

زي شنو؟

نعمل اسبوع تضامن مع رمز السيادة ضد اوكامبو! نأجر لينا مكرفون ونادي الناس هنا في المسيد ونعمل لينا شوية يافطات: ندين ونشجب. حيجوا الجماعة يدفعوا لينا!

ضحك شيخ النور وقال: يدفعوا ليك من وين؟ البترول وراح، هسع القروش من شدة ما بقت شوية، ما بتقضي جيش الجماعة الكبار والمؤلفة قلوبهم، عشان كدة الجماعة رقدوا سلطة في بعضهم.

إجتماع هام جدا مع السيد الرئيس!

كنا نجلس أمام المسيد بعد صلاة العصر، كان موسم الدميرة قد إقترب وإنشغل أهل القرية بإصلاح سقوف البيوت وتدعيمها بزبل البهائم خوفا من إحتمال هطول المطر. توقفت عربة بوكس قديمة وهبط منها فارس مرتديا ملابس الشرطة الشعبية.

ضحك النور حين رآه بملابس الشرطة الشعبية وقال: نحن راجينك بالكرامة ترجع وزير، تجينا عسكري وفي العساكر كمان شرطة شعبية!

قال فارس: مشيت الخرطوم قابلت الريس! كان عندي معاه إجتماع مهم جدا، شرحت ليه الوضع كله!

- وعشان قابلت الريس لابس كدة؟ الريس سمعنا قالو فاضي ما عنده شغلة كتيرة، لكن ما قايلين فاضي لدرجة يقابلك انت كمان! واتكلمت معاه في شنو؟

كان عندي اجتماع مهم مع الريس، اتناقشنا في الحاصل في البلد وفي الوضع الراهن زي ما بيقولو في الأخبار!.

ضحك النور: وانت هسع عارف الحاصل في البلد ولا عندك خبر الوضع الراهن؟

وقال حاج سعيد: خليك منو التليفة، ريسك ذاته عارف الحاصل؟

علّق صلاح الجاز: والريس فاضي ليك وين، قالو لو داير بس يسالم مساعدينه اليوم يروح قبل يسالمهم كلهم!

تساءل سليمان: قعدت في اجتماع معاه، يعني راسك في راسو عديل واتكلمتو؟

- في الحقيقة بس انا سلمت عليه هو كان مستعجل شوية قال لي انا ماشي ابوجا وجايي!

يا زول طيب ما كان ترجاه لأن قالو وكت رجع من سفريته الجماعة الودعوه كانوا لسة في المطار!

قال سليمان الاعرج: قالو قبل يغير هدومه في الفندق سمع ان اوكامبو في البلد، رقد صوف على المطار!

ضحك شيخ النور وقال: فعلا قالو محل ما يسافر يقول لي الجماعة خلو الطيارة مدورة ما تبطلوها، لأن الظروف ما معروفة!

علّق صلاح الجاز: وين الصور ؟ دايما الريس وكت يسالم زول بيجيبوا الصور في الجرايد والتلفزيون!

جلس فارس أرضا معهم على حصير السعف وقال: في الحقيقة كان في زحمة شوية وما ظهر مصوراتي، الريس طلع سأل الجماعة وين ناس التلفزيون قالو ليه في طيّارة وقعت في المطار مشوا يصوروها!

ضحك سليمان الأعرج: يعني التلفزيون عندهم بس فد كاميرا! وكت تكضب ما تقول حاجة يصدقوها! نحن دايرين الصورة، غير كدة انت كضّاب وتكون قابلت ليك ضابط بشريط واحد والجماعة غشوك قالوا ليك دة ياهو الريس!

أعلن فارس : الحقيقة انا ما قدرت اصافحه لكن سالمته من بعيد شوية!

قهقهه شيخ النور عاليا: يا زول انت مالك كل شوية تبعد، بعد شوية حيبقى تليفون، والتليفون حيبقى مس كول ، وفي النهاية الظاهر انت شفت الزول دة في المنام!

منام ايه؟ حرم الزول دة قاعد في نفس محل حاج سعيد دة وانا قاعد هنا.

نعل ما خبطك الكف الزول قالو خلقه ضايق بي موضوع اوكامبو!

يا زول اعمل حسابك انت ما عارف الاسم دة ممكن يوديك التوج!.

ضحك النور وقال: توج اكتر من النحن فيه دة؟ حرم جهنم تكون رحمة جنب زمن زولك السالمته من بعيد دة! أهو هسع نحن طالعين من موسم بدون حمص، قبل زولك دة يجي

الحكم زي اليومين ديل نحن في أمان الله مستورين وزريبتنا مليانة بهائم، ولو مرضت تمشي المستشفى انشاء الله ترقد سنة مافي زول يقول ليك أدفع حاجة، لا في كضب ولا استهبال كل زول في حاله، والدنيا رايقة وأمان ، عسكري واحد قاعد في النقطة وكت عدم الشغلة مشى زرع ليه حواشة. كنا مستورين وكل زول مواصل أرحامه، ويكرم جاره، وعرض الجار ياهو عرضك. جو ناس لا تبديل لشرع الله قرّبو يمرقونا من الملة! بقينا زي يوم القيامة كل زول مهموم بحاله ما عليه لا بي جار لا بي قريب.

بعد فترة صمت، تساءل صلاح الجاز: وما حكيت لينا البوكس دة جبته من وين؟

البوكس دة في الحقيقة أنا صادرته!

صادرته كيف؟ انت سويت ليك جمارك براك ولا ايه!

الجماعة ديل وكت رجعت قلت ليهم انت وعدتوني تسووني مدير او وزير وانا جيت حسب الاتفاق!.

دخلو ومرقو، وفي النهاية جاني واحد قال لي: اسمع انت مش متدرب دفاع شعبي؟

كضبت قلت ليهم ايوة! وعندي كمان شهادة مجاهد في الجنوب!

قاطعه النور: والشهادة دي بيجيبوها من وين؟ اوع تقول لي بتنزل من فو ق ولا حاجة!

أها قالو لي خلاص، بنشغلك فترة منسق مع الشرطة الشعبية عشان يكون عندك خبرة كويسة في الادارة، وبعد داك ممكن تستلم وظيفتك.

قال سليمان: يعني انت هسع بقيت شرطة شعبية؟ ومنسق دي كلام نهائي ولا بعد شوية حتقول نائب منسق وبعد شوية عسكري!

قال صلاح الجاز: انا في الحقيقة ما فاهم يعني في شرطة افرنجي وشرطة شعبي ولا كيف؟ ودة شرطة ولا سوق دة؟!

انتفخ فارس وقال: زي الدفاع الشعبي ما بيساعد الجيش نحن كمان بنساعد الشرطة!.

ضحك النور وقال: سجمهم كلهم. والشرطة الانتو بتساعدوها مهمتها شنو يعني؟

قال فارس: مهمتها حماية المواطن!

ضحك شيخ النور وقال: يا زول دي الا تكون شرطة جديدة غير البنعرفها. الشرطة والامن في حكومتك دي مهمتهم حماية الكيزان من الشعب!

وقال صلاح الجاز: يوم الاحداث الحصلت بعد وفاة جون قرنق، انا كنت ماشي السفارة السعودية جيت ماري جنب مواطنين بيحرقوا في عربات والبوليس واقف يتفرج فوقهم التقول البيحصل دة شئ ما بيخصهم، قرّبت من واحد فيهم وقلت ليه الحاصل شنو انتو ما شايفين الناس دي بتعمل شنو؟ قال لي عندنا تعليمات ما نتدخل!

علّق سليمان: الكيزان قصدوا يعملوا فتنة بين الناس عشان يفصلوا الجنوب!

قال حاج سعيد: ودة الشئ الوحيد النجحوا فيه! سبحان الله ناس ما تنجح الا في الخراب ودمار البلد وبعد دة يقولو ليك لو ما جينا كان البلد راحت!

اها والبوكس صادرته من وين؟

قبضت لي جماعة شايلين مخدرات وصادرت المعروضات ومعاها البوكس!

قال صلاح الجاز: أنت الظاهر استلمت الشغل وطوالي لقيت الرزق راجيك!

وعلّق سليمان : عرفنا تقبض لكن تصادر كيف انت بقيت قاضي كمان ولا دي العدالة الناجزة ، دقة سريعة!

والبوكس دة هسع انت صادرته للحكومة ولا لي رقبتك؟

قال فارس: وانا والحكومة شنو؟ ما الحالة واحدة!

- أها والمخدرات برضو الحالة واحدة وديتها البيت؟

سلمتها البوليس حيحرقوها!

يا زول متأكد سلمتها ولا تكون بدلتها بورق شجر لغاية ما الدنيا تروق وتبيعها !

قال سليمان الاعرج: طلبة كتار قالو بسبب ضيق المعيشة ومشاكل الحياة بقوا مدمنين للمخدرات.

قال شيخ النور: الطلبة هم اكتر ناس قلبهم على البلد وبيطلعوا المظاهرات عشان كدة بيحاولوا يدمروهم بالمخدرات. زي ما شغلوا الناس الكبار بمشاكل المعيشة والغلاء.

سليمان: سبحان الله اي حكومة في الدنيا شغالة تساعد مواطنيها الا حكومتنا السجم يصحوا من الصباح يمشوا مكاتبهم وشغلهم كله كيف يأدبونا وكيف يخلونا مافي زول يرفع راسه!.

لم يظهر فارس رغم منصبه الرسمي الجديد إهتماما بالشتائم التي إنهالت على الحكومة، بصق السعوط من فمه وقال:

أها يا النور، زي ما وعدتكم بقيت مسعول كبير، وين الكرامة؟

قال النور: والله فعلا بقيت مسعول كبير مادام بديت بالمصادرة. وهسع محل شغلك حيكون وين؟ والا تكون مطلوق كدة ساكت لامن تلقى ليك بيت تصادره وتعمله مكتب!؟

يا زول انا منسق يعني بكون مسئول من الشرطة الشعبية في المنطقة دي كلها!

علّق النور: شغلكم الميت دة، فلان سكران وعلانة ما غاتة شعرها، دايرلو كمان تنسيق!

رد فارس بسرعة: يا حاج ما تخلط بين نظام عام وشرطة شعبية. ولو ان نحن برضه ممكن نشوف الحاجات دي!

قال صلاح الجاز: خلاص بالله وكت تصادر ليك حاجة تاني ما تنسانا من صالح المعروضات، بس ركز لينا على المعروضات الحلال!

ضحك النور وقال: خلاص نوفر العتود لامن يبقى وزير، ونرجاه يمكن المرة الجاية يصادر ليه بهائم ولا أبقار مهربة!

سعادة جناب الوزير!

كانوا يجلسون في ضوء القمر بإنتظار طعام العشاء أمام المسيد، هواء الليل البارد يهب مشبعا برائحة الجروف، أصوات حزينة كانت تقترب وتبتعد من على البعد كأنها قادمة من عوالم أخرى، مثل أشباح ضوئية تختبئ في الليل من ضوء النهار. تنثر في العالم حزنا وخوفا غامضا، قطع فارس صمت الحزن بقوله:

حكومة الجوع الفقر دي حتتحل من رقبتنا متين!

علّق سليمان الاعرج: مؤتمر وطني وكت يشتم الحكومة معناها يا داير ليه قرشين يا عاوز يبقى وزير!

وقال شيخ النور: أو يكون وزعوا ليهم غنيمة بيناتم وما أدوه حقه!

قال شيخ سعيد: فارس يبقى وزير!

ضحك شيخ النور وقال: أهم مؤهل عشان يبقى وزير عنده، ما بيفرز حق الناس من حقه! كلنا أخوان وكدة!

ضحك الاعرج وقال يعني إنت لحنتها يا شيخ النور ما تقول بالواضح حرامي!

إقترب صلاح الجاز الذي كان يدخن سيجارة القمشة بعيدا منهم قليلا وقال: سمعت في الخرطوم قالوا التوزير إنت وحظك، في زول قالوا بيفتش في شغل ساكي مكاتب العمل والشركات وما خلى زول بيعرفو، يمشي أي مكان يقولو ليه انت يا دوب اتخرجت وخبرة ما عندك، ما بنقدر نشغلك، واحد نصحه قال ليه سوي ليك دقينة أمورك بتسلك، عمل دقينة

برضو مافي فايدة، الجماعة ديل بقوا يفرزوا ناسم لأن الدقون كترت، أها يوم ضرب ليه زول في الموبايل، قال ليه منتظرنك تعال أحلف، افتكر إن الموضوع محكمة ولا شهادة حيمشي يحلف القسم، قالو ليه تعال في مجلس الوزراء، إستغرب قال يمكن الحرامية كتروا هناك عملوا ليهم محكمة براهم، زي المحاكم البيعملوها لشركات الاتصالات وكدة! ركب ليه دفار نزله في شارع البلدية وتم الباقي بكرعيه.

وكت وصل، لقى حرس أداهم بطاقته، فتشو إسمه في اللستة و دخلوه، لقى زول سلم عليه وفي صف بتاع ناس واقفين وقف معاهم، ويعاين للزول السلم عليه ويقول يا ربي الزول دة أنا شايفه وين، سأل الزول الواقف جنبه إنت الزول دة منو؟ أنا شايفه قبل كدة!

الزول ضحك و قال ليه: تكون شفته في التلفزيون! بعدين قال ليه: يازول انت ماك نصيح ولا شنو؟انت ماعارف دة الرئيس؟ أمال جايي هنا ليه؟ انت مش جايي تحلف القسم؟.

زولك عرف في شئ غلط، لكن قطع الحركة لامن وصل المصحف وحلف، أها وصلوه مكتبه وأدوه العربية ، قعد كم يوم لا شغلة لا مشغلة، وما عارف يعمل شنو، يقرأ الجرايد ويشرب الشاي والقهوة لامن هو ذاتو إحتار يا رب أنا وزير ولا مساعد رئيس! بعد كم يوم جوا قالوا ليه معليش في غلط حصل، تشابه أسامي، لكن هسع ما بنخليك تمشي ساكت، حنعملك مدير لشركة تحت التأسيس، وبعدين غمتو ليه قرشين ورفدوه!

قال فارس: والله دي انا ألقاها باب المسيد دة ما يمرقني، بعدين ما في حاجة اسمها حصل غلط، الماشي صاح في البلد دي كلها شنو؟ والله ان دقسوا عينوني وزير ما أسلمها تاني الا عيسى!

ضحك شيخ النور وقال: ياهو دة الاتعلمتو من الكيزان؟ تمسك في اي شئ لغاية تموت! بعدين اسمك دة ما بيغلطوا فيه، مافي غيرك في البلد كلها زول اسمه فارس، لو دايرهم يغلطوا في إسمك الا تغيرو!

أعلن فارس بغضب: كضبوا علي الكلاب قالو لي اتنازل في انتخابات الولاية وبنعينك مدير لشركة تابعة للزكاة او منسق دفاع شعبي، اتنازلت لا قرش لا تعريفة، بعد الانتخابات انتهت عملوا نايمين! لكن بعد كلامكم دة لو دايرني تاني الا ابقى وزير، الناس بالغلط عينوهم، انا اخدم فيهم من ايام رطل السكر كان بعشرة قروش، صغّرت نفسي وانا ولد شيوخ ولميت الحرامية، وفي النهاية يمرقوني بقد القفة!

اها وداير تبقى وزير شنو؟

ما بفاصل كتير، شئون دينية، وزير خارجية، اي حاجة! محلات اللبع التقيل عارف ما بلقى فيها فرقة!.

اها وبعد تبقى وزير تاني بتجي علينا هنا في المسيد؟

طبعا انا لازم اكون قريب من الشعب، بس لو شرفتكم في اي مناسبة لازم تدفعوا حاجة ما دام حتقشروا بي! ولازم تقولو لي سعادة جناب الوزير! الكلام دة عاجبني من ما سمعته مرة في التلفزيون!

قال شيخ النور: مفروض انت تدفع لينا ، اذا هسع انت مطلوق ساكت كلامك كله كضب وكت تبقى مسعول كبير حتعمل شنو؟

ضحك صلاح الجاز وقال ذكرتوني بقصة مسعول كبير دي مشيت مرة افتش شغل وداني واحد قريبنا لي زول كوز كبير، دقنه في الواطة. قريبنا شغال معاه بيشتري ويبيع ليه حاجات الظاهر عشان هو مسئول في الحكومة ما عاوز يظهر في السوق ، قال لي عندي مزرعة كبيرة بس لسواق ما عندنا شغل كتير لأن السماسرة بجو يشترو الخضروات بعرباتهم ما بنحتاج نرحل حاجة، بس ممكن مرة في الاسبوع تمشي تجيب مستلزمات المزرعة لو احتاجو شئ من السوق، وباقي الاسبوع تساعد شوية في تسميد اشجار الليمون. تنقل روث البقر والضأن وتفرشه تحت اشجار الليمون. اها وكت خلص من الكلام معاي قال لقريبنا دايرين نفتتح المصنع وعشان نعمل دعاية كويسة انا مفكر نجيب مسئول كبير كان رئيس كان نائبه عشان يظهر في الافتتاح. قريبي استغرب وقال ليه معقول مسئول كبير حيجي يفتتح ليه مصنع صلصة؟ الكوز قال ليه كله بحقه، تتفق مع سكرتير المسئول أو واحد من أهله وتديه حقه، لو عندك طهور ممكن المسئول الكبير يجيك ويشرفك!

بدا سليمان الاعرج متشوقا لمعرفة اخبار الكوز ومزرعته ومصنع الصلصة: اها والشغل كيف ولقيت المزرعة كيف؟

قال صلاح الجاز: رفضت الشغل معاه، وكت مرقت مع قريبي قلت ليه ياخي شوف لي شغلة تانية انا زول حديد وما بفهم الا في سواقتي دي، بعدين ياخي انا عندي رخصة تعبت فيها ممكن اركب بيها فوق زول اسوقه يجي كوزك الحرامي دة داير ينقل بي الزبالة؟ وعدني قال لي وكت نبدا شغل في المصنع بنحتاج سواقين. انتظرته اسبوعين وكت ما رد علي، الفلس

حصل والاولاد في البلد ما عندهم شئ قلت احسن احصل ازرع لي شوية قمح يا اقع الدهب لغاية ما تفرج!

قال النور: وما عرفت المسعول الكبير دة بيأجروه بكم اليومين ديل؟

علق فارس : لو عندك افتتاح لي حاجة تعال علينا نحن اسعارنا مهاودة!

علّق سليمان الاعرج: انت من زمان شغال ببطنك متذكر وكت كانوا بيأجروك بالطحنية عشان تدق الناس في الاسواق؟

قال حاج سعيد: الولاية دي كلها زمن الانجليز كان حاكمها زول واحد راكب جمل وحايم يشوف مصالح الناس، وكل شئ كان ماشي زي الساعة، هسع والي ووزراء بوزاراتهم ومجلس شعب ولائي برئيس ونائب ونواب، ومحافظات ومحافظين ومساعدينهم ونوابهم ومديرين وضباط اداريين وبعد دة الناس تعبانة ومافي خدمات وكمان عليهم يدفعوا مرتبات ومصاريف الجيش دة كله، لا تعليم لا صحة ولا حتى أمان، قبل أيام لقيت المحرات العمره اكتر من خمسين سنة اتسرق، الناس جاعت ومع الجوع مافي أمان، الاولاد بقوا يلقوا اي حديد يسرقوه يودوه يبيعوه لناس مصانع الحديد. ركبت ساعة وصلت نقطة البوليس قلت اعمل بلاغ يمكن واحد يلقاه بالصدفة يبلغ. العسكري قال لي المحرات دة تاني الله اعلم يتلقى احسن تستعوض ربك! قلت ليه وكت انت تقول كدة أمال امام الجامع يقول لي شنو؟ قال لي ما مشكلة ممكن نعمل ليك بلاغ لكن كدة امشي السوق جيب ورقة وقلم عشان نعمل ليك البلاغ! قلت ليه ياخي انا كمواطن قاعد ادفع ضريبة رغم ان الحكومة ما بتقدم لي اي خدمة، ولو مرضت ولا موسم زراعتي فشل مافي زول بيسأل علي، هسع من قروش البترول المليارات الدخلت البلد وما معروف مشت وين دي، ما بلقى لي منها ورقة وقلم بس؟

قال شيخ النور: أمن المواطن دة ما شغلهم لكن كدة اقيف في اي محل وقول الحكومة ظلمتني، والله محل يودوك الجن ما يعرفو

وقال سليمان الاعرج: انت يا حاج سعيد وكت مشيت تسأل من حقك تطلب ورقة وقلم بس؟ يا حاج سعيد البترول دخّل للبلد دي اكتر من 60 مليار!

قال فارس: والسد البنوه ليكم والشوارع!

ضحك سليمان وقال: السد بنوه ليهم ما لينا، بعدين ياخوي قروش البترول مليم منها ما دخل السد، السد دة اتبنى بديون مية سنة ما ندفعها! بعدين يا خي غير قروش البترول الدخلت البلد وما شفنا منها حاجة دي، وين قروش الأراضي والمشاريع والمؤسسسات الاتبنت من عرق ودم المواطن، الباعوها لناسهم وللأجانب؟

بصق فارس بصوت مسموع وقال: يا جماعة نحن مستهدفين والبلد محاصرة!

ضحك النور وقال: الحصار دة بس على جهتنا، جهة حكومتك عايشين في امان الله ساكنين القصور وراكبين افخم عربات. اصغر مسئول راكب عربية تمنها يبني بيت والمستشفى عربية اسعاف تنقذ العيانين ما فيه، الحقيقة نحن المحاصرين ومحاصرننا كيزانك ديل بكضبهم وسرقة حقوق المساكين.

ضحك الاعرج وقال: وانت مالك بسرعة رجعت هسع ما كنت بتشتم فيهم!

لم يرد فارس، حضر أحد الصبية يحمل صحن العشاء الضخم في ضوء القمر، شمّر فارس كم جلبابه وقال: الليلة لبن وغدا أمر، يا الوزارة يا الغابة ! ابقو عشرة و جهزوا تور الكرامة!

حكاية الكوز الذي أحبّ ليلى علوي!

أعلن فارس في المسيد: يا اخوانا عاوزين نعرّس!

قال شيخ النور: تاني؟!

وقال حاج سعيد انت وكت كنت كوز ما عرّست جايي هسع بعد الكيزان طردوك تفتش العرس!

ضحك سليمان الاعرج وقال: الكيزان عرّسوا وولدوا ملوا الدنيا بالكيزان الصغار! محل ما يمشوا يعرّسوا ويولدوا ويمشوا يشوفوا محل تاني يعرّسوا، قالوا الكوز مرة قابل ليه ولد في السوق ، يقول يا ربي الولد دة شايفه وين؟ في النهاية نادى الولد سأله إنت ولد منو؟ الولد طلع ولده هو ذاته!

قال فارس: ما كان نكون في الهند! قالوا هناك النسوان يدفعن المهر!

ضحك شيخ النور وقال: طيب كان يودوا الكيزان هناك، كان جمعوا قروش الدنيا بدون سرقة!

علّق حاج سعيد: بس خازوق تبقى ولادتهم كلها بنات، القروش السرقوها ولموها كلها يدفعوها مهر للبنات ويقعدوا!

قال فارس: حاج النور قالوا السنة دي الفول بتاعك نجح، ما تشوف لينا سلفية نعرّس بيها!

قال شيخ النور: المحصول يا دوب سدّد الديون، التور الفضل لينا للمحراث حنضطر نبيعه السنة دي عشان نشتري القمح، النجاح في زمن الانقاذ دة، وكت يجوك ناس البنك يشيلوا

المحصول، المحصول يقضي ليهم الدين ما يسوقوك معاهم للسجن! نحن شغّالين متطوعين نخدم في البنوك! ودة حالته قالوا بنك اسلامي، أمال لو بنك كافر كان حيعملوا شنو؟

قال حاج سعيد: يا أخوانا كان في حركة قوية الايام الفاتت في الجامعات، أخبار الخرطوم شنو؟

قال شيخ النور: الاولاد طلعوا يحتجوا على بيع الجامعة، ضربوهم الكيزان الناقصين بالرصاص، كتلوا ولدين. جوعونا وباعوا بلدنا، ما فضل لينا شئ في البلد دي غير شبابنا ياهم الأمل في المستقبل، الكيزان دمروا ماضينا وحاضرنا، وشغالين دمار حتى في المستقبل، يحاولوا يشغلوا في الشباب بالمخدرات والمصائب، والبيطلع الشارع يضربوه بالرصاص ، والمصيبة قاعدين كلنا نتفرج تقول الكتلوهم ديل ما أولادنا وما طلعوا عشانا وعشان مستقبل البلد دي!

قال فارس: الكيزان ديل اشتغلوا فوقنا بالتدريج، حكايتهم معانا زي حكايتنا زمان في السينما! أول ايام الكيزان قبل ما يبيعوا السينمات! مشينا الخرطوم قبل سنين ..

قاطعه سليمان الاعرج: مسكين فارس كبرت، انت من زمن السينما! تكون انت من الجماعة البيكسّروا السينما وكت البطل الهندي يموت!

واصل فارس حكايته: بعد إمتحان الشهادة سافرنا نحن ستة شباب صغار، قلنا نمشي نشتغل فترة الصيف في الخرطوم، ما لقينا شغل، أشتغلنا اسبوع مع مقاول في المباني، شغل صعب، لكن قلنا نعوّض حق المواصلات ومصاريف السفر، قبل نرجع البلد مشينا السينما، أها جة قعد ورانا راجل كبير بدقينته! تشوفه تقول شيخ طريقة ولا حاجة. وكت الفيلم بدا والانوار طفت، شعرنا بحاجة! الراجل جاب رجله وبقى يهبش فوقنا من ورا! بعدين الظاهر عليه متأثر بقصة الزواج الجماعي، لأنّ شغال فوقنا كلنا برجله! تحرّش جماعي!

- ما شاءالله بقيت متفقه في القانون، تحرش وشروع في الزنا!

أنا كنت منسق عام الشرطة الشعبية، يعني كنت أهم رجل قانون في الولاية دي!

- وعملتو شنو مع الزواج أقصد التحرش الجماعي؟

قال فارس: إنتظرنا شوية قلنا نشوف آخره شنو! وكت لقانا سكتنا جاب يده! اليد هبشتنا كلنا وطبعا الكوز يده طويلة! مع الدقارات لقيناه برضه يفتش في الجيوب، ما شاءالله زول شامل، مكمّل الانحراف!

أها وعملتوا شنو؟ أوع تقول إنتظرتوا لغاية ما يجيكم بالبتاع!

ضحك فارس وقال: الاعرج انت كنت معانا ولا شنو؟ اها إنتظرنا شوية سحب يده وشعرنا بحاجة تانية، الزول جاب البتاع ذاته!

أها وعملتو شنو أوع تكون انتظرتوا تاني؟!

ننتظر وين تاني، لو إنتظرنا شوية الا نرجى الداية! قمنا عليه بالكراسي كسرناه ، مسكته أنا من الدقن، الدقن مرقت في يدي! والغريبة طلع كوز اصلي! بكى وقال لينا أولادي ما حيقدروا يرفعوا راسهم تاني في الحلة لو الخبر مرق!

وديتوه الحراسة ؟: لأ، بكى وقال هو مبتلي بالقصة دي، علاج الفقرا ما جاب نتيجة، مشى للدكتور وقاعد يتعالج، الظاهر أدوه دواء مدته منتهية زي الدواء الحايم اليومين ديل، لأن حالته تأخرت زيادة بعد استعمل الدواء!

بعدين قال هو زول واعظ وإمام في الجامع، بس مرة مرة الشيطان وكت يلقاه بعيد في سينما ولا حتة بعيدة بيغشه!

- والشيطان هو البيجي يسوقه يوديه السينما ويشتري ليه التذكرة ولا ايه؟ ما يتكسّر يقعد في بيته ولا في الجامع بتاعه، ولا الظاهر مرة مرة يطرى الشيطان!

-أنا متأكد الشيطان يكون نايم بيجي الكوز يصحيه يقول ليه: النايم ليها شنو؟ وارث ولا الشياطين برضه عندهم تمكين! وينك زمن! ليك تلات ساعات ما ظهرت علينا! الواحد لو ما سرق ليه حاجة اليوم كله جسمه ينكرش!

لأ .. قلنا ليه البيوديك السينما شنو ما دام عارف الشيطان بيكون راجيك هناك؟ مسح الدموع وشرح لينا المشكلة، قال بيحب الممثلة الاسمها ليلى علوي! بيحب يشوفها بالحجم الطبيعي! قال سافر مصر مخصوص عشان يلقاها، قعد فترة وصرف القروش الشايلها كلها في السينما، الظاهر كان مفتكر ان الممثلين بيجوا السينما يحضروا الفيلم حقهم مع الناس،

ولو في حاجة ما واضحة بيشرحوها ليهم!! واحد شغّال في السينما غشّاه، من الناس البيبيعوا الحاجة الباردة والشاي في السينما، بيكونوا شايلين بطارية وحايمين في الضلام، الواحد يفتكرهم مرّات طلعوا من جوة الفلم! الراجل جة مارّي، ناداه الكوز وسأله : ليلى بتجي متين؟ الراجل طلع إبن كلب، شال منه قروش وقال ليه بجيب ليك ليلى علوي، هي ساكنة قريب من هنا، أقعد في محلك دة أرجاني حتى لو الفلم إنتهى ما تمرق!.

الناس مرقت بعد الفلم خلص وهو مسكين قاعد منتظر، بعدين بالشوق والحب في عيونه يظهر مسكين وحزنان زي اليتيم! جوه الحرس بتاع السينما، قالوا ليه قاعد ليه يا سوداني؟ قال ليهم راجي ليلى، هسع بتجي!

إفتكروه منتظر زوجته اسمها ليلى يمكن مشت بيت الأدب ولا حاجة، قال ليهم لأ.. زميلكم مشى ينادي ليلى علوي! ضحكوا فوقه وطردوه من السينما!

في وسط الزحمة والشكلة بتاعتنا معاه في السينما وهو يسأل : عندكم فكرة هي متزوجة؟ الظاهر داير يطبّق تعليمات الرئيس ويعرّس أربعة! الريّس قالوا معجب بحاج متولي؟

- كلام الريس دة وقع لي ناس في جرح، حاج عبدون كان ناوي العرس وخايف من زوجته تعمل ليه مشاكل، أها وكت سمع كلام الرئيس طوالي مشى عقد، قال لي زوجته: دة قرار جمهوري، لو عندك كلام يكون مع الريّس! أنا مجرد مواطن صالح بينفّذ قرار الرئيس! القرار ما عاجبني لكن نعمل شنو؟! الريّس لو قال أقعوا البحر بنقع!

-والقرارات الجمهورية دي ما كل يوم بتطلع مافي زول جايب خبرها، اشمعنى في موضوع العرس دة بقت واجبة التنفيذ!

ضحك سليمان الأعرج وقال: سألت حاج عبدون بعد عرّس تاني، قلت ليه صحي لو الريس قال ليك تقع البحر بتقع؟ ضحك وقال لي لازم ننفذ كلام الوالي، بعدين اتلفت حواليه وقال: لكن الحمدلله الزمن دة بسبب الجفاف البحر بقى ضحل ممكن نخوضه ، حتى لو طفل ما بيغرق!

قال شيخ النور: على ذكر العرس، شيخ علي اليومين ديل عريس، قابلني أمس في صلاة الجمعة، الحنّة في يدينه وفي لحيته! قال لي يمكن أخلّي اللجنة الشعبية لأن الجماعة مرشّحني وزير إقليمي!

ضحك حاج سعيد وقال: علي دة من الحكومة دي جات، يقول لينا اسمعوا الرادي حتسمعوا اسمي في التشكيل الوزاري الجديد! وكل مرة يغشنا يقول الاسبوع الفات انا كنت في الخرطوم قابلت الترابي ورجعت! والترابي قال ليّ خير، خلّي موضوعك عليّ!

أها ترابي مشى السجن.. ترابي مشى القصر .. ترابي تاني مشى السجن، ترابي تاني رجع القصر لكن بالباب الورا، ترابي مات، وعلي لسة مسكين منتظر! لأنّ ترابي قال ليه خير! أيام ترابي دخل السجن بعد الكيزان إتشكلوا، قلت لي شيخ علي إنت مش تبع الترابي؟ مفروض تستقيل من اللجنة وتبقى معارض! قال لي أنا اللجنة ما بخليها، لكن عندي محاولة أصالح الجماعة! الترابي والريّس!

انا قلت يمكن داير يسوق وفد من كيزان هنا ويمشي الخرطوم يعملوا وساطة، قلت ليه حتسافروا متين؟ قال لي نسافر نمشي وين؟ الناس ديل معمول ليهم عمل، لا محتاجين وفد ولا أجاويد، داير ليهم فقير قوي يمرق العمل دة!

رفع سليمان الأعرج آذان الظهر، وقف حاج النور ونظر نحو فارس وقال: ما وريتنا الزول قدر يقابل ليلى علوي ولا لسة لافي وراها من سينما لي سينما؟ ولا قنع من خيرا فيها بعد الجماعة هدّوا السينمات كلها وباعوها؟

خمسة سنين (حِوار) معاك يا زينة الأيام!!

عاد فارس الى القرية بعد غياب إستمرّ عدة سنوات، كان يمشي بنشاط كعادته رغم انّ وزنه ازداد كثيرا بصورة واضحة، ورغم إمارات الكِبر التي ظهرت عليه والشيب الذي غزا رأسه..

قال سليمان الاعرج ضاحكا: الزول دة كان مربوط وين سوى ليه فِقرة زي تور البلدية، ودة حالته الحكومة فلّست، سرقوا القروش كلها، خزنة بنك السودان قالوا مافيها غير الغبار وبيوت العنكبوت!

قال حاج النور وهو يصافحه: وين يا أخينا؟ عاينا في التلفزيون قلنا يمكن عملوك مسعول كبير بعد التعديل الوزاري الأخير، وفتشنا الجرايد قلنا يمكن نلقى ليك تصريح ولا حاجة، لكن لا حس ولا خبر الحكاية شنو؟ ولا زي ما الكيزان قالوا الوظيفة إبتلاء، يمكن قلت: واذا بُليتم فإستتروا! ما عايز الناس تستفيد معاك!

في واحد قال لي الزول دة سافر العمرة وأنا قابلته منجعص في الجمعية ياكل الكبسة ويلعب الحريق، وبقى نصيح باب أربعة ضلف ما يمرقه!

لأ أنا مشيت الحوار!

الحوار؟ دي بلد جديدة فتحت بدل ليبيا؟ ولا من الامتدادات الجديدة الجنب مدني؟ وين من الكلاكلة؟

كلاكلة شنو؟ الحوار، ما سمعتو بمؤتمر الحوار المجتمعي؟

خمسة سنة حوار؟ تكون حليتو مشكلة فلسطين ومشكلة كوريا ونووي ايران وثقب الأوزون، ورجعتو للنور الأحمر مرته، وحاربتو الكوليرا والطاعون والفجوة الغذائية، وحليتو مشكلة سد النهضة ومشروع الجزيرة ومشروع القاش، ورجعتو الجنوب ووقفتوا الحرب في الغرب. !!

ضحك سليمان الاعرج وقال: والله ديل ما يقدروا يحلوا اي شئ غير سراويلهم!

قال حاج سعيد: كيف ياخي تقول كدة الزول مسكين تعبان ليه خمسة سنة عشانكم، يحاور ويحاور لامن صوته راح، بدل ترحب وتضبح ليه تقول ليه سروال وبتاع!.!

انت ما شايفه بقى قدر ايه؟ تعبان شنو؟

يعني الناس دايرها تحل مشكلتك وتموت بالجوع؟ ما لازم الحوار يكون مصلّح، قالوا الاكل يجيهم من الفندق! وفارس كمان نفسه مفتوحة على الحوار! بعدين فارس شديد دة النوع اليقعّد الضيوف في الصواني التعبانة، ويحجز صواني الاكل الدسمة على جنبة لغاية الضيوف ياكلوا بعد داك يقعد ياكل برواقة!

قالوا الحكومة كانت عاملة حسابها الحوار يستمر سنة، لكن الظاهر جرّ شوية، خمسة سنة ولي الليلة ما خلص!!

غنى الاعرج بصوته الجميل: خمسة سنين معاك يا زينة الأيام ويا نوّارة الحلوين!

ضحك فارس وقال: الاعرج والله صوتك ما بطال لو مشيت لجنة النصوص كان أجازوه!

خلينا من لجنة النصوص السنة دي اصحابك ناس لجنة اللصوص، اللجنة الشعبية تعّبوا الناس شديد، زولك شيخ علي عارف ظروف الناس والموسم التعبان بعد دة جاب زيادة على ضرائب النخيل، وكت الناس احتجت قال دي اوامر عليا!.!

شيخ علي هو لسة ماسك في اللجنة الشعبية؟ قبل ما اسافر الحوار قال لي دي آخر سنة لي في اللجنة حيعينوني وزير ولائي!

قال سلمان الاعرج: انا قلت ليه خلاص مادام مرشحنك لمنصب كبير، خلّي اللجنة الشعبية، قال لي الناس ديل ما عندهم راي واحد، ولموا الخلق من الدنيا دي كلها جابوهم الحوار دايرين يقسموا معاهم السلطة والثروة، لو أدو كل زول من الخلق الجابوهم ديل وظيفة، أنا مخزنجي في المجلس ما بلقاها، عشان كدة لو ما ضمنت الوزارة ما بفرط في اللجنة الشعبية، الناس حيقولو عليّ الطمع ودّر ما جمع! وأنا الحمدلله ما زول طمّاع!!!

أها ووصلتو لي شنو في الحوار؟ وهسع انتوا متذكرين المشاكل البديتو تحلوها قبل خمسة سنة؟

لأ خلاص المشاكل كلها اتحلت وهسع بس منتظرين تشكيل الحكومة!

سجمنا يعني هسع مافي حكومة في البلد؟

ضحك سليمان وقال: في ذمتك دة حال بلد فيه حكومة، ديل عصابة عايشين بالسرقة والقلع من الناس.

واهم مقررات الحوار شنو؟

حيعينوا رئيس وزراء!

كويس، يعني الزمن دة كله الوزراء ديل كانوا مطلوقين ساكت بدون رئيس؟

لأ، دة كان شغل الريس! لكن ناس الحوار قالوا الشغل كتر على الريس، لازم يكون في زول تاني يساعده في تحمل الأعباء الوظيفية!

حلوة الأعباء الوظيفية دي ، الظاهر دي المرقت بيها من مؤتمر الحوار!

الريس مسكين ما فضي من السفر، عشان يغيظ اوكامبو، أي فاتحة ولا طهور في أي محل في الدنيا يركب طوالي، لامن الطيارة مكنتها خفّت، في سنة واحدة عمروها ستة مرات!

يعني هسع حيتفرغ بعد عيّن رئيس وزراء للفاتحات والكرامات، يعني حيسوي ليه فقرة زي فقرتك دي السيف ما يرميها.

دي يمكن سعادة الكُبُر!

سعادة شنو؟ قالوا نميري مرة قابله في فاتحة، سأله قال ليه: مسعول من الخير ترابي وين؟ الريس قال ليه ترابي في السجن. قال للريس اوع تخليه يمرق! لو مرق يخليك زيي كدة من فاتحة لي فاتحة!!

وما مرقت ليك بحاجة انشاءالله نائب في البرلمان ولا عقيد أركانحرب جنجويد؟

رئيس الجنجويد قالوا بقى دكتور!

ما شاءالله زمان قالوا كان بتاع حمير، هسع يعالج الناس!

لأ مش دكتور بتاع الناس، دكتور في الجامعة.

ماشاءالله يدرّس الاولاد، الريس كمان عنده برضه دكتوراة كان ما نخاف الكضب.

لأ الريس عنده ماجستير.

والماجستير أكبر ولا الدكتوراة

الدكتوراة

يعني رئيس الجنجويد بقى اعلى من الريس؟!

دة دكتوراة فخري ساكت، يعني نوع من التكريم زي ما بيقولو في التلفزيون، تقديرا لجهوده المخلصة!

وهو اخلص في شنو؟ في الكتل؟

ياحاج سعيد انت الليلة داير تجيب لينا مصيبة الظاهر بأسئلتك الابت تخلص دي

طيب سؤال اخير زي ما بيقولو في التلفزيون: ماجستير الريس دة برضو فخري ولا جابها بضراعه؟!

ضحك شيخ النور وقال: أكيد جابها بضراعه! لكن من راسه ولا من كرّاسه الله ورسوله أعلم!

أها دة سؤال تابع لآخر سؤال: وهسع وكت الريس يكون بيعمل الامتحان الحرس بيكون معاه؟

طبعا

ولو شايل بخرة ممكن المراقب يمسكها ولا الحرس بيمنعه؟

يا اخوانا حاج سعيد دة بيجيب ليكم مصيبة الليلة، أحسن غيّروا الموضوع دة!

وليه ما عملوك وزير خارجية بدل الوزير الرفدوه عشان شال حسهم قال مفلسين!

أنا كنت بسترهم، أرجّع الدبلوماسيين كلهم من برة، وفي كل عشرة عشرين بلد اعمل لي سفارة واحدة صغيرة، بي فد دبلوماسي!

أحسن ترجعهم اصلا قالوا ما عندهم خدمة برة غير التِحِرش في البصّات!! الواحد بدل يشوف شغله اليوم كله حايم من بص لي قطر!

لو كان عينوك سفير كان نبوءة حبوبتك مك الدار اتحققت!

حبوبته اتنبأت بشنو؟

لقيتها مرة تغني ليه تقول ولدي يكبر يبقى مسعول كبير! قلت ليها يبقى دكتور؟ قالت لي دكتور شنو ولدي يبقى سفيه! الظاهر قصدها يبقى سفير! لكن زي ما قال عبدالله الطيب، أخطأت فأصابت!

ما تستغربوا يوم لو سمعنا عينوه (سفيه) في وزارة الخارجية!

الزيو دة قالوا يسووه ملحق اعلامي، يشتم الناس ويشكّر الحكومة!

بصق شيخ النور وقال: ووصلت متين؟ الليلة ما سمعنا صفارة وصول البص!

انا جيت يوم الجمعة الاسبوع الفات، كنت تعبان نمت شوية!!

أسبوع نائم، تعبان من السفر ولا من الحوار؟

الجماعة طلبوا مني اعمل تقرير عن ناس المؤتمر الوطني هنا، قالوا ناس الحزب كرّهوا الناس في الحكومة!

يعني بقيت جاسوس على ناسك؟!

ودة داير ليه تقرير ما الناس كلها عارفة ان جماعتك حرامية سرقوا الدنيا كلها باعوها.

احتمال يعملوني معتمد لو الأمور مشت كويس!!

زمان وعدوك بالوزارة عملوك مُنسق شرطة شعبية! هسع وعدوك بي معتمد معناها حيعينوك مراسلة في المجلس!.